BOOST LIBRARY
3 1142 02841 3733

GENERAL UNIVERSITY
LIBRARY

VAR-9752.

الدكتور عبد اللطيف حمزه

الاعلام والدعاية

ساعدت جامعة بغداد في نشر هذا الكتاب

ساعدت جامعة بغداد في طبع هذا الكتاب

Ḥamzah, ʿAbd al-Laṭīf.
al-Iʿlām wa-al-diʿāyah.

الإعلام والدعاية

دكتور
عبد اللطيف حمزة

الطبعة الاولى

ثمن النسخة ٧٥٠ فلساً

مطبعة المعارف ـ بغداد
١٩٦٨

1968

Near East

HM
263
.H316
c.1

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

صحيح ما يقال من أن الرأى العام والاعلام وجهان لعملة واحدة وهذه العملة هي الحرية • أما الدعاية فشيء آخر غير الاعلام كما سنعرف ذلك •

وهنا يتبادر الى أذهاننا أولا سؤال كهذا السؤال :

متى كان للرأي العام وجود فى التاريخ ؟

والذى نعرفه من دراسة التاريخ العام ان العصور القديمة لم تأبه كثيرا لرأي الجماهير •• ولكنها كانت تأبه كثيرا لرأى الحاكم • لذلك رأينا افلاطون يجرد الرأي العام للجماهير من كل قيمة • وهذا بالرغم من أننا نعرف جيدا ان اليونان القدماء كان لهم الشأن الكبير والدور الخطير في تاريخ الحرية والديمقراطية • ومن أقوالهم المأثورة فى ذلك :

• ان الامة الواحدة ـ اذا اتسعت اتساعا كبيرا ـ لا تقوى على المحافظة على حريتها • والسبب فى ذلك انه لابد وان يجتمع الناس كلهم فى ساحة

واحدة فى المدينة لكي يستمعوا الى أقوال الزعماء والقادة • وبدون ذلك يعجز الشعب كل العجز عن الاطلاع على أحوال الحكام ، وتتبع أعمال الحكومة » •

فى هذه الكلمات ما يدل دلالة قاطعة على أن الديموقراطيات القديمة كانت تسمح بوجود الرأي العام • غير أن ذلك مشروط فى العبارة السابقة بقلة عدد السكان حتى يسهل جمعهم فى مكان واحد ليستمعوا الى آراء القادة وذوي الحل والعقد في المجتمع •

لهذا السبب ولأسباب اخرى كثيرة لم يستطع الرأى العام أن يلعب دوره كاملا في البيئات القديمة برغم انها عرفت من ادوات الاتصال بالجماهير فنونا كثيرة منها الخطابة والشعر والمسرح • ومنها الاسواق العامة التى كانت تعرض فيها المعروضات الفكرية الى جانب المعروضات المادية • ومن الامثلة على هذه الاسواق القديمة عند العرب : سوق عكاظ ، وذي المجاز ، والمربد • وفى اليونان كانت السوق تعرف باسم (القوروب) وكانت معرضا لكل ذلك •

أجل – لم يستطع الرأى العام أن يلعب ددوره كاملا فى البيئات القديمة • ولكنا نستطيع أن نستثني من ذلك (أثينا) من جهة ، و (المدينة) على عهد النبي والخلفاء الراشدين من جهة ثانية • وفي المدينة كان العرب اذ ذاك من القلة العددية بحيث يستطيعون بسهولة أن يتجمعوا في المساجد والجوامع والاماكن العامة ، وأن يتشاوروا فى امور خطيرة من أهمها أمر اختيار الخليفة •

غير أنه بمضي ذلك العهد الزاهر – عهد النبي والخلفاء الراشدين – وبزيادة عدد المسلمين ، وبظهور العواصم الجديدة في العالم الاسلامي تعذر على

المسلمين ممارسة الديمقراطيات والتعبير عما يسمى «بالرأى العام» • وأصبح هذا الرأي ـ أو كاد يصبح ـ مقصوراً على الحكام ، وان كان من عادة هؤلاء أن يأخذوا برأي علماء الدين الذين كانوا أشبه بنواب عن المسلمين يراقبون أعمال الراعي ويحافظون على مصالح الرعية •

* * *

هذا كله فى العالم العربي • أما فى العالم الغربي فمما لا شك فيه ان السنوات الاخيرة من القرن الثامن عشر ـ وهي السنوات التى حدثت فيها الثورة الفرنسية ـ طغت سيطرة الرأى العام الذى كان يسميه مونتسكيو (بالروح العام) والذى عبر عنه روسو (بالارادة العامة) •

ثم فى القرن الذى نعيش فيه فرض الرأى العام نفسه على أكثر بلاد العالم المتمدن • وأصبحت له وسائله الحديثة الى ذلك • ومنها الصحف والكتب ثم الراديو والتلفزيون • ويضاف الى ذلك رأي الشعب كله ممثلا فى المجالس النيابية • وليس أروع فى التاريخ المعاصر من المثل الذى ضربه العدوان الثلاثي على مصر سنة ١٩٥٦ • فمما لا ريب فيه أن قوة (الرأي العام العالمي) كانت من أقوى الاسباب التى أدت الى انتصار مصر على دول ثلاث اشتركت فى العدوان عليها • وهي انجلتره وفرنسا واسرائيل •

* * *

سؤال آخر يعرض للباحث أيضا في موضوع (الرأى العام والاعلام والدعاية) ـ وهو متى كان للاعلام وجود فى التاريخ ؟

والجواب عن ذلك ان الاعلام وجد بوجود هذا العالم • ولكنه مرّ بمراحل كثيرة حتى وصل الى الصورة التى عليها في وقتنا الحاضر •

والسبب فى ذلك هو تغير وسائل الاعلام من عصر الى عصر :

فقد كانت وسائل الاعلام في الازمنة القديمة طبولاً تسمع في ادغال أفريقيا ، ودخانا يصعد فى بلاد الهند ، ونيرانا تسطع فى صحراء العرب ، وحمائم تطلق فى عهود الخلفاء والسلاطين ، وخيلا تسبق الريح فى توصيل الأنباء الهامة من بلد الى بلد ونحو ذلك .

ومعنى هذا ان وسائل نقل الاخبار كانت كبيرة ومتنوعة في العصور االقديمة . وكان القائمون بنقل الاخبار كثيرين أيضا . ثم خضعت هذه الوسائل الاعلامية لاطوار متعددة بعد ذلك . حتى اذا صرنا الى الوقت الذي نعيش فيه وجدنا أنفسنا أمام طائفة جديدة من هذه الوسائل . منها الصحف والاذاعة والتلفزيون « ويخلق مالا تعلمون » !

ثم ان الاعلام يختلف فى طبيعته عن الدعاية . فالاعلام انما يقوم على الاخبار الصحيحة والحقائق الثابتة ، والارقام والاحصاءات ونحو ذلك . أما الدعاية فتعتمد فى أساسها على العواطف أو ما يسمى بالاستهواء النفسى . ومع هذا وذاك فلا غنى للناس أو الحكومات عن الاعلام وعن الدعاية وفي وقت واحد .

أجل ـ أصبحنا فى الوقت الحاضر نفرق تفرقة واضحة بين ما هو اعلام وما هو دعاية . ولذلك نجد الحكام فى الدول الحديثة ـ وخاصة في النصف الثاني من القرن الذى نعيش فيه يعتمدون فى اتصالهم بالجماهير على الاعلام أكثر من اعتمادهم على الدعاية . أو ـ على الاقل ـ يتظاهرون بذلك أمام الشعب . ويبدو هذا واضحا فى خطب الرؤساء والقادة فى المناسبات العامة ، والانقلابات السياسية ، والمؤتمرات الدورية وغير الدورية ، وفي المجالس النيابية التى يجتمع فيها ممثلو الشعب ، ويتحدثون فيها حديثا

يبنى على المعلومات الصحيحة والتقارير المدروسة ، والاحصاءات التى لا تكذب القارىء أو السامع •

* * *

وهناك سؤال ثالث وأخير ؛ وهو متى كان للدعاية وجود فى التاريخ ؟

والاجابة عن هذا السؤال مخالفة للاجابة عن السؤالين السابقين • ذلك أنه اذا كانت الديموقراطية الصحيحة شرطا فى وجود الرأى العام ـ فانها ـ أى الديموقراطية ـ ليست شرطاً فى وجود الدعاية • بل ان الدعاية ربما كانت أكثر ملاءمة للبيئات التى تنكر الديموقراطية وتقوم على الديكتاتورية ـ أو ما يسمى بنظرية السلطة المطلقة •

واذا كانت الاخبار الصحيحة والحقائق الثابتة شرطا فى الاعلام فان هذه العناصر ليست شرطا فى الدعاية فى جميع الاحوال • بل كثيرا ما تقوم الدعاية على الاخبار الكاذبة والحقائق الملفقة والنشرات أو البيانات الزائفة ونحو ذلك •

والديكتاتورية ـ أو نظام السلطة المطلقة ـ أكثر حاجة الى الدعاية من أي نظام سواه • ولذلك نظر التاريخ الى تأليه الفراعنة القدماء على أنه ثمرة من ثمرات الدعاية • والى سيطرة البابوات على الناس والحكام على أنها نتيجة من نتائج الدعاية • كما نظر التاريخ الى تحكم الخلفاء والسلاطين وانفرادهم بالسلطة نفس هذه النظرة • وفى كتاب لنا سابق هو كتاب « الاعلام له تاريخه ومذاهبه » شرح لهذه الفكرة •

هذا كله فيما يتصل بالدعاية السياسية • أما الدعاية التجارية فبعيدة كل البعد عن هذا المجال الذى نتحدث فيه •

* * *

قلنا ان الرأي العام والاعلام وجهان لعملة واحدة هي الحرية وعلى هذا فللحرية بهذا المعنى صور ثلاث : اولاها صورة الآراء الفردية ، أو حق كل مواطن في ابداء الرأي الذي يراه • والثانية صورة الرأي العام – أو مجموع الآراء الفردية يلتقي بعضها ببعض ويؤثر بعضها فى بعض • والثالثة – صورة الاعلام وهو الطريقة التى ينقل بها هذا الرأى العام فى النهاية • وخلاصه هذا الكلام ان الاعلام عبارة عن حرية التعبير عن الآراء •• ومن هنا وجب علينا فى هذا الكتاب أن نبدأ الحديث عن (الرأى العام) ثم ننتقل منه الى الحديث عن (الاعلام) ثم منهما الى الحديث عن (الدعاية) • وذلك ما جرى عليه منهج البحث •

* * *

(وبعد) فقد انتفعت في كتابي هذا وفي الكتاب الذي سبقه بعنوان (الاعلام له تاريخه ومذاهبه) بعدد كبير ممن كتبوا فى موضوع الاعلام • سواء كانوا من المؤلفين العرب أم غير العرب • وان كان الفصل الاول فى الحقيقة ما زال للمؤلفين الاوربيين والامريكيين الذين يعتبرون الرواد الاوائل فى هذا الموضوع •

كما انتفعت في باب الدعاية من كتابي هذا بالمحاضرات التي ألقاها الدكتور محمد عبدالقادر حاتم على طلبة الصحافة بكلية الآداب جامعة القاهرة[1] •

ومنذ ندبتني جامعة بغداد سنة ١٩٦٥ للمشاركة فى انشاء قسم الصحافة بكلية الآداب وجدت هذا القسم الجديد بحاجة شديدة الى كتب تجمع فيها المواد الدراسية المطلوبة • واذ ذاك شعرت بمسؤولية كبيرة تجاه

---

(١) القى الدكتور حاتم بطل الاعلام العربى فى حرب السويس سنة ١٩٥٦ – هذه المحاضرات منذ عشر سنوات على وجه التقريب ، وكان يومئذ وزيرا للثقافة والارشاد • وفى حدود علمي أن هذه المحاضرات لم تزل مخطوطة الى اليوم •

قسم الصحافة ببغداد هى نفس المسؤولية الكبيرة التى شعرت بها تجاه قسم الصحافة بالقاهرة .

ومن هنا بدأت جهودي في بغداد بتأليف هـذا الكتاب في موضوع (الرأي العام والاعلام والدعاية) . وأنا أدعو الله أن يهبني القوة التي اتابع بها تأليف بقية الكتب اللازمة لهذا القسم الناشىء .

غير ان ذلك لا يتم بمفردي . فما أنا الا واحدا من أساتذة آخرين يحملون معي عبء الدراسات الصحفية فى جامعة بغداد . لذلك أود أن يأذن لي زملائي في هذا القسم الجديد فأدعوهم جميعا الى المبادرة الى تأليف الكتب التي تتصل بهذه الدراسة . فان ذلك هو الطريق الوحيد لانشـاء مكتبة خاصة بالدراسات الصحفية بجامعة بغداد حتى يمكن لهذه الدراسة أن تقف يوما ما على قدم المساواة مع بقية الدراسات الجامعية الاخرى .

ومعروف ان الدراسات الصحفية في ذاتها انما تدور حول فنون ثلاثة رئيسة ؛ هي فن التحرير، وفن الاخراج، وفن الادارة . كما تدور هذه الدراسة حول فنون اخرى كثيرة مثل موضوع (العلاقـات العامـة) وموضـوع (الاعلان) وموضوع (التصوير الصحفي) . كما تحتاج الدراسـات الصحفية كذلك الى بعض المواد الثقافية كموضوع (المذاهب السياسية) و (المذاهب الاقتصادية) ومادة (التشريعات الصحفية) ومادة (الاحصاء) ومادة (الاجتماع الصحفي) ومادة (الترجمة الصحفية) ونحو ذلك .

ومعنى ذلك اننى أرجو أن أشمل بدعوتي الى تأليف الكتب اللازمة لقسم الصحافة جميع السادة الاساتذة الذين يقومون بتدريس جميع المواد المتقدمة . وهذه الدعوة التى اوجهها الآن الى زملائي الاساتذة فى قسـم الصحافـة بجامعة بغداد هى نفس الدعوة التي وجهتها من قبل الى زملائي الاساتذة بقسـم الصحافة بجامعـة القاهرة ـ وهـو القسم الذى تـم انشـاؤه سـنة

١٩٥٤ ـ أعني قبل انشاء قسم الصحافة البغدادي بما لا يزيد من عشر سنين .

واني لأذكر الآن بشيء كثير من الرضى والاطمئنان أنني وزملائي الذين كانوا معي بالقاهرة في سنة ١٩٥٤ ـ وفقنا الى تأليف ما يقرب من أربعين كتابا في صميم الدراسة الصحفية كانت صالحة لانشاء مكتبة صحفية ، ثم اتسعت هذه المكتبة شيئا فشيئا بالرسائل العلمية التي تقدم بها خريجو معهد الصحافة بالقاهرة للحصول على درجة الدكتوراه في الآداب من معهد التحرير والترجمة والصحافة . وهو المعهد الذي خرج الى الوجود سنة ١٩٣٩ ـ أعني قبل انشاء قسم الصحافة المصري بخمس عشرة سنة . وبقي يتمتع بالحياة الى سنة ١٩٥٧ .

وهذا الذي تم للدراسة الصحفية بجامعة القاهرة هو ما أتمنى أن يتم مثله وأكثر منه لهذه الدراسة الصحفية في جامعة بغداد . والله الموفق للصواب .

* * *

ومن واجبي في نهاية المقدمة أن أعترف بأن الفضل في اصدار هذا الكتاب انما يرجع الى طلبة قسم الصحافة ببغداد ، فهم الذين قاموا بتسجيل المحاضرات التي ألقيتها عليهم في موضوع (الرأي العام والاعلام والدعاية) ، وهم الذين قرأوا على هذه المحاضرات بعد الفراغ من تسجيلها بطريقتهم الخاصة . وهم الذين أشاروا عليّ بعد ذلك بطبعها كتابا في آخر الامر .

فالى جميع من أشارت اليهم هذه (المقدمة) أقدم أصدق الشكر . كما اقدم شكري كذلك لجامعة بغداد التي تفضلت فساعدت في نشر الكتاب . والله أدعو أن يوفقنا جميعا لخدمة الوطن العربي . والى الله العلي القدير أبتهل أن ينفع الصحافة العراقية والاعلام العراقي بالجيل الجديد من الشباب الذي يتأهل لهذه المهنة الشريفة في قسم الصحافة .

عبد اللطيف حمزة

بغداد في يونيه (حزيران) ١٩٦٧

الباب الأول

الرأي العام

الفصل الأول

تعريف الرأي العام

ربما كان اصطلاح (الرأى العام) من اختراع العصور الحديثة التى تعددت فيها وسائل التعبير عن هذا الرأي ، من صحيفة الى اذاعة الى تلفزيون الى سينما الى ندوة الى مؤتمر الى معرض الى كتاب ونحو ذلك .

ولكن ليس معنى هذا بطبيعة الحال أن الرأى العام لم يكن له وجود ما في العصور السابقة . كلا ، ـ فاننا لا نتصور عصرا من العصور القديمة أو الوسيطة كان محروما من التعبير عن آرائه في كل مشكلة من المشكلات التي تواجهه أو الاحداث التي تمر به .

غاية ما في الامر ان العصور التى تقدمتنا كانت لها وسائل اخرى للتعبير عن هذا الرأي . وقد أوشكت هذه الوسائل أن تكون محصورة فى الكتاب والرسالة والخطبة والاسواق العامة ؛ ومنها سوق المربد وسوق عكاظ ونحوهما . هذا كله فضلا عن القصيدة الشعرية التى كانت تعتبر وسيلة من وسائل التعبير عن الرأى العام أو الخاص منذ العصر الجاهلي الى

العصور الوسيطة الى العصر الحديث كما هو معروف •

ويتردد لفظ (الرأى العام) على الالسنة كثيرا فى العصر الذى نعيش فيه؛ وخاصة عندما تقع حادثة مفزعة كحادثة غرق الباخرة دندرة بالقاهرة أو حادثة غرق السيارة العامة فى النيل في شهر سبتمر سنة ١٩٦٥ • وقد راح ضحية هاتين الحادثتين فى مصر عدد كبير من المواطنين • وهزت كل حادثة منهما مشاعر المصريين • وقد يبلغ من ضخامة الحادث أحيانا انه يشغل بال الرأي العالمي بأسره • كما حدث ذلك في العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ • وقد هز هذا العدوان ضمير العالم كله • فلم تتخلف دولة من الدول عن الاشتراك برأيها فى هذه الحادثة •

تعريف الرأي العام :

يختلف العلماء اختلافا بعيدا فى تعريف هذا المصطلح • ولنا أن نستعرض طائفة من هذه التعريفات • وسنجد أن بعضها يؤمن ايمانا عميقا بقوة الرأى العام • وبعضها يظهر بعض الشك فى ذلك • وكلا النوعين من التعريف يجعلنا ندرك خطورة الرأى العام في ذاته ، ولا يحملنا مطلقا على الشك في وجوده •

فمن التعريفات التي تؤمن بقوة الرأي العام ما يلي :ـ

١ ـ يقول الاستاذ جيمس برايس فى كتابه (الديمقراطيات الحديثة) : « الرأي العام اصطلاح يستخدم للتعبير عن مجموع الآراء التي يدين بها الناس بازاء المسائل التى تؤثر فى مصالحهم العامة والخاصة » •

٢ ـ ويقول الاستاذ البورت (Alport)

« الرأي العام تعبير صدر عن مجموعة كبيرة من الناس عما يرونه في مسألة من المسائل أو مقترح من المقترحات الواسعة النطاق ؛ بحيث يمكن

استدعاؤهم لهذا التعبير ـ سواء كانوا مؤيدين للفكرة أم معارضين لها ، وبحيث تكون نسبتهم العددية كافية لاحداث تأثير ما بطريق مباشر أو غير مباشر .

٣ ـ ويقول الاستاذ البيج (Albig) في كتابه (الرأي العام الحديث): انه ـ أي الرأى العام ـ تعبير عن موضوع معين يكون موضع مناقشة من جماعة ما .

٤ ـ ويقول الاستاذ كلاريد كنج فى مقدمة كتابه (قراءات فى الرأى العام) :

« انه ـ أى الرأى العام ـ هوالحكم الذى تصل اليه الجماعة في مسألة ذات بال وذلك بعد مناقشات علمية ومستوفاة » .

٥ ـ ويقول الاستاذ لينارد دوب (Doob) فى كتابه (الرأى العام والدعاية) :

« انه ـ اى الرأى العام ـ اتجاه جماعة من الناس نحو مشكلة معينة أو حادث معين » .

ونقف قليلا عند هذا التعريف الاخير فنقول :

يقصد (بالاتجاه) حالة استعداد عقلي كونته التجارب أوالظروف التي مرت بالفرد في الماضى . ويؤثر هذا الاستعداد تأثيرا توجيهيا على استجابات الفرد لجميع الاشياء والمواقف التى تتصل بهذا الاستعداد .

والاتجـــاه ـ كما سنذكر ذلك فيما بعد ـ من الامور التي توشك ان تكون ثابتة ثبوتا دائما في الافراد والجماعات . فالاتجاه العدائي ضد الزنوج في أمريكا يكاد يرثه الطفل الابيض عن أبويه وعن المدرسة وعن الجامعـة .

ويقصـد بالجماعـة في بحـوث الرأي العـام العـدد من الأفـراد

الذين ينتمون الى هيئة واحدة كالاسرة أو المصنع أو النقابة أو المدرسة • وقد تكون الجماعة كثيرة العدد بحيث تشمل الامة كلها • وقد تتسع الى ان تشمل العالم كله وهكذا •

أما **المشكلة أو الحادثة** فى تعريف (دوب) للرأي العام فقد تكون مشكلة بسيطة حدثت لاسرة واحدة أو مصنع واحد أو مدرسة واحدة • وقد تكون مشكلة كبيرة كالعدوان على بلد من البلاد أو قيام حرب عالمية ونحو ذلك •

وفي كل هذه التعريفات السابقة ما يوحي بأهمية الرأي العام وبحتمية وجوده وبقوة تأثيره •

ومع هذا وذاك فان من الدارسين لهذا المصطلح الذى نحن بصدده الآن ـ وهو مصطلح الرأى العام ـ من يعمدون الى تحليل المصطلح ذاته ، ويقولون انه يتألف من لفظتين هما لفظ (رأى) ولفظ (عام) • والرأى من قولك : أرى كذا • وكلمة أرى فى ذاتها تعبير عن أمر يقبل الشك • وعلى هذا فالرأى معناه عدم الجزم أو القطع بصحة أمر معين •

وأما كلمة «العام» فيقصد بها الجماعة التي تشترك في الرأي • والجماعة تتألف من أفراد يتباينون فى الاخلاق وفى المعتقدات وفى الثقافة • ولا توصف الجماعة بأنها شيء موحد ، أو بأنها شيء له صفة الثبوت • والجماعات تنتقل من حالة الى اخرى بتأثير أفراد معدودين يسوقونها سوقا أما الى الخير واما الى الشر • وقل ان تكون لهذه الجماعة ارادة ظاهرة فى انصياعها لهؤلاء الافراد أو الزعماء أو القادة •

ومن هنا كثرت الآراء التي تشكك في الرأي العام من حيث هو • وهنا نضيف الى التعريفات التى سبق أن أشرنا اليها تعريفات اخرى لها طابع التشكيك في وجود الرأي العام • ومنها على سبيل المثال :

١ ـ الرأى العام الموحد للجماعة أمر لا يمكن تصوره حتى فى أوقات كفاح الشعوب من أجل مصيرها • ذلك ان الشجاعة فى ابداء الرأى تختلف من فرد الى فرد • والعقول التى يصدر عنها الرأى تختلف من حيث القوة والضعف • والاهداف التى تسعى اليها الجماعة تختلف من حزب الى حزب •

٢ ـ ومن هذه التعريفات : الرأي في ذاته هو محاولة لتحقيق أمر ما بوسائل ناقصة ـ أو بعبارة اخرى ـ بطرق ليست مستكملة • ومعنى ذلك ان صاحب الرأى لا يتأكد لديه رأيه الا بموافقة الآخرين عليه • ولذلك نرى فى نفس صاحب الرأي شيئا من القلق والتناقض ؛ فهو يخشى دائما أن يكون مناظره فى الرأى صاحب الحق •

٣ ـ ومن هذه التعريفات كذلك : الرأى العام لا وجود له في الحقيقة ـ فانه مما لا شك فيه دائما ان هناك رأيا ظاهرا بين آراء الجميع ـ أو رأيا غالبا على ما حوله من آراء الجميع • ومعنى ذلك بطريقة اخرى انه ليس هناك ما يسمى بالرأي العام • بل هناك رأي في الجماعة • وبين العبارتين فرق لا سبيل الى انكاره •

٤ـ ومن هذه التعريفات أخيرا : ـ ان الرأى العام ليس رأى الشعب بأكمله • بل يصح أن يكون رأي طبقة لها الاغلبية أو السلطة على طبقات الشعب الاخرى • والارجح أن يكون رأي الطبقة المتسلطة في الامة هو الرأى الغالب أو الرأى الذى له السيادة والنفوذ والتفوق على آراء الطبقات الاخرى •(١)

---

(١) عبداللطيف حمزة : الصحافة والمجتمع ٨ ـ ١٠ •

محاولة جديدة لتعريف الرأي العام :

يقول صاحب كتاب (الرأي العام والحرب النفسية)[٢] :

« الواقع ان هذه الاختلافات فى تعريف الرأي العام انما تنبع من اختلافات فى وجهة النظر الاجتماعية والسياسية الى الجماهير ، وفى مدى الايمان الحقيقي بهذه الجماهير • كما تنبع أيضا من الخلط بين رأي الاغلبية ورأي الطائفة • أو بمعنى آخر – بين الرأي العام والرأي النوعي •

ولذلك فقد حاولنا أن نضع تعريفا جديدا للرأى العام ينبع عن ايماننا بأن الجماهير هى القوة المحركة الحقيقية فى المجتمعات الحديثة متى أتيح لها القدر الكافى من النوعية •

« فالرأى العام هو الرأى السائد بين أغلبية الشعب الواعية بالنسبة لموضوع أو أكثر يمس هذه الاغلبية مسا مباشرا أو يشغل بالها ، ويحتدم فيه الجدل والنقاش فى فترة معينة » •

« ولا يقلل من أهمية هذا الرأى وجود آراء مخالفة لبعض الفئات ذات المصالح المغايرة لمصالح الاغلبية » •••

فقوله (يشغل بالها ويحتدم فيه الجدل والنقاش) معناه بيان دور وسائل الاعلام والتوعية فى القاء الاضواء على المسائل العامة التى ينبغي ان يلم بها الشعب الماما صحيحا ، أو التى قد لا يدركها الشعب بسبب الجهل أو قصور الوعي • ذلك ان من لا علم له لا رأي له • أما ضرورة احتدام الجدل فلأن الجدل من شأنه تقليب أوجه المسألة المثارة والوصول الى الحقيقة •

وأما قوله (فى فترة معينة) فلأن لكل مشكلة أو حدث أو وضع معين ظروفه المحدودة بزمن وقوعه سواء كانت ظروفا سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية • وقد تتغير هذه الظروف بمرور الوقت •

---

(٢) مختار التهامى ص ٢١–٢٢ •

الفصل الثانى

الـرأي العـام والاتجـاه العـام والسخط العـام

قلنا ان الرأى العام هو رأى الجماعة الذى تتخذه نحـو مشكلة أو حادثة معينة • أما الرأي الخاص فهو يمثل رأي الشخص الذي تعنيـه المشكلة أو يفكر فى هذه الحادثة من وجهة نظره فقط •

من أجل ذلك يمتاز الرأي العام بأنه أقل تعرضا للتغير أو التحول من الرأي الخاص الذى هو شخصي بحت • ذلك ان الاول ـ وهو الرأي العـام ـ متصل أقوى اتصـال بالجماعـة ـ كمـا أوضحنـا ـ بخـلاف الرأى الخاص فانه متصل بالفرد • فلو سألت كل فرد من أفراد الجماعة عن رأيه فى مسألة من المسائل ، أو حادثة من الحوادث وجدت له رأيـا مخالفا لآراء الافراد الآخرين • وهذه بديهية لا تحتاج الى شرح أو تعليل • فلننتقل منها الى الكلام عن :

الفرق بين الرأي العام والاتجاه العام والسخط العام :

الرأي العـام ـ هو ما يصل اليه المجتمع الواعي بعد تقليب وجهات النظر المختلفة والآراء المتعارضة •

وأما السخط العام ـ فهو ما تصل اليه الجماهير بمجرد الاثارة أو الانفعال برجل واحد فقط ، أو حادثة واحدة فقط ، أو فكرة واحدة فقط ، أو زاوية واحدة فقط لا تكاد تسمح لغيرها من زوايا النظر بالظهور بحال ما .

والاتجاه العام ـ هو ما يكون نتيجة لاتفاق الجماهير على شيء معين يرون فيه صيانة لهم ولتقاليدهم ، أو دفاعا عن معتقداتهم ، أو محافظة على تراثهم الحضاري ونحو ذلك .

والرأي العام نتيجة البحث والدرس والمناقشة والتجربة والفحص . وهو من هذه الناحية يعتبر قوة خالقة . ومن ثم كان الوعي القومي في بلد من البلاد انما يقاس بالرأي العام ولا يقاس مطلقا بالسخط العام . وذلك ان الناس في حالة (الرأي العام) يتمتع كل واحد منهم بحرية المناقشة . ويستطيع أن يظهر شخصيته . وأمامه الفرص الكثيرة لاقناع غيره بالرأي الذي يراه . ولكن الناس في حالة السخط العام تنعدم فيهم هذه الحرية . ففي الزحام والتجمع تنمحي شخصية الفرد عادة . ويفكر الناس بالصور والخيالات ، ويكون المجال واسعا أمام القادة والزعماء المندفعين (وهم المعروفون عند الاوروبيين باسم الديماجوج) لكي يثيروا الجماعات ويستغلوا سذاجتها . وهنا تنعدم ذاتية الأفراد انعداما تاما كما قلنا .

ان الشعب في حالة السخط العام يكون أشبه شيء بالنظارة في المسرح يتأثرون بالرواية المسرحية وقت مشاهدتهم لها . وقلما يستطيعون الجمع وقتئذ بين المشاهدة والنقد .(١)

---

(١) عبداللطيف حمزة : المدخل في فن التحرير الصحفي ، ص ٢٠ .

طرق التعبير عن السخط العام أو الرأي العام :

فى حالة السخط العام نجد ان الجمهور يعبر عن نفسه بطرق أهمها أربع وهي :

آ ـ طريقـة التبرير ـ Rationalisatim

ب ـ طريقـة الابدال ـ Displacement

جـ ـ طريقة التعويض ـ Compensation

د ـ طريقـة الانسلال أو الاسقاط . Projection

١ ـ (فاما التبرير) فهو فى الجماعات مثلما هو فى الافراد سواء بسواء • انه عبارة عن تعليل الفعل الذى يصدر عنك بأسباب تبدو معقولة فى نظر سواك • مع ان الحقيقة هي ان هذا الفعل الذى صدر عنك انما صدر لاسباب عاطفية بحتة تحاول اخفاءها عن غيرك بكل الطرق الممكنة •

وهذا الذى يحدث بالقياس الى الفرد هو بعينه ما يحدث بالقياس الى الجماعة • فمتى شعرت الجماعة بشيء من الخوف أو القلق أو الذنب أو الفشل فانها تلوذ بطريقة التبرير للتخلص من هذا الشعور ، أو للتخفيف منه على أقل تقدير •

أجريت دراسات عديدة فى أمريكا لمعرفـة السبب الـذى من أجله يتعصب الامريكيون ضد الزنوج ، ويسخطون عليهم كل هذا السخط • فوجد ان البيض يبررون ذلك بحجج غير منطقية ؛ منها ان الزنجي يميـل الى الكسل ، وان به نقصا من الناحية البيولوجية ، وأن تعاريج المخ فى الرجل الاسود أقل منها في الرجل الابيض ، ومنهـا ان الـزنوج أشـبه بالحيوانات من حيث الخلقة •

ونظر المثقفون الامريكيون فى جميع هذه الاسباب فوجدوها واهيـة

فى أساسها • ولكن الشعب الامريكي ما زال فى سخطه العام ضد الزنوج ، وما زال يبرر سخطه بمثل هذه الاسباب •

٢ ـ (واما الابدال) فهو اجتهادك في ان تحصل على رغبة من الرغبات بدلا من رغبة اخرى فشلت فى الحصول عليها قبل ذلك • ويتضح الابدال فى سلوك الفرد اذا غضب من والده أو والدته فى البيت ولم يستطع الرد عليهما • فان غضبه فى هذه الحالة يتحول الى أخيه الاصغر • وقد يعبر عن ذلك الغضب أيضا بكسر بعض الآنية التى تكون قريبة منه •

ومثل هذا الابدال يحدث فى الجماعات • ففى حالة الاضراب العام ترى المتظاهرين يعمدون الى تحطيم أسلاك البرق وأعمدة النور وطرق السكك الحديدية • كما حدث ذلك فى الثورة الشعبية الكبرى فى مصر سنة ١٩١٩ • وقد يشتد سخط الجماهير فوق هذا الحد فيعمدون الى احراق الحوانيت العامة والفنادق الكبيرة ، بل احراق المدينة كلها • كما حدث ذلك فيحريقالقاهرة المعروف قبيل الثورة الاخيرة • ونعني بها ثورة الثالث والعشرين من شهر يوليه عام ١٩٥٢ •

٣ ـ (وأما التعويض) فمعناه تعويض الفرد نفسه عن نقص يشعر به • والتاريخ حافل بالامثلة الكثيرة والشواهد العديدة على صدق هذا القول • وبسبب ذلك نجد أكثر الزعماء والقادة وكبار الشعراء والادباء والفنانين يولدون بنقص جسمي يشعرون به شعورا قويا فى حياتهم ، ويحاولون تعويض هذا النقص بأعمال معينة توصلهم الى المجد والشهرة •

وفى رأي علماء النفس ان الفنون والآداب ووسائل التسلية واقامة الحفلات والمهرجانات كلها امور تلجأ اليها الشعوب هربا من التوتر الناشيء عن قسوة الحياة ذاتها • ومن ثم كانت حفلات الترفيه التي تقيمها الجيوش

في حالة الهزيمة أمرا بالغ الاهمية • ومن هذا القبيل كذلك ما قيل ان من أسباب ظهور القصص الشعبية كقصص الف ليلة وليلة شعور العامة بسخط على الخليفة لانحراف فى سلوكه الشخصى أو فى سلوك أهل بيته • واذ ذاك شجع الخليفة على ظهور هذه القصص ليلهو بها الشعب الساخط ويشغله ذلك عن الجرائم التي أثارت فى نفسه كل هذه الريب •

وبالرغم من أننا لا نميل الى تصديق هذا السبب : فاننا نميل الى ان نأخذ منه مثلا من أمثلة التعويض •

فمن هذا القبيل كذلك ما تفعله بعض الحكومات حين تريد أن تشغل بال الرأي العام بقصة مخترعة أو حادثة مختلقة تصرف الرأي العام بها عن النظر فى خطأ وقع من الحكومة وخافت أن تتحدث عنه الصحف •

ومن هذا القبيل كذلك جميع الاخبار الهشة أو التافهة مما يساعد الاستعمار فى كل بلد من البلاد التي تقع تحت حكمه لكي يصرف بها نظر الصحف عن الخوض فى السياسة الاستعمارية ذاتها : ان قصة مخترعة كقصة الصعيدي الذى أراد شراء الترام فى مدينة القاهرة • أو قصة الفلاح الذى أراد أن يشتري ميدان العتبة الخضراء بأكمله ـ لما يشغل الناس بالتفكه والتسلية ، ويصرفهم عن الالتفات الى القضايا الجادة والمسائل الهامة والسياسة العليا للحكومة ونحو ذلك •

٤ ـ (واما الانسلال أو الاسقاط) فمعناه تبرئة النفس من أعمال صدرت عنها ونسبتها الى الغير ، أو هو تفسير للمثل العربي القائل « رمتني بدائها وانسلت » •

ومن الامثلة على الاسقاط أو (الانسلال) ادعاء اسرائيل أن العرب لا يحبون السلام وأنهم أهل عدوان ، على حين ان العكس هو الصحيح •

وقد نبهنا الاستاذ (البج) في كتابه (الرأي العام الحديث) الى أن جميع هذه الطرق التي يعبر بهـا الرأي العام أو السخط العام عن نفسـه فى بعض الاحيان هى بعينها الطرق التى تعتمد عليها الدعاية • ومعنى ذلك بعبـارة اخرى أن كلا من الدعاية والرأي العام يتفقان فى سيكولوجية التفكير أو التأثير على الجماهير • ومن ثم اعتمدت الدعاية على كثير من الدوافع النفسية والعقلية التى يعتمد عليها الرأي العام •

فالتبرير يعتبر مظهرا من مظاهر الدعاية وأساسا لها • ومن هنا يعتمد الدكتاتور فى كل زمان ومكان على طائفـة من المبررات التي يبرر بهـا سلوكه ويفسر بها أكثر تصرفاته • ومن أوضح الامثلة على ذلك ما فعله (هتلر) حين كان يسوق قومه الى الحرب بحجة أنهم العنصر الممتاز على سائر البشر • ومن حقهم أن يكونوا سادته • ومثل ذلك يقال عن اضطهاد الملونين فى كل من أمريكا وأفريقيا • ومثله كذلك يقال فى تلك الحماقة البشرية التى يسمونها (القنابل الذرية أو الهيدروجينية) الخ ••

والابدال يعتمد عليه كيان الساسة ورجال الاعلان والدعاية عـلى أوسع نطاق ممكن • ومن الشواهد على الابدال ما فعله (هتلر) كذلك من تحويل سخط الشعب الالمانى على سوء الاحوال الاقتصادية فى المانيا الى سخط على اليهود وعلى الشيوعية • ومثل ذلك يقال أيضا فى تحويل سخط الشعب على الحاكم المتفرد بالسلطة الى سخط على أعوان هذا الحاكم وعلى جميع مشروعاته الاصلاحية •

والاسقاط يعتمد عليه رجـال الدعاية كذلك فى ترويج الشائعات التى لا نصيب لها من الصحة ولا أساس لها من الواقع • ولذلك ترى كثيرا من الشعوب ترمي الشعوب المعادية لها باخطائها وذنوبها ، وتوسع هـوة الخلاف بينها وبين تلك الشعوب البريئة من هـذه الذنوب أو العيـوب •

والقصد من ذلك خلق الجو المناسب لاعلان الحرب عليها ، ودفع الشباب الى أتون هذه الحرب .

والتعويض يلعب دوره كذلك فى دنيا الدعاية . ومن أجل ذلك نرى الدولة المذعورة من جاراتها ـ مثل اسرائيل ـ تحاول الاعتداء من آن لآخر على الدول المجاورة لها ، لاخفاء ضعفها من جهة ، وايهاما بأنها قوية بمفردها وليس من السهل التغلب عليها من جهة ثانية .

والدعاية بهذه الطرق الاربع المتقدمة تستغل ما يسميه علماء النفس « بمنطقة اللاشعور » فى الافراد والجماعات أما منطقة الشعور ـ ونعني بها الغرائز والعواطف ـ فانها خارجة عن نطاق هذا البحث .

(والخلاصة) ان الرأى العام ـ وخاصة حين يتحول الى سخط عام ـ يعبر عن نفسه بطرق كثيرة . منها ما يتصل بمنطقة الشعور ومنها ما يتصل بمنطقة اللاشعور ، وان كان ما يتصل منها بمنطقة اللاشعور أخطر وأعمق .

الشعارات :

وكثيرا ما يعبر الرأي العام عن نفسه كذلك بطريق الشعارات أو فيها ـ أي فى هذه الشعارات ـ يبلور الزعماء والقادة أفكارهم التقدمية وآراءهم وخططهم الوطنية . ولذلك نرى لكل نهضة من النهضات السياسة مجموعة من الشعارات مخالفة لشعارات النهضات التى سبقتها أو النهضات التى تأتي بعدها ... كما نرى لهذه الشعارات من القوة ومن التأثير في الجماهير ما يشبه الاحاديث النبوية فى نفوس المسلمين . وان كان القياس هنا مع الفارق البعيد كذلك .

كان من شعارات الثورة الشعبية الكبرى فى مصر لسنة ١٩١٩ قول

سعد زغلول : الحق فوق القوة والامة فوق الحكومة ، الاستقلال التام أو الموت الزؤام الخ

ومن شعارات الثورة المصرية لسنة ١٩٥٢ قول الرئيس جمال : ارفع رأسك يا أخي فقد مضى عهد الاستبداد ، وقوله : مجتمع الكفاية والعدل • وقوله : أتينا لمحاربة الاقطاع واستغلال رأس المال الخ

ان كل شعار من هذه الشعارات يبلور فيه الزعيم الجديد جميع المبادىء والافكار والاماني القومية التى أتى لتحقيقها • وهذه الشعارات على اختلافها يسهل حفظها وترديدها • ويصبح لها وقع كبير فى نفوس الجماهير يغني عن المجهودات الكبيرة التي تقوم بها معظم وسائل الاعلام •

الفصل الثالث

أنواع الرأي العام

تقع أزمة من الازمات أو حادثة من الحوادث فاذا بالقادة فى الامة يبسطون آراءهم فى هذه الازمة أو الحادثة • ونرى كل واحد منهم يحاول أن يضع علاجا لذلك بخلاف العلاج الذى يقترحه الآخرون •

وباحتكاك الآراء المختلفة ووجهات النظر المختلفة تستطيع الامة أن تتبين وجه الصواب فى الازمة أو المشكلة التي تواجهها • ثم تتبلور هذه الآراء فى خطة واحدة تكاد تجمع عليها الاغلبية • وبذلك يتألف ما يسمى بالرأي العام •

ولكن هل تصلح الجماعة كلها بجميع أفرادها للمشاركة فى تكوين الرأي العام ؟ وهل يصلح جميع أفرادها لمناقشة هذا الرأي ؟ هنا ينبغي للباحث ان يفرق تفرقة واضحة بين طبقتين على الاقل من طبقات المجتمع : طبقة المستنيرين أو المثقفين الذين يستطيعون أن يدرسوا ويناقشوا ويدافعوا

عن وجهة نظرهم • وطبقة السوقة أو الدهماء الذين لا حيلة لهم غير الانقياد لرأي الطبقة السابقة •

ومن هنا ينقسم الرأي العام الى ثلاثة أنواع عند بعض العلماء على النحو الآتي :

أولا ـ الرأى العام المسيطر •

ثانيا ـ الرأي العام المستنير •

ثالثا ـ الرأي العام المنقاد •

فالاول ـ هو رأي القادة والزعماء والحكومات ونحو ذلك •

والثانى ـ هو رأي الطبقة المثقفة فى الامة • وهي الطبقة القادرة على الدرس والقراءة والمناقشة والاقناع •

والثالث ـ رأي السواد الاعظم من الشعب ممن يستجيبون لأول ناعق ، ويتبعون أول صيحة ، ويسلكون فى كثير من الاحيان سبيل الهياج والثورة ، ولا يملكون لانفسهم القدرة على مناقشة المسائل التي ثاروا من أجلها ، والمشكلات التي أبدوا سخطهم عليها ، ما دام الزعماء قد صوروا لهم ان هذه المشكلات انما تمس مصلحتهم العامة •

تقسيم آخر لانواع الرأي العام

على أن من الباحثين من رأي فى الرأي العام هذه الانواع :ـ

أولا ـ الرأي العام الكلي •

ثانيا ـ الرأي العام المؤقت •

ثالثا ـ الرأي العام اليومي •

فالاول ـ وهو الكلي ـ يتصل اتصالا قويا بالاشياء الثابتة فى

الامة كالدين والاخلاق والتقاليد • وفى هذا النوع يشترك السواد الاعظم من الامـة •

والثانى ـ وهو المؤقت يتمثل فى آراء الاحزاب السياسية والهيئات العامة ؛ وذلك عندما تسعى لتحقيق هدف معين فى وقت معين •

والثالث ـ وهو اليومى ـ وهو النوع المتقلب ، وعليه تعيش الصحف اليومية والاذاعة والتلفزيون وغير ذلك من الوسائل الاعلامية •

تقسيم ثالث لانواع الرأي العام

ومن الباحثين كذلك من يجد فى الرأي العام انه ينقسم الى هـذه الانواع :

أولا ـ رأى الاغلبية أو الاقلية •

ثانيا ـ رأى الاقليات مجتمعة •

ثالثا ـ الرأي الساحق •

رابعا ـ الرأي الجامع •

فالاول ـ رأي الجماعة حين تنقسم الى أغلبية وأقلية • وقد تتحول الاولى الى الثانية • وقد يحدث العكس • وبسبب ذلك كان لرأي الاقلية وزن كبير في الامة ، ذلك لأن أصحاب الاقلية لا يسكتون عن بذل الجهود الكبيرة للوصول الى الاغلبية •

والثاني ـ رأي الاقليات مجتمعة ـ يكون حين تتفق على رأي معين لغاية معينة • وبسببه تسقط وزارة وتعقبها اخرى • ويستمر الحال على ذلك حتى تتمكن احدى الاقليات من الحصول على الاغلبية •

والثالث ـ الرأى الساحق ـ كثيرا ما يكون نتيجة لاندفاع الشعب حينا ، أو لتكاسله فى بحث المشكلات العامة حينا آخر • غير ان الشعب

اذا وصل الى الرأي الساحق عن طريق الدرس أو البحث بلغ الذروة في هذه الحالة • ولكن قلما يصل اليها •

والرابع ـ الرأى الجامع ـ وهو الرأى الذى تجمع عليه الامة • ولا يكون ذلك الا في أمر يرتكز على ما في الامة • وهذا الرأي هو الذي أطلقنا عليه فيما سبق اسم « الاتجاه العام » للامة • وهو رأي لا يناقش فى العادة • واذا تعرض أحد لمناقشته عرّض نفسه للخطر الحقيقي • ولذلك لا يتعرض له الا كبار المصلحين الذين يضحون بأنفسهم من أجل دعوة اصلاحية تتعارض مع تقاليد الامة • ومن هؤلاء على سبيل المثال قاسم أمين • فقد تعرض لموضوع سفور المرأة المصرية • ولقى فى سبيل ذلك من العنت والارهاق مالا مفر منه لمثله فى مثل الوقت الذى دعا فيه بهذه الدعوة •

تقسيم رابع لانواع الرأى العام :

من الباحثين من يرى فى أنواع الرأى العام انها أربعة وهى :

١ ـ الرأي العام المحلي ٢ ـ الرأي العام الاقليمي ٣ ـ الرأي العام العالمي ٤ ـ الرأي العام النوعي •

وهو تقسيم للرأي العام على أساس جغرافي • وذلك باستثناء الرأي العام النوعي •

ولكن هناك ما يسمى بالرأي العام العالمي كما تقدم :

ان الناظر فى تاريخ العالم الحديث يرى ان هناك أحداثا عالمية يكون لها آثارها القوية فى أكثر أجزاء العالم الذى نعيش فيه :

فالقنبلة الذرية ••• ••• •••

ومؤتمرات نزع السلاح ••• •••

ومؤتمرات التعايش السلمي كمؤتمر باندونج ....
والنزاع العالمي كما صورته الحربان العالميتان الاولى والثانية ...
والكشوف العلمية الباهرة ... ...
والآثار الفنية البارزة ... ...
والاعمال الادبية الخالدة ... ...
والازمات الاقتصادية الخانقة ... ...
والمذاهب السياسية المتجددة ... ...

كل واحد من هذه الامور هزّ العالم فى كل جزء من أجزائه هزا عنيفا واضحا وكان لذلك أثره ايضا فيما يسمى بالرأي العام العالمي الذى هو رأي الشعوب قبل أن يكون رأي الحكومات .

ويعبر هذا الرأى العام العالمي عن نفسه بطريق الصحف التي تكتب بلغات متعددة . وبطريق الاذاعات الموجهة الى عديد من الشعوب تتكلم لغات متغايرة . وبهذه الوسائل وأمثالها يتكون للشعوب ـ بصرف النظر عن الحكومات ـ رأي عام فى القضايا العالمية التي من أهمها قضية الحرب والسلام .

ماذا يقصد بالرأي العام النوعي ؟

المقصود به الرأي العام الذي يسود بين طائفة أو فئة معينة من الناس فى شعب من الشعوب بالذات ، أو فى مجموعة من الشعوب فى وقت معين ، وذلك بالنسبة لقضية أو أكثر تهم هذه الطائفة او الفئة . وتجمع هذه الفئات عادة عدة عوامل عنصرية أو دينية او طبقية او اقتصادية او سياسية او مذهبية او ثقافية او فنية . ومعنى ذلك ان الرأي العام النوعي اما أن

يكون على نطاق محلى او نطاق اقليمى او نطاق عالمي »[1] .

الرأي العام العربي :

وهو مثل من امثلة الرأي العام الاقليمي . وكذلك ينظر الى الرأي العام الافريقي والرأي العام الاوربي على أنهما مثالان من امثلة الرأى العام الاقليمي الذى هـــو الرأى السائد بين مجموعة من الشعوب تربط بينهـا المصلحة المشتركة والتاريخ المشترك والتقاليد والمعتقدات المشتركة واللغـة المشتركة والثقافة المشتركة ونحو ذلك .

ومما لاشك فيـه ان جميع هذه الاعتبارات السابقة تربط بين البـلاد العربية وتجعل منها وحدة لا يمكن انكارها ولا يمكن اضعافها مهما حاول الاستعمار أن يعمل على اضعافها .

ونظن ان الاستعمار ان نسى لا ينسى حادث العدوان الثلاثي على مصر سنة ١٩٥٦ . وكيف وقفت البلاد العربية كلها صفا ضد الدول التي اشتركت فى هذا العدوان وهي انجلترة وفرنسا ومعهما اسرائيل .

ونظن ان الاستعمار ان نسى لا ينسى قبل ذلك ثورة الثالث والعشرين من شهر يوليو (تموز) سنة ١٩٥٢ وكيف كان لهذه الثورة اصداء قوية فى اجزاء العالم العربي . ونخص بالذكر منها العراق واليمن . وفيهمـا انهزمت الملكية والرجعية أمام قوى الجمهورية والتقدم .

ونظن ان الاستعمار ان نسى لا ينسى كذلك الموقف الموحد للبـــلاد العربية كلها بأزاء اسرائيل وقضية فلسطين . ولاشك ان اسرائيل تعمـــل الف حساب لهذه الوحدة العربية التي ستختار الوقت الذى تسترجع فيـه

---

(١) مختار التهامى ـ الرأى العام والحرب النفسية ص ٧١ـ٧٢ .

فلسطين العربية بصفة نهائية ، وتأخذ فى اعداد نفسها اعدادا تاما لهذه الغاية .

(وبعد) فان تقسيم الرأى العام الى انواع يمكن ان تكون له صور كثيرة قد لا نستطيع ان نحصرها او الوقوف بها عند عدد معين من هذه الصور . وما على الباحث الا أن ينظر الى هذه الصور من زاوية جديدة عدا الزوايا التي أشرنا اليها حتى يستطيع أن يستحدث تقسيما جديدا للرأى العام يضيفه الى هذه التقسيمات الاربعة المذكورة . وفى ذلك ما يؤكد وجود الرأى العام . وليس فيه ما ينكر وجوده .

الفصل الرابع

عوامل تكوين الرأى العام

لا نكاد نعرف ظاهرة اجتماعية تتأثر بما حولها من الاشياء كما تتأثر ظاهرة الرأى العام • ذلك أنه المرآة التي تنعكس عليها صورة المجتمع بكل ما فيه من عقائد وخرافات وتقاليد وعادات وافكار وآراء واخبار تأتي من هنا وهنـاك •

معنى ذلك ان هناك امورا كثيرة تدخل فى تكوين الرأى العام ، ولا سبيل الى حصرها فى الحقيقة • ولكننا نستطيع ان نضع ايدينا على بعض هذه الامور او على اهمها واخطرها فى الحقيقة ومنها ما يلى :

اولا ـ الاعلام والدعاية بالوسائل المعروفة قديما وحديثا •

وسندرس هذه الوسائل فى فصل آخر • وسنحاول ان نوازن بين هذه الوسائل ، وان نعرف أصلحها لكل بيئة من البيئات ، ولكل مرحلة من المراحل التي تمر بها المجتمعات الانسانية • وحسبنا ان نعرف منذ الان ان

المقصود بالاعلام انه عبارة عن تزويد الجماهير بالمعلومات الدقيقة ، والاخبار الصحيحة ، والحقائق الواضحة ، والنتائج المبنية على الارقام والاحصاءات • ولا يكون الاعلام صحيحا فى الغالب ما لم يكن مبنيا على هذه الاسس •

اما الدعاية فحسبنا هنا ان نقول انها محاولة التأثير فى الجماهير عن طريق عواطفهم ومشاعرهم وفى سبيل هذه الغاية يتغاضى الداعية عن بعض الحقائق الهامة ، والاسس التي تحدثنا عنها ، او يحدث فيها تحويرا ما تبدو به هذه الاسس بشكل آخر •

ومن هنا كان لابد للاعلام بصوره المختلفة ، والدعاية باشكالها المختلفة كذلك من أن تؤثر تأثيرا بعيد المدى فى تكوين الرأى العام • فرجل الاعلام فى سبيل الوصول الى هدفـــه يشقى كثيرا فى جمع المعلومات الصحيحة واجراء الاحصاءات الدقيقة ، مؤيدا كلامه بالحقائق التي لا يأتيها الباطل من بين يديها او خلفها •

والداعية فى سبيل الوصول الى هدفه كذلك يبذل الوعود الكاذبة او الصادقة ، وينشر الاخبار التي تعوزها الدقة الكاملة ، ويخاطب فى النـاس قلوبهم قبل عقولهم ، ويجعلهم يعيشون فى احلام لذيذة والفاظ معسولة تترك أثرها كبيرا فى قلوبهم وفيما يكونونه لأنفسهم من رأي فى مسألة من المسائل ، أو فى معروض من المعروضات •

وقد لا تتمثل الدعاية بجلاء كما تمثلت فى حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ • وهي الحرب التي مني فيها العـرب بالفشـل • كما تمثلت ايضـا بجـلاء فى العدوان الثلاثى على مصر سنة ١٩٥٦ • وهو العـــدوان الذى انتهى بهزيمة انجلترا وفرنسا ومعهما اسرائيل •

ثانيا ـ الهمس والشائعات :

والهمس والشائعات من ادوات الدعاية لا الاعلام فى اغلب الاوقات ، الا اذا تهامس الناس فى الامور الصحيحة التي لا يستطيعون ان يصرحوا بها فى الصحف او الاذاعة وغير ذلك .

وهاتان الأداتان الخطيرتان ـ وهما الهمس والشائعات ـ تعملان في الواقع على بلبلة الافكار ، والتأثير فى الخاصة والعامة من الناس ، وخاصة فى الازمات السياسية وأوقات الحرب . وفى الناس ميل الى تصديق الشائعات دون محاولة منهم للوقوف على الحقيقة ، وقد لا يكتفي احدهم بتصديق الشائعات حتى يضيف اليها من عنده ، ويأتي بعده من يضيف اليها شيئا آخر وهكذا . وهنا يكمن الخطر كل الخطر من الشائعة مهما كانت بسيطة فى أول أمرها .

ولكن من أين تتولد الشائعة فى الغالب ؟ انها تتولد فى الحقيقة من احدى هذه الحالات :

اولاها ـ وجود خبر لا أساس له من الصحة .

والثانية ـ تلفيق خبر لا نصيب له كذلك من الصدق .

والثالثة ـ المبالغة المقصودة والتزيد الواضح فى نقل الخبر على نحو ما شرحنا .

وهناك دوافع اخرى كثيرة تحمل الناس على ترويج الشائعات . ومنها :

١ ـ دافع حب الظهور .

٢ ـ ودافع التسلط .

٣ ـ ومنها الرغبة فى التأييد العاطفي للمذعور من الناس بقصد أن يشاركه الناس فيما يشعر به من قلق او خوف او كراهية ونحو ذلك .

مهما يكن من شيء فان فى ترويج الشائعات ما ينفس عن اصحابها ويريحهم كما تفعل الاحلام بالنائم ، فانه يعبر بها احيانا عن بعض الرغبات المكبوتة فى اعماق نفسه ، وهي الرغبات التي عجز عن تحقيقها فى اليقظة .

واكثر ما تنتشر الشائعات ـ كما قلنا ـ فى اوقات الازمات وفى وقت الحرب ، وعندما يعود الجنود الجرحى من الميدان . هنا تحرص القيادات الحربية الرشيدة على ألا يعلم الناس باخبار الجنود الجرحى عند عودتهم من الميادين ، ولذلك ينظم الجيش حركة ارجاعهم الى بلادهم بطريقة سرية . واكثر ما يكون ذلك في ظلام الليل .

من أجل هذا قلنا ان الشائعات تعتبر من اسهل طرق الدعايات المغرضة او الدعاية السوداء ومن أشدها أثرا فى تحقيق الغرض الذى قامت من أجله . ولا سبيل الى محاربة الدعاية التي من هذا النوع الا بالاعلام الصحيح والوعي الصحيح والدراسة العميقة للرأى العام فى وقت ظهور الشائعة . ولا بأس من اشراك المساجد والكنائس والمدارس والجامعات وأماكن التجمعات العامة فى محاربة الشائعات الكاذبة ، وذلك فضلا عن الصحف والاذاعة والتلفزيون وغيرها من وسائل الاعلام المألوفة .

ثالثا ـ الزعماء السياسيون والمصلحون الاجتماعيون ومن اليهم .

وهؤلاء الزعماء والمصلحون فى العادة قسمان :

قسم يساير اتجاهات الامة . وقسم يحاول ان يفرض عليها تجديدا لم تعرفه من قبل . وكل من هذين النوعين من القادة يؤثر فى الرأى العام تأثيرا لا سبيل الى انكاره . وان كان النوع الاول من القادة ـ وهو النوع

المساير لاتجاهات الامة ـ اسرع نجاحا واقوى تأثيرا من النوع الآخر • ذلك ان قوة الفرد دائما تأتي من قوة الجماعة ، وارادة الفرد انما تقـوى بارادة الجماعة • وهذا هو السبب الذى من أجله ينجح الزعماء السياسيون بأسرع مما ينجح المصلحون الاجتماعيون ، أو قادة الفكر غير السياسى فى الامة • وآيـة ذلك ان كلا من سـقراط وافلاطون وارسطو ، وجليليو ، ونيوتن ، وقاسم امين ، ومحمد عبدة قد اضطهدوا فى العصور التى عاشـوا فيها وصبروا على ما أوذوا • ولم تقدرهم العصور التي عاشوا فيها مثلمـا قدرتهم العصور اللاحقـة التي رفعتهم الى المنـزلة التى كانوا يرجونها فى حياتهم • وعلى العكس من ذلك ينجح الزعماء السياسيون الذين عبـروا تعبيرا واضحا عن آراء مجتمعاتهم ، وجاءت أقوالهم صدى لآرائها وافكارها وآمالها ورغباتها •

وفرق آخر بين القيادة السياسية والقيادة الاجتماعية هو ان القيـادة السياسية ادنى الى ان تكون ظاهرة جماعية ، وليست ظاهرة فردية • ذلك انه متى وصل زعيم من الزعماء الى الدرجة التى يصبح بها معبود الجماهير ـ كما يقول الصحفيون ـ يصبح اداة قوية فى التعبير عن آراء الامة • واذ ذاك يستطيع الزعيم السياسى كذلك ان يخلق عددا من الشعارات السياسية التي تتناقلها الالسن وتسهل عليها ، وتكون خلاصة جيدة لخطة هذا الزعيم فى قيادة الامة •

رابعا ـ المشكلات اليومية سياسية كانت ام اقتصادية ام اجتماعية •

فى حديثنا عن تقسيم الرأي العام الى كلي ومؤقت عرفنا ان هناك رأيا ثابتا للامة لا يتغير بتغير الاحداث • وهذا الرأي تتدخل فى تكوينه عوامل كثيرة من اهمها عامل التراث الحضارى للامة • وهو ما سنتحدث عنـه فى

نهاية هذا الفصل . كما عرفنا ان هناك رأيا عاما لا يثبت على حالة واحدة . ولكنه يتغير ويتبدل . وهذا الرأى الاخير هو الذى يتدخل فى تكوينه العامل الذى نتحدث عنه الآن ـ وهو عامل المشكلات اليومية سواء كانت سياسية أم اقتصادية أم اجتماعية .

والذى لاشك فيه ان الحوادث والمشكلات تهز المجتمعات هزا عنيفا وتترك فيها آثار قوية . ولكنها مع ذلك آثار تتعرض للزوال بزوال الحادثة أو المشكلة .

فاضراب العمال فى مصنع من المصانع احتجاجا على قلة الاجور ينتج عنه رأي مؤقت سرعان ما يزول بزوال هذا الاضراب .

غير أن هناك من الحوادث ما يؤثر فى الرأي العام تأثيرا طويل الاجل رهيب النتائج . فالقضاء على الملكية في العراق نتيجة لثورة ١٤ تموز سنة ١٩٥٨ ، والقضاء على اسرة حميد الدين وحكم الائمة نتيجة لثورة اليمن ، والاطاحة بعرش فاروق نتيجة لثورة الثالث والعشرين من يولية سنة ١٩٥٢ ، كل هذه الحوادث التي جاءت نتيجة للانتفاضات العربية القومية ، دامت آثارها مدة طويلة واشتغل لها الرأى العام اشتغالا تاما ، ثم اصبحت هذه الحوادث فى ذمة التاريخ ولم يعد الرأى العام العربي يعنى بها كما فعل بالامس .

ولا شك ان حادث العدوان الثلاثي على مصر سنة ١٩٥٦ كان من أروع الامثلة على هذا الرأى المؤقت . وان كان قد شغل هذا الرأى وأثر فيه تأثيرا عميقا وموصولا من حيث الزمن ومن حيث السعة .

خامسا ـ التراث الحضاري :

والمقصود بالتراث الحضاري كل ما يحيط الامة من تجارب سابقة وخبرات قديمة وتاريخ سياسى وتاريخ ثقافى وتاريخ اجتماعي وتاريخ

أدبي وفني مر بالامة • والمعتقدات الدينية تشكل جانبا من هـذا التراث • وربما كانت أهم الجوانب فى الحقيقة •

ان التراث الحضارى اذن هو كل موروث من علم وادب ودين وعرف وتقاليد وحضارة مادية وحضارة معنوية ، وبسبب هذا التراث الحضارى للامـة يكون استمساكها برأى من الآراء ، او فكرة او عادة او عقيـدة ونحو ذلك •

وكثيرا ما نجد فى الكتب التي تتحدث عن الرأي العـام ان مؤلفيهـا يضربون المثل على هذا العامل الاخير ـ وهو التراث الحضارى ـ بكراهيـة الامريكيين للزنوج ، وأخذهم بمبدأ التفرقة العنصرية فى القرن العشرين ـ عصر الديمقراطية والمساواة والحرية • وهم يقولون ان هذه الكراهيـة يتغذى بها الطفل الامريكي فى البيت والمدرسة والجامعة • وعلى ذلك فان هذه الكراهية نتيجة للظروف المحيطة بالمجتمع الامريكي • وان كان هـذا المجتمع فى ذاته من احدث المجتمعات المعروفة • واكثر من هذا وذاك ان المواطن الامريكي من البيض يرى ويسمع كل يوم كثيرا من المبررات لهذا الشعور الذى يشعر به ضد الزنوج ـ كما سبقت الاشارة الى ذلك •

ولما كان هذا العامل الاخير ـ وهو التراث الحضاري ـ من اخطـر العوامل فى تكوين الرأى العام الثابت للامة ، ولما كان الدين عنصرا هـاما من عناصر هذا التراث الحضاري لأمة كالامة العربية ، فاننا نرى من العسير ان تحاول الشيوعية غزو الشعوب العربية غزوا مذهبيا على نحو ما فعلت فى بعض البلاد الاوربية والآسيوية • ذلك ان الدين الاسلامي يقف عقبة كأداء ضد الشيوعية ، وفى استطاعته ان يمنعها من الانتشار داخل البلاد العربية • ويظل الحال على ذلك ما بقيت هذه البـلاد محتفظة بالديانة الاسلامية أو

الديانة المسيحية . ومن أجل ذلك كان اول عمـــل قامت به الشيوعية فى منابعها الاصلية ـ ونعني بها بلاد السوفيت ـ عدم النظر الى الدين على انـه مقوم هام من مقومات الحياة الانسانية . ومن ثم اغفل الدستور السوفيتي ذكر الدين ، فتيسر للشيوعية هناك ان يكون لها هذا الانتشار والذيوع .

سادسا ـ التربية والتعليم :

مما لاشك فيه ان للمدرسة والجامعة اكبر الاثر فى تكوين المواطن الصالح فى الامة . كانت هذه حقيقة لا سبيل الى انكارها فى العهود الماضية . وهي حقيقة لا نزاع حولها فى العصر الذي نعيش فيه .

غير أن عمل المدرسة فى الواقع هو نقل التراث الثقافي للامـــة من جيل الى آخر . اما عمل الجامعة فى حقيقتـه فهو تكوين شخصية الطالب من الناحية العقلية البحتة . واذا كان للتربية والتعليم كل هذا الخطر فى تكوين العقول وتوجيه الرأى العام اصبح على الدولة ان تعنى بأمر التربية والتعليم لتشكيل العقول من جانب ، ولايجاد الوحدة الفكرية بين ابناء الامة الواحدة من جانب آخر ، وربط التعليم بالمجتمع والتعاون معه آخر الامر .

جاء فى الميثاق :

« ان حرية العلم التي كان في مقدورها أن تفتح طاقات جديدة للامل تعرضت هي الاخرى لنفس العبث تحت حكم الديموقراطية الرجعية » .

« ان اجيالا متعاقبـة من شباب مصر قرأت تاريخها الوطني على غـير حقيقته ... ان الاجيال المتعاقبة من شباب مصر انتظمت فى سلك المدارس والجامعات . وكان الهدف من وراء التعليم كله لا يزيد عن اخراج موظفين يعملون للانظمة القائمة ، وفى ظل قوانينها ولوائحها التي لا تأبه بمصالح الشعب » .

« ان تحالف الاقطاع والرجعية الحاكمة لم يكتف بذلك • وانما باشر ضغطه على جماعات كثيرة من المثقفين كان فى استطاعتها ان تكون ضمن الطلائع الثورية ، فكسر مقاومتها وفرض عليها أن تستسلم لاغراء ما يلقيه اليها من فتات الامتيازات الطبقية ، أو أن تذهب الى الانزواء والنسيان » •

سابعا ـ الاوضاع القائمة للدولة

سواء كانت هذه الاوضاع سياسية ام اقتصادية ام اجتماعية ونحو ذلك • ومما لا شك فيه ان هذه الاوضاع على اختلافها تترك آثارها في تكوين الرأى العام • فالفرق كبير بين النظام الدكتاتورى والاستبدادي والنظام الديموقراطي والاشتراكي • في الحالة الاولى يميل الحاكم الى التعسف وعدم السماح للمحكومين بابداء رأيهم فى المشكلات العامة • وفى الحالة الثانية يوجب الحاكم على نفسه أن يشرك معه المواطنين فى كل المشكلات القائمة ويجيز لهم ابداء الرأي •

ومثل ذلك يقال فى الفرق بين الامة التي تأخذ بنظام الاحزاب السياسية المتنازعة ، والامة التي تريح نفسها من هذا النظام في مرحلة من مراحل حياتها ـ هي المرحلة الانتقالية ـ كما سيأتي شرح ذلك بعد • فالرأي العام فى حالة وجود الاحزاب يبدو ضعيفا الى حد ما • والرأي العام فى الحالة الثانية يبدو للناس قويا وكأنه قد حظى بصفة الاجماع •

هذا من حيث الوضع السياسي للامة • اما من حيث الوضع الاقتصادي « فالجوع ـ كما يقولون ـ مرشد سيء للشعوب • والشعب الجائع لايمكنه ابدا أن يستخدم العقل وأن يقتنع بالمنطق • ولا مفر له من ان يكون لقمة

سائغة في أيـدي محترفي السياسـة الذين يستطيعون ان ينحرفوا انحرافا خطيرا به وبمثله الاخلاقية ومبادئه الانسانية ومصالحه الحقيقية » .

ولا يكاد التاريخ يحفظ مثلا واضحا من الامثلة على ذلك أكثر من نجاح الحزب النازي فى انتخابات عـام ١٩٣٠ بالمانيا حيث استطاع هـذا الحزب ان يستحوذ عـلى اصوات سبعة ملايين مـن العمال المتعطلين كانوا بطبيعة الحال ناقمين على الوضع الاقتصادى فى ذلك الوقت .

الفصل الخامس

دور الصحافة فى تكوين الرأى العام

قبل الخوض في موضوع دور الصحافة في تكوين الرأي العام يجدر بنا ان ننتبه الى أمر هام وهو ان الصحافة في عصرنا هذا لها معنيان :

معنى ضيق ومعنى واسع • والمقصود بالاول ـ وهو المعنى الضيق ـ الصحف والمجلات والنشرات ونحو ذلك • والمقصود بالثاني ـ وهو المعنى الواسع ـ جميع وسائل الاعلام المعروفة في وقتنا الحاضر ، كالاذاعة والتلفزيون والسينما والمسرح والندوة والمؤتمر الصحفي والمعرض فضلا عن الصحافة •

وتنظر الديمقراطيات الحديثة الى الصحافة بهذا المعنى الواسع على انها « السلطة الرابعة » فى الامة الى جانب السلطات الثلاث المعروفة ؛ وهي السلطة التشريعية والسلطة القضائية والسلطة التنفيذية•وترى الديمقراطيات الحديثة فى هذه السلطة الرابعة انها شديدة التأثير فى الرأى العام •

ومن اجل ذلك حرصت الديمقراطيات الحديثة ـ او قل أظهرت حرصها مرارا على حرية الصحافة فى حدود الصالح العام •

صحيح ما يقال عن الرأى العام انه محكمة ليست بذات سلطة قضائية • ولكنها مع ذلك مرهوبة الجانب من الحاكم والمحكوم فى وقت معا •

وليس الرأى العام استفتاء بالمعنى المقصود من هذه الكلمة • بل هو الرأى المتناقل بين الناس اما عن طريق الشائعات او الهمس او عن طريق الكتابات والمناقشات العلنية ونحو ذلك •

ان الرأى العام لا يتألف من الاراء الخاصة او الاراء الفردية • ولكن يتألف من المناقشات والجدل بين الافراد ويكون ثمرة لها • وغالبا ما ينتهي الجدل بان يسود رأى واحد لفرد واحد او لافراد قليلين على بقية الافراد ويظفر بالاغلبية • ولابد فى الرأى العام او الاعلام من وجود طرفين او عنصرين هما عنصر المرسل (بكسر السين) وعنصر المستقبل (بكسر الباء) • الاول هو الوسيلة الاعلامية التى تنقل المعلومات او الاخبار الى القارىء او السامع • والثاني ـ المستقبل ـ هو القارىء او السامع سواء كان فردا او جماعة • ويختلف الافراد بعضهم عن بعض فى استقبال المعلومات • لانهم يختلفون من حيث امزجتهم وقواهم العقلية وطريقة فهمهم للاشياء • ومن التأثير المتبادل بين المرسل والمستقبل يتكون الرأى العام فى العادة • وسنعود الى الحديث عن عناصر الاعلام عندما نتكلم عن الاعلام بعد الفراغ من الكلام عن الرأى العام •

مهدنا بذلك الحديث للكلام عن دور الصحف فى تكوين الرأي العام • من الخطأ ان نعتقد اولا ان الصحافة هى وحدها صانعة الرأى العام في الامة • فالاصح من ذلك ان يقال ان الصحف تؤثر فى الرأى العام

وتتأثر به فى نفس الوقت • وبعبارة اخرى ان الصحف تقود الرأي العام وتنقاد له • ولكن ذلك لاينفى ان الصحف ما زالت الى الان تعتبر من اقوى وسائل الاعلام ، ومن اقدرها على تكوين الرأى العام •

فما هي الطريقة التي تؤثر بها الصحافة في الرأى العام عادة ؟

تؤثر الصحيفة فى الرأي العام عن طريق الخبر تارة ، والتعليق أو العمود تارة ، وعن طريق الاحاديث والتحقيقات الصحفية تارة اخرى ، وعن طريق الاعلان والصور والرسوم الكاريكاتورية آخر الامر •

اما من جهة الاخبار

فينبغي للصحيفة التى تريد التأثير فى الرأى العام وتحرص دائما على احترامه لها والثقة فى اخبارها ان تجرى فى سياستها الاخبارية على النحو التالى :

اولا ـ يجب ان تتوخى الصحة التامة في نشر الخبر • ذلك ان الخبر هو الغذاء الرئيس للصحيفة • وبدونه لا يكون هناك وجود ما للرأي العام الذي تؤثر فيه الصحيفة • غير ان الخطأ الكبير الذى تقع فيه الصحف هي الميل احيانا الى تحريف الاخبار • وقد تبالغ بعض الصحف فى هذا التحريف فتجعل منه تزييفا للخبر • وفى ذلك يكمن الخطر كل الخطر على الصحيفة من جهة ، وعلى القارىء من جهة ثانية •

ان اول ما ينبغي ان يحفظه الصحفي من المبادىء هو المبدأ القائل بان (الخبر ليس ملكا للصحيفة ، وليس ملكا للرأى العام ولكنه ملـــك فقط للحقيقة) •

ومعنى ذلك ان الصحيفة ليست حرة فى ان تنشر الخبر بالطريقة التى تحلو لها • ولكنها مقيدة بتحرى الصدق والصحة والامانة والنزاهة في نشر الاخبار •

والصحيفة بعد نشر الخبر حرة فى شىء اخر هو :ـ

ثانيا ـ التعليق على الاخبار بما يتفق وسياستها وبما يعين القارىء فى الوقت نفسه على تكوين رأى له فى هذا الخبر •

ثالثا ـ ان تتبع الاخبار بعد الفراغ من نشرها والتعليق عليها • فعن طريق هذا التتبع يصبح الخبر متكاملا فى نظر القارى • والمهم أن التقصير في اى واجب من هذه الواجبات الثلاثة فى معاملة الصحف للاخبار يقلل كثيراً من قيمتها وقدرتها على التأثير فى الرأي العام ؛ بل يقضي قضاء تاماً على كيانها • وخاصة عندما تلجأ الصحيفة لغرض من الاغراض الى العبث بالخبر بصورة من الصور •

وأما من حيث العمود والحديث والتحقيق

فمعروف ان المقال الافتتاحي فى كل صحيفة من الصحف هو (المنبر) الخاص بها • ومن على هذا المنبر الخاص تتحدث الصحيفة الى قرائها ، وتؤثر فى افكارهم وميولهم بالطريقة الخاصة بها • وللصحيفة ـ كما قلنا ـ مطلق الحرية فى كتابة العمود أو الزاوية الصحفية • ولابد أن تكون فى كتابة هذا العمود او التعليق مسايرة للسياسة التى تميزها عن سائر الصحف• وفي وسع الصحيفة أن تصل عن طريق الاعمدة الى ما تصبو اليه من النفوذ الاعلامي والسيطرة على جمهور القراء ؛ حتى ولو لم تكن هذه الصحيفة مستندة الى حزب من الاحزاب او هيئة من الهيئات او قوة من قوى الحكم •

وأما من حيث الصور والرسوم

فعليها تعتمد الصحافة الحديثة ايضا فى التأثير فى الرأى العام • ذلك ان الصورة ـ كما يقول العارفون ـ تغني عن عشرة آلاف كلمة • وكذلك

الرسوم الكاريكاتورية تعتبر هى الاخرى سلاحا قويا من اسلحة الصحافة الحديثة • فان رسما واحدا من هذا النوع يشيع جوا من السخط على شيء معين أو رجل معين ، كما ينشر السخرية منه أو الرضا عنه وهو ما لا تستطيع فنون القول كلها أن تفعله الا بجهد جهيد •

واذا كان هناك فرق واضح بين الصحف وغيرها من وسائل الاعلام المعروفة فان هذا الفرق يأتى من ناحية الرسوم الكاريكاتورية • والفرق بينها وبين الصور الفوتوغرافية (أو الشمسية) ان هذه الاخيرة عندما تنقل الخبر او الحدث تلتقط لحظة واحدة من لحظاته • اما الكاريكاتور فانه لاينقل شيئا من ذلك ؛ وانما يراد به دائما نقد شخص من الاشخاص او فكرة من الافكار او رأى من الآراء او سياسة معينة او اتجاه معين ونحو ذلك [1] •

صحافة الخبر وصحافة الرأي

الصحف نوعان صحف الخبر وصحف الرأى فالاولى ـ تهتم بالاخبار قبل كل شيء وتغرى بها القارىء وتجذبه الى قراءتها • وهي لذلك اوسع انتشارا واضخم توزيعا من صحف الرأى •

والثانية ـ تعتنق رأيا او مذهبا من المذاهب السياسية او الاجتماعية ، وتدافع عن هذا المذهب ما وسعها الدفاع • واما الاخبار فليست غاية فى ذاتها عند هذا النوع من الصحف • فلا تنشر منها غالبا الا ما يتفق وهذا المذهب الذى تذود عنه وتأخذ نفسها بشرحه • ولذلك فان هذا النوع الأخير من الصحف اقل انتشارا من النوع الاول ، اذ ان قراء صحف

---

(١) الصحافة والمجتمع للمؤلف ص ١٦ ـ ٢٠ •

الرأى قليلون فى كل امة • ولكن صحف الرأى مع ذلك هى الموجهة الحقيقية للرأى العام • والدليل على ذلك ان صحيفة التيمس اللندنية ـ على ضيق انتشارها ـ تؤثر تأثيرا بعيد المدى فى سياسة الحكومة البريطانية ، واتجاهات الشعب البريطانى •

والمجلات والكتب والنشرات الدورية تلعب هى الاخرى دورا خطيرا في تكوين الرأى العام • ذلك ان المجلة اوسع صدرا من الجريدة لقبول البحوث السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، واقبل من الجريدة لنشر التحقيقات الصحفية التى قد لا تتسع لها الصحف اليومية • والمجلة لديها وقت أوسع لهذه المواد الصحفية من الجريدة • ومحرروها أكثر أناة وأعمق تفكيرا من محررى الجريدة • وأمام المجلة فرصة من نوع آخر ؛ هى اعادة النظر فى كل ما تنشره الصحف وعرضه على انفراد بصورة جديدة • ومن هنا تقف المجلة فى مكان وسط بين الجريدة من ناحية والكتاب من ناحية اخرى • فالكتاب ضخم يحتاج في قراءته الى زمن طويل وعناء كبير • والجريدة ادنى الى الايجاز والى السرعة • اما المجلة فانها تجمع بين الخصائص التي للجريدة والخصائص التي للكتاب فى وقت معا • ومن هنا كانت لها اهميتها الكبرى وتأثيرها القوى فى تكوين الرأى العام ؛ وخاصة عند الطبقة المثقفة من طبقات الامة •

الصحافة الصفراء

ونريد فى نهاية الكلام عن اثر الصحف فى تكوين الرأى العام ان نلفت النظر الى الخطر الكبير الذى ينجم عما يسمى بالصحافة الصفراء ، ونعني بها الصحافة التي تؤثر الخبر على المقال • والتى تعنى من الاخبار بما يتصل بالجنس والجريمة بنوع خاص • فهذا النوع من الصحافة يقوم على

مبدأ الاثارة ، ويجد له عددا كبيرا جدا من القراء فى كل بلد من البلاد • ولكنه فى نفس الوقت يعتبر نوعا من السم الذى ديف فى العسل • وتجاهد الامم فى الوقت الحاضر جهادا كبيرا فى سبيل التخفيف على الاقل من التأثيرات السيئة لهذه الصحافة الصفراء التى تهدد كيان المجتمع وتجنح بالكثير من افراده الى الانحراف • وذلك فضلا عما تسببه هذه الصحافة الصفراء من ضرر كبير بالحكومات لانها لاتعنى بغير الاخبار الهشة او التافهة التي تضيع وقت القراء ولا تعود بأية فائدة على المجتمع • والصحافة الصفراء تصرف نظر القراء كذلك عن العناية بالامور الجادة والمشروعات المفيدة والاراء الناجحة والافكار النافعة ونحو ذلك •

الرأي العام وحرية الصحافة

ينادى الكتّاب والصحفيون دائما بحرية الصحافة • والواقع ان صحافة بلا حرية لافائدة منها للمجتمع • اذ ان الكاتب المقيد قلما يقدم لمواطنيه افكارا سليمة او آراء نافعة • غير ان حرية الصحافة مع ذلك مهددة فى الدول الرأسمالية والدول الشيوعية باخطار كبيرة • ففى الدول الرأسمالية نجد ان حرية الصحافة تستحيل الى حرية ليس لها من الحقيقة غير الاسم • وذلك عندما تسيطر المصالح الرأسمالية على الصحف سيطرة كبيرة • وذلك ايضا عندما يضع رجال المال او رجال السياسة او رجال الحكومة أيديهم على الصحف باسم حرية الصحافة • وطريق رجال المال الى ذلك هو (الاعلانات) التى لا تستطيع الصحف أن تعيش بدونها بحال ما • وذلك ان الاعلانات تشكل ما لايقل عن ٦٠٪ من ارباح الصحيفة • وباقى الارباح وقدرها ٤٠٪ تأتي من التوزيع •

ولسيطرة رأس المال على اجهزة الاعلام نتائجها المعروفة ووسائلها

التى أصبح لايجهلها أحد من الناس • ان اصحاب رؤوس الاموال يستطيعون تنظيم الحملات السياسية عن طريق الدعاية والصحف • وعن طريق هذه الحملات يحصلون على الحكومات التى تأتمر باوامرهم ، وتعمل لارضائهم • واما الحكومات التى ترفض عمل شيء من ذلك فان نصيبها الفشل والهزيمة أمام الرأى العام حتى تخضع خضوعا تاما لسيطرة رأس المال • هذا ما يحدث فى الدول الرأسمالية كامريكا • واما الدول الشيوعية فيبدو ان حرية الصحافة ليس لها وجود فعلي فيها • برغم ان دساتير هذه الدول تنص على وجودها• فالصحف فى الاتحاد السوفيتي ـ على وجه التمثيل ـ لاتعدو ان تكون اداة طيعة فى يد (الحزب الواحد) يحركها كيف يشاء ، ولا يكاد يدع لها حرية ما فى ابداء رأى او توجيه نقد أو رسم خطة لايرضى عنها الحزب •

(والخلاصة) انه لا وجود لحرية الصحافة الا فى مجتمع ديمقراطى يستطيع التخلص من سيطرة رأس المال ومن سيطرة الحكام واين هذا المجتمع الديمقراطى بهذا المعنى ؟ الواقع انه لا وجود له •

معنى ذلك ان الحرية الصحفية مفقودة • ولكن اصح من ذلك ان يقال انها موجودة بقيود • وسندرس فى باب الاعلام من ابواب هذا الكتاب ما هى الحكمة من هذه القيود التى تقيد بها الصحافة • وما نوع هذه القيود فى كل وضع من الاوضاع الحكومية في العالم قديما وحديثا •

قياس الرأي العام

لقياس الرأى العام طرق كثيرة عند علماء الاجتماع ينتفعون بها كثيرا فى دراساتهم الخاصة بالمجتمع • ومنها طريقة الاستفتاء Questionaire . وهي عبارة عن مجموعة من الاسئلة مرتبة بطريقة معينة حول مسألة معينة يراد معرفة اتجاه الرأي العام فيها معرفة دقيقة بقدر

المستطاع • ويجمع صاحب الاستفتاء كل الاجابات الممكنة من الافراد الذين اجرى عليهم الاستفتاء ، ثم يعمد بعد ذلك الى تفريغ هذه الاجابات فـــى جداول تساعده للوصول الى نتيجة قريبة من الصواب ، او حكم هو اقرب ما يكون للصحة •

ومنها ـ اى من الطرق التى يمارسها علماء الاجتماع فى قياس الرأى العام طريقة المسح Survey Method وتقوم على تجميع منظم لاكبر قدر ممكن من المعلومات لمعرفة الرأى العام للمجتمع فى مشكلة ما ؛ سواء كان هذا الرأى ظاهرا او فى حالة كمون او اختفاء • ويلجأ اصحاب هذه الطريقة في جمع المعلومات ـ بالاضافة الى المقابلات الشخصية والمحـــادثات ـ الى الوسائل الاعلامية المعروفة كالصحف والاذاعة ، ويأخذون من هذه الوسائل الاعلامية المختلفة اكبر قدر ممكن من المواد التى تعبر عن الاتجاهات السائدة فى المجتمع •

والفرق بين الاستفتاء والمسح هو ان الاستفتاء يكون حول موضوع واحد بالذات • اما المسح فيتسع لموضوعات عديدة فى وقت واحد • ولذلك تتعدد وسائل المسح وتتنوع ؛ فيكون منها المقابلات الشخصية والمحادثات ، وتكون منها الصحف والاذاعة• ويكون منها كذلك ملاحظة سلوك الناس عند اجابتهم عن سؤال بعينه ، او اعراضهم عن الاجابة جملة واحدة وهكـــذا غير ان الطريقتين السابقتين لقياس الرأي العام ـ وهما طريقة الاستفتاء وطريقة المسح ـ من الامور التى تخص الباحث الاجتماعي • وله فيهما دراســـات طويلة واصيلة لاتعنينا الان • ولكن تعنينا هنا طريقة ثالثة يمكن بها قياس الرأي العام اعتمادا على الوسائل الاعلامية وحدها • هي :

طريقـة تحليـل المضمـون

وترجع الاهمية التى لهذه الطريقة فى نظر رجل الاعلام الى انهـــا

تساعده دائما على معرفة اتجاهات الرأى العام العالمي بالذات • وهو الرأى الذى تهتم به الحكومات ، وترى من الضرورى لها ان تقف عليه دائما • وبمقدار علمها بهذا الرأى العالمي يكون نجاحها دائما فى رسم سياستها الخارجية والذى لامراء فيه ان كلا من طريقة الاستفتاء وطريقة المسح لاتساعد على دراسة اتجاه الرأى العالمي ، ولاتسهل ممارستها من اجل هذه الغاية ولذلك يعتمد رجل الاعلام للوقوف على هذا الرأى العالمى على الصحف والمجلات والكتب والنشرات وبرامج الاذاعة والتلفزيون وغيرها من الوسائل المؤثرة فى اتجاهات الشعب • وذلك كله على اساس من القاعدة التي أشرنا اليها من قبل ، وهي القاعدة التي تقول بأن وسائل الاعلام تؤثر فى المجتمع ، وتتأثر به ، وتقود هذا المجتمع وتنقاد له •

نعم ـ ان من الصحف والاذاعات ما يخضع لتأثير بعض الافراد او الهيئات أو الحكومات ؛ بحيث يمكن أن يقال انها لا تملك الحرية الاعلامية كالتى تتمتع بها فى البلاد الديمقراطية بنوع خاص • ولكن هذه الوسائل الاعلامية المختلفة هى وحدها المعبرة عن الرأى العام فى مسألة من المسائل الخارجية لا الداخلية • وليس للشعب وسيلة غيرها فى التعبير عن هذا الرأى •

انظر مثلا الى بلاد ديمقراطية كامريكا وانظر الى موقف الصحافة والاذاعة فيها بالنسبة لقضية فلسطين • ان الصحافة والاذاعة فى تلك القارة تخضعان خضوعا تاما لسيطرة الرأسمالية الصهيونية • ولذلك اصبح من المستحيل على الشعب الامريكى ان يفهم قضية فلسطين من وجهة النظر العربية ، كل ذلك برغم ان الدعاية الصهيونية انما توجه اكبر جزء من جهودها الى الفئة القليلة المؤثرة فى الرأى العام • وكل ذلك برغم ما حدث

فى ٢٣ مايو (أيار) سنة ١٩٦٣ من ان لجنة الشؤون الخارجية بمجلس الشيوخ الامريكى برياسة (وليم فولبرايت) أجرت تحقيقا فى الدعاية الصهيونية كشفت به عن مدى الوسائل التى تسلكها هذه الدعاية للتأثير فى الشعب الامريكي ، ووصلت الى حقيقتها وكان من نتيجة ذلك ان وجدت صحفية امريكية مثل السيدة (دورثي طومسون) آمنت بقضية اللاجئين العرب ، ودافعت عنهم .

نقول : بالرغم من هذا كله فانك مهما ذهبت تحلل مضمون المقالات الصحيفة والاحاديث الاذاعية الامريكية فلن تجد فيها غير رأى واحد فقط ، هو الاقتناع التام بصدق اسرائيل فى دعواها وبتجريم العرب .

واليك مثلا لقياس الرأى العام من خلال وسيلة من وسائل الاعلام هى وسيلة الخطابة ، وهي لا تقل خطرا عن وسيلة الاذاعة أو الصحافة .

أقرأ معي مقالا للمعلق السياسي توم ليل Tom Lille فى وصف الخطبة التاريخية التى القاها الرئيس جمال عبدالناصر في ٢٦ يوليه (تموز) سنة ١٩٥٦ واعلن فيها قرار تأميم قناة السويس . وهنا يقول المعلق السياسى :

« لقد القى الرئيس خطابا مطولا كشف فيه للمرة الاولى عن قدرته الخطابية البالغة الاثر فى نفوس الجماهير . لقد الهب المشاعر الوطنية واطلق ضحكات الشعب وسخريته المرة وهو يتحدث عن الدول الغربية بازدراء وجرأة لم يسبقه اليها زعيم من زعماء الشرق الاوسط .

ولقد أصغت اليه الجماهير باعصاب متوترة ووجوه مبهورة . وقد خيم عليها صمت عميق . بينما كان الملايين من الناس يلتفون حول اجهزة الراديو يستمعون منها الى خطاب الرئيس وهو يصف كيف اخذت حقوق

مصر في القناة ، وكيف ان هذه القناة مصرية ؛ شقت بأيد مصرية وأموال مصرية ، وكيف انها قامت على جماجم عشرة الآف من الضحايا المصريين الذين ماتوا وهم يعملون فى شقها • ومع هذا فقد ظل حملة الاسهم فى شركة قناة السويس سنة بعد اخرى يأخذون ارباحهم بالملايين ؛ بينما مصر صاحبة الحق الاكبر من هذه الاموال لاتنال منها الا النزر اليسير •

« وفجأة ألقى عبدالناصر قنبلة مدوية وذلك حين قال ان هذا الاستثمار التعسفى قد انتهى الى غير رجعة ، وان حكومة الثورة قررت تأميم قناة السويس ، وسنبني سدّ اسوان من ارباح القناة » •

هنا انطلق زئير من الهتافات الشعبية • واقشعرت الابدان كلها من شدة الفرح • وكبر الشعب وهلل • بل ان الكثير من خصوم الثورة اسكرتهم هذه الفرحة » •

افترض انك تقرأ معي هذا المقال الذى كتبه المعلق السياسى (توم لايل) فانك تلاحظ انه يتضمن الحقائق التالية : ـ

أولا ـ ان المعلق السياسى كان شديد التحمس للحركة التى أممت القناة ؛ حتى ليشعر القارىء كأن هذا المعلق كان واحدا من الشعب المصرى او من الجمهور الذى استمع الى هذه الخطبة التاريخية •

ثانيا ـ ان المقال فيه تأييد تام للفكرة التى نادى بها الرئيس جمال عبدالناصر وهى فكرة تأميم القناة •

ثالثا ـ ان المقال لم يقف عند وصف الخطبة التاريخية للرئيس جمال عبدالناصر ، ولكنه وصف كذلك شعور الامة المصرية كلها تجاه هذه الخطبة • واشار الى ان خصوم الثورة انفسهم اسكرتهم الفرحة •

رابعا ـ ان المقال لايعتبر بذلك من المقالات المعارضة لسياسة جمال عبدالناصر بحال من الاحوال • مع أنه مما لاشك فيه ان المقالات المعارضة لفكرة تأميم القناة كانت اكثر من المقالات المؤيدة لها • واوضح ما ظهر ذلك فى صحف كل من انجلترة وفرنسا •

ويستطيع الباحث الصحفى بعد ذلك ان يجمع المقالات التى كتبت فى موضوع تأميم القناة ؛ وذلك فى سائر الصحف التى تعرضت لهذا الموضوع في اكثر انحاء العالم • كما يستطيع الباحث الصحفي كذلك ان يتعقب النشرات والكتب التي تعرضت لنفس الموضوع ، وان يجمع الخطب والاحاديث التى تناولته من قريب او بعيد • وان يقسم كل هذه المادة التى جمعها ثلاثة اقسام : مؤيد ، ومعارض ، ومحايد • وعليه كذلك ان يأخذ فى الاعتبار درجة التوزيع لكل صحيفة او نشرة او كتاب ، ومقدار الشهرة التى لكل شخصية تحدثت عن مشروع تأميم القناة •

وعليه فى نهاية الامر ان يجمع المؤيدين وحدهم ، والمعارضين وحدهم ، والمحايدين وحدهم على اساس من عدد الافراد الذين سيتأثرون بهذه الصحيفة أو النشرة أو الكتاب أو الحديث الاذاعي أو المشاهد التلفزيونية • ويصل من كل ذلك الى نتيجة من النتائج : فيقول : ـ مثلا ـ عن الصحف ان اكثريتها مؤيدة ، واما الاذاعة فمعارضة ، واما الكتب فمحايدة • وهكذا •

واخيرا يقول الباحث الصحفى بتفريغ جميع هذه المعلومات التى جمعها ـ عن سياسة عبدالناصر ، وذلك فى جداول منها :ـ

اولا ـ جدول يوضح اتجاهات الرأى العام العالمي فى موضوع سياسة عبدالناصر كما وصفتها الجرائد العالمية • وذلك عن طريق احصاء جميع المقالات المؤيدة والمقالات المعارضة والمقالات المحايدة كما سبق ان ذكرنا •

ثانيا ـ جدول يبين النسب المئوية لتكـرار المقالات التي نشرت فـي الصحف العالمية تأييدا لسياسة عبدالناصر •

ثالثا ـ جدول يبين النسب المئوية لتكرار المقالات التى كانت تنقد فيها الصحف العالمية هذه السياسية •

رابعا ـ جدول يبين النسب المئوية لتكرار المقالات او الموضوعات التى كانت محايدة بالنسبة الى سياسة عبدالناصر وهكذا •

وبهذه الطريقة يستطيع رجل الاعلام ان يؤلف لنفسه صورة دقيقة عن الرأى العام العالمى بالنسبة لسياسة عبدالناصر ، وان يضع لنفسه خطة اعلامية تجاه هذه الدول او الشعوب يستطيع ان يخدم بها ـ متى اراد ـ سياسة هذا الزعيم •

الفصل السادس

دور الاذاعة والتلفزيون والسينما فى تكوين الرأى العام

لا ريب ان الاذاعة قوة من قوى العالم الحديث وانها وسيلة من وسائل الاعلام الهامة فى الوقت الحاضر • وتستطيع ان تلعب أخطر الادوار فى تكوين الرأى العام • ولكن دون ذلك صعاب كثيرة يجب التغلب عليها • وقد أتت هذه الصعاب من خطورة المراحل التى يمر بها الخبر الاذاعي من حيث هو • فهناك مرحلة جمع الاخبار ، وهناك مرحلة اختيار الملائم من هذه الاخبار ، وهناك مرحلة الطريقة التى تقدم بها الاخبار ، وهناك مشكلة اختيار الوقت المناسب لاذاعة الاخبار • وهناك مشكلة الاسلوب الذى يكتب به الخبر الاذاعى • وهناك امر يتصل بلهجة المذيع وظروف المستمع ونحو ذلك • غير ان هذه الصعاب كلها تهون امام الصعوبة الحقيقية • ونعني بها (موضوعية الاعلام الاذاعي) ومعاملة هذا الخبر على اساس من الموضوعية الصحيحة فالخبر في ذاته يجب أن يتمتع دائما (بالقدسية) عندما تتعهد

بنشره وسيلة من وسائل الاعلام المعروفة في الوقت الحاضر • ومن أهمها في الواقع وسيلة الصحف ووسيلة الاذاعة •

غير ان (موضوعية الاعلام) لايمكن ممارستها الا بشرط واحد فقط هو « الحرية الصحفية أو الاعلامية » • فهل تستطيع صحيفة من الصحف أو محطة من محطات الاذاعة فى عالم اليوم ان تحظى بقدر كاف من الحرية يساعدها على هذه الموضوعية ؟

يقولون فى الاجابة عن هذا السؤال « ليست هناك صحيفة او اذاعة قادرة على ممارسة الموضوعية الصحيحة فى الوقت الحاضر • ولايستثنى من ذلك غير بعض الصحف البريطانية ومعها الاذاعة البريطانية • ففى بريطانيا تستطيع محطة الاذاعة توزيع اوقات الكلام بين الاحزاب بالتساوى ؛ وذلك اثناء المعارك الانتخابية •

وفي بريطانيا كذلك تستطيع الاذاعة ـ كما يقال ـ ان تميز تمييزاً واضحا بين الخبر في ذاته من ناحية والتعليق من ناحية ثانية • فأما الخبر فانها تحرص على نشره بدون تحريف • واما التعليق فانها تمارس فيه كل حريتها ، وتبنى عليه كل ما تريد ان تبنيه من النتائج لذلك ينظر الانكليز الى الاذاعة البريطانية على انها برلمان مستقل بذاته عن البرلمان الانجليزي المعروف • والبرلمان في بلاد الانجليز هو المكان المقدس لمناقشة القضايا السياسية وغير السياسية • والاذاعة البريطانية في نظر الانكليز تستطيع أن تنافس البرلمان الانكليزي في جميع المجالات •

« الاذاعة البريطانية بقول مختصر موضوعية فى الاعلام ، منصفة فى توزيع اوقات الكلام على الاحزاب فى ادوار الصراع الانتخابي غير موجهة بقدر المستطاع بميول الحزب الحاكم حينما يتولى الحكم »[1] •

---

(١) حسن الحسني • الاعلام والدولة • ص ٣٤٢

وندع الكلام عن الفرق بين الاذاعة أو الاعلام الانكليزي والاذاعة أو الاعلام غير الانكليزي الى الفرصة التي سوف يبحث فيها (الاعلام) فى ذاته بعد الفراغ من الكلام عن (الرأي العام) في ذاته .

هذا هو مجمل الكلام عن الصعوبة الاخيرة من الصعاب التى تواجه الاذاعة . وهي هنا « صعوبة الموضوعية » .

ولكن كيف تؤثر الاذاعة فى الرأى العام عادة ؟

ان ذلك يكون عن طريق الخبر ، ثم التعليق على الخبر ، وعن طريق الصحيفة الناطقة (أو مجلة الهواء)، وعن طريق الاحاديث الاذاعية، والندوات الاذاعية والمسرحيات الاذاعية ، وعن طريق البيانات الرسمية ، واحاديث الحكام فى شرح الاسس التى يبنون عليها بياناتهم الرسمية ، ووجهة نظرهم فى السياسة الداخلية او السياسة الخارجية ونحو ذلك .

فأما الخبر والتعليق على الخبر فقد تحدثنا عنهما في الكلام عن الصحيفة باعتبارها وسيلة اعلامية في غاية الخطورة . وما ينطبق على الصحف والمجلات ينطبق تماما على الاذاعة من هذه الناحية .

واما الصحف الناطقة « ومجلات الهواء » فهي منوعة كل التنوع ، وهي شبيهة في ذلك بالصحف او المجلات المتخصصة . فهناك مجلة زراعية واخرى صناعية وثالثة اقتصادية ورابعة اجتماعية وخامسة فنية وسادسة دينية وسابعة نسائية وثامنة عمالية ... الخ . ومثل هذا التنوع يمكن ان نجد له نظيرا في (مجلات الهواء) او الصحف الناطقة على السواء .

وليست الاحاديث الاذاعية والمسرحيات الاذاعية والندوات بحاجة الى بيان قدرتها على التأثير في الرأي العام او الافكار العامة .

اما الـذي يحتاج منا الى الشـرح فهو احـاديث الحكام في الاذاعـة والتلفزيون • وهذا ما يدعونا الى الكلام عن :

الاذاعـــة والحاكـم

أثر عن بول فاليرى انه قال في وصف السياسة :

« لقد ظلت السياسة زمانا طويلا وهي عبارة عن فنّ منع الناس من الدخول في ما لا يهمهم • اما الآن فقد اصبح للسياسة معنى آخر هو فنّ تعريف الناس بالامور التى يجهلونها »(١) •

وعلى ذلك فوظيفة الاذاعـة في البلد الديموقراطي هي تعليـم الناس ما ينبغي لهم ان يتعلموه ليحسنوا الاجابة عن الاسئلة التي يطرحها النظـام الديمقراطي • ووظيفتها كذلك مد المستمعين بجميع المعلومات الضرورية لمعرفة المشكلات التي يواجهونها •• ووظيفتها كذلك تزويد الناس بقـدر من الثقافـة السياسية يمكنهـم من الحكـم على هـذه المشكـلات وعرض الحجج المختلفة والحلول المختلفة للمشكلة الواحدة بصـورة موضوعيـة خالصة لا تعرف التحيز أو المحاباة » •

على انه من الملاحظ دائما ان الحكام هم أحرص الناس على التأثير فى الرأي العام السياسى بنوع خاص • وهذا صحيح فى جملته وتفصيله • فان من أبرز السمات التي تتسم بها المجتمعات الحديثة ان حكامها أصبحوا مضطرين الى الاتصال بالشعب عن طريق الصحافة والاذاعة ، وذلك لبيان أعمالهم وشرح سياساتهم وتبرير هذه الاعمال والسياسات •

ولقـــد كانت السياسة فى العصور القديمـة حـوارا فى البيئـات

---

(١) نفس المصدر السابق ص ٣٣٨

الديموقراطية بين الحكام وطبقة بسيطة من الناس لديها متسع من الوقت لهذا الحوار ، كما نشاهد ذلك فى تاريخ البلاد اليونانية قديما • اما العصر الحديث فان هذا الحوار السياسى بين الحاكم والمحكوم اصبح بفضل وسائل الاعلام الحديثة يتسع لاكبر عدد ممكن من أفراد الشعب • وقلما نجد حاكما من الحكام فى الوقت الحاضر يرى فى نفسه غنى عن الاتصال بالشعب الذى يحكمه • وهكذا اصبحت الحكومات الديموقراطية الحديثة مسؤولة ليس فقط امام البرلمان ، ولكن امام الصحافة والاذاعة بنوع خاص !

على أن الخطر من الراديو على الحاكم لا يأتى بطبيعة الحال من الاذاعة المحلية • ولكن يأتيه من الاذاعات الاجنبية • وبنوع خاص اذا كانت هذه الاذاعات معادية له مناوئة لخطته • ومن هنا شعرت كثير من الدول الحديثة بقلق على نفسها وعلى حكامها من الاذاعات الاجنبية التي أصبح فى وسعها أن تحبط اعمال الزعماء ، وان تقلل من خطر الثورات ومن هيبة القادة • فماذا تفعل هذه الدول التي تشعر بمثل هذا الشعور ؟ ليس امامها فى الواقع الا طريقة واحدة هي هدم المحاولات التي تقوم بها الاذاعات الاجنبية لمثل هذه الغاية • ولذلك ظهر فى عالم الاذاعة ما يسمى :

بالتشويش الاذاعي

وهو نوعان مقصود وغير مقصود ••• فاما غير المقصود فيأتي من تكاثر الموجات الاذاعية وتضارب بعضها مع بعض واستحالة ايجاد موجة خاصة بالدولة أو عدة موجات خاصة بها • واما المقصود فهو ما تقوم به بعض الدول لتمنع ايصال اذاعة معينة اليها ، وذلك لاسباب سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية • ولهذا تضع على تلك الموجات تشويشا مقصودا كصوت صفارة أو صوت قوى من نوع آخر

يمنع هذه الاذاعة غير المرغوب فيها من الوصول الى المستمعين الذين يراد حمايتهم منها .

« ويقال ان اول تشويش اذاعي فى العالم حدث عام ١٩٣٤ عندما وضعت حكومة النمسا صفارة قوية على الموجة التي تذيع عليها محطة الاذاعة الالمانية لتمنع الدعاية النازية من الوصول الى الاراضي النمسوية[١]

وقد عنيت المنظمة العالمية المعروفة باسم (الامم المتحدة) بهذه القضية وانتدبت لها لجنة منبثقة من لجنة حقوق الانسان انتهى رأيها فى هذه المسألة الى (ان معرفة الحقيقة والبحث عنها بحرية تامة هما من الحقوق الجوهرية للانسان . ولكل شخص الحق بصورة فردية او جماعية فى البحث عن المعلومات وتلقيها ونشرها . وعلى الحكومات فى جميع الدول أتباع سياسة تؤدي الى حماية تدفق المعلومات والانباء داخل البلاد وعبر الحدود . وعلى هذا فأي تشويش مقصود ضد أية اذاعة فى العالم أمر يخالف المادة التاسعة عشرة من الاعلان العالمي لحقوق الانسان وهي المادة التي تقول :

« لكل شخص الحق فى حرية الرأى وحرية التعبير . ويشمل هذا الحق حرية اعتناق الآراء دون تدخل ، واستقصاء الانباء والافكار وتلقيها واذاعتها بأية وسيلة كانت دون التقيد بالحدود الجغرافية » .

دور السينما فى الرأي العام :

وصف لاروين بانوفسكي السينما فقال[٢] :

« ان السينما سواء رغبنا ام كرهنا هي القوة التي تصوغ اكثر من أية

---

(١) حسن الحسن ، الاعلام والدولة ، ص ٥٧ .
(٢) نفس المصدر ، ص ٢٣٦ .

قوة أخرى الآراء والاذواق والزي والسلوك ، بل المظهر المدني لجمهور يضم اكثر من ستين فى المائة من سكان الارض » .

وهذا قول صحيح فى جملته وتفصيله . وهو سبب من الاسباب التي ترجع اليها الفروق الشاسعة بين الآباء والابناء . ذلك ان الشباب أميل بطبيعته الى السينما من الشيوخ ، واكثر تقبلا لما تدعو اليه السينما من تجديد فى كل نواحي الحياة . وهذا فضلا عما للسينما من المقدرة العظيمة على التعبير عن العواطف والمشاعر والافكار والاراء والتجارب الانسانية على اختلافها . ومعنى ذلك ان السينما لم تصبح كما كانت من قبل مجرد أداة لتسلية الجمهور ، ولكن غدت وسيلة اعلامية من اقوى وسائل العصر الحديث ، كما غدت وسيلة ثقافية قد لا تعدلها وسيلة اخرى من الوسائل فى العصر الحديث . وصدق من قال ان السينما فن وعلم وصناعة فى وقت معا . فهي علم قائم على آلات التصوير التي تمخض عنها الفكر الحديث وتقدمت بخطى واسعة فى باب الاختراع بحيث اصبحت بها السينما ناطقة بعد ان كانت صامتة . والسينما علم لانها أصبحت تبنى على اصول علمية يجب ان يتعلمها القائمون على هذا الجهاز الكبير من اجهزة الاعلام . والسينما فن لانها تقوم على دراسة الاضاءة وهندسة الصوت ، وتعتمد فى كل ذلك على عدد كبير من الآلات الدقيقة .

وقد اصبح الهدف الاول للسينما فى الوقت الحاضر هو الثقافة وخدمة المجتمع . ولكن السينما كالصحف اصيبت بشيء من الانحراف واصبحت هدفا للاستغلال الذى قام به اصحاب رؤوس الاموال . ومالت السينما الى ارضاء المشاهدين كما تميل الصحف الصفراء الى مثل ذلك . ولهذا السبب اهتم العلماء برسالة الفن السينمائي ، وكتبوا الكثير من

البحوث التى دعوا فيها الى تمسك السينما باهدافها الثقافية والاعلامية • ومنذ ذلك الوقت وجدنا الحكومات فى جميع انحاء العالم تعنى بمراقبة السينما عنايتها بمراقبة الصحف سواء بسواء • وفى وزارات الارشاد والثقافة موظفون عهدت اليهم الدولة القيام بهذا العمل الهام من الاعمال المتصلة بالثقافة والاعلان •

ومما لا شك فيه ان السينما مسؤولة فى اكثر بلاد العالم المتحضر عن انحراف الاطفال وسوء سلوك الشباب • وكل ذلك برغم ما أجرى من التجارب الكثيرة التى اثبت بعضها صدق هذه الحقيقة بالارقام • وانكرتها بحوث اخرى بحجة ان الانحراف فى الاطفال وفى الشباب لم يخرج عن كونه استعدادا طبيعيا فيهم • ثم أتت السينما فكشفت عن هذا الاستعداد وحاولت تغذيته وانماءه بشكل من الاشكال • ومما لاشك فيه أيضا ان كثرة ارتياد الشبان والاطفال لدور السينما له تأثير عميق فى آرائهم وافكارهم •

ومهما يكن من شىء فان الناس ينظرون الى السينما فى اغلب الحالات على انها وسيلة من وسائل التسلية والترفيه • غير ان من هذه الوسائل الترفيهية ما يرتفع بالمرء الى درجة عالية من درجات التأثر الايجابي والانفعال بمعاني الشرف والنبل والشهامة ، ويشعر الانسان بانسانيته كاملة او قريبة من الكمال • ومن هذه الوسائل الترفيهية ما يهبط بالمرء الى ادنى درجات التأثر السلبي والانفعال بالمعاني الدنيئة ، واشباع الغرائز الخسيسة ، والنزول بانسانية الفرد الى احط الدرجات •

لذلك اصبح الفلم الثقافي موضع اهتمام الحكومات الحديثة كما قدمنا؛ وذلك منذ ان شعرت السلطات المسؤولة في العالم المتحضر بضرورة ارشاد الجماهير عن طريق السينما ، فشجعت على انتاج هذا النوع من الافلام ،

ووصلت الجمهور بآخر انباء العلم ومخترعاته ، وقصت عليه قصة الحضارة الحديثة وما أحرزته من انتصارات كثيرة ، وجعلت ذلك كله جزءاً هاما من الافلام المسلية أو الافلام الاخبارية أو الافلام التاريخية ونحو ذلك .

مذاهب نشر الافلام السينمائية

انقسم العالم الذى نعيش فيه بالنسبة للسينما الى مذاهب ثلاثة أو اربعة :ـ

اولها ـ المذهب الامريكي الذي يرى فى السينما أنها أداة من أدوات التسلية للمشاهد ، والربح للمنتج . ولذلك يعنى العناية كلها بالروايات البوليسية ، ويصنع من المجرمين ابطالا ، ويؤثر بذلك فى نفوس الشباب اسوأ تأثير .

وثانيها ـ المذهب السوفيتي ـ وهو على النقيض من المذهب المتقدم . والسينما عند اصحاب هذا المذهب واسطة للثقافة ، وفن ديموقراطي وشعبي وظيفته التعبير عن أفكار الشعب وآرائه وعواطفه ومشاعره ورغباته .

والدولة فى هذا النظام هي التي تفرض على الفنانين موضوعات خاصة يعرضونها على الشاشة . ويؤمن الفنانون السوفيت بهذا التقدم ويقولون ان المدرسة الحديثة للسينما (يقصدون انفسهم) هي التي تقوم على أسس حديثة ومدروسة ، وان العهد الذى كان فيه الفلم عبارة عن عمل فني هدفه الربح المادي قد ولى وانتهى الى غير رجعة .

وثالثها ـ المذهب الذى يجمع بين المذهبين السابقين . فلا هو بالمتهافت على الربح واجتذاب الجماهير بالافلام البوليسية وافلام رعاة البقر واستعراض اعمال المجرمين والنظر اليهم على انهم ابطال يمثلون أشق الادوار على مسرح الحياة الانسانية ، ولا هو بالملتزمت الذى يحصر جهده

فى الامور الجدية والثقافية والاعلامية التي ينفر الشعب من الكثير منها • ولكنه مذهب بين بين • والامثلة على هذا المذهب الاخير كثيرة فى الافلام السينمائية التي تنتجها البلاد الآسيوية والافريقية •

ورابعها ـ مذهب يصح أن يقال عنه انه المذهب الاشتراكي المعتدل • وهو قريب من المذهب الثالث • ولكن يزيد عليه شيئا واحدا هو اللون الاشتراكي للفلم • فكما تعتمد الدول الشيوعية على السينما فى الترويج لمذهبها ، أو فى افهامه جميع طبقات الشعب ، وكما تعتمد الدول الرأسمالية على السينما فى غاية كهذه الغاية ، فكذلك تعتمد الدول الاشتراكية على هذه الاداة من ادوات الاعلام فى تغذية الشعب بالمبادىء الاشتراكية وبنوع خاص اذا كانت هذه المبادىء جديدة عليه كل الجدة •

وكذلك تفعل الجمهورية العربية المتحدة فى الوقت الحاضر • وربما كان الفيلم الذى عنوانه (الرسالة) مع شىء من التساهل من الامثلة الحية على الافلام الاشتراكية الناجحة فى الوصول الى هذا الغرض •

* * *

ثم ان السينما استخدمت بعد الحرب العالمية الثانية لاغراض اخرى عدا الاغراض الاعلامية والثقافية • استخدمت وسيلة من وسائل التعليم فى المدارس والمعاهد • واحدثت بذلك انقلابا هائلا فى تاريخ التربية • وفتحت مجالات جديدة فى التعليم • وبذا استطاع الفلم السينمائي الواحد أن يجوب بالطالب جميع انحاء العالم • وصدق من قال ان الفيلم التعليمي هو النافذة التي يطل منها الطالب على العالم كله • وهكذا اصبح من شعارات المعلمين والمربين قولهم « تعلم فى زمن قصير ما يتعلمه غيرك فى زمن أطول بكثير » • يريدون بذلك أن يقولوا ان السينما تعطي الطلاب من المعلومات

الكثيرة فى وقت قصير جدا ما لا يعطيه الكتاب من المعلومات فى وقت أطول.

ونعود الى الحديث عن رقابة الدولة للسينما فنقول عن هذه الرقابة انها رقابة وقائية فى اكثرها . والغرض منها صيانة الشباب من الانحراف . ولذلك فرضت الولايات المتحدة نفسها رقابة رسمية على انتاج الافلام . ثم تحولت هذه الرقابة الحكومية بعد ذلك الى رقابة ذاتية ـ أي رقابة السينما نفسها بنفسها ، وذلك على أساس من دستور وضعه مكتب الرقابة الذاتية بالولايات المتحدة .

وفى انجلترة رقابة على الافلام ترك فيها الامر للمناقشة المباشرة بين الجمهور الانكليزى وصانع الفيلم . وفى انجلترة ايضا مكتب للرقابة الذاتية أو مجلس لهذه الرقابة وليس لهذا المكتب أو المجلس قانون مكتوب . ومع ذلك فله مبادىء غير مكتوبة يسير عليها . ولذلك نرى الرقيب الانجليزي على الافلام يسأل نفسه دائما هذه الاسئلة الثلاثة وهي :

١ ـ هل من المحتمل أن يفسد الفيلم المستوى الاخلاقي العام للجمهور ، وذلك عن طريق التقليل من بشاعة الجريمة ، أو عن طريق التساهل فى القيم الاجتماعية ؟

٢ ـ هل من المحتمل أن تسىء القصة أو الحادثة أو الحوار الى الجمهور المتزن فى تفكيره ؟

٣ ـ ما تأثير القصة أو الحوار أو الحادثة على الاطفال من مختلف الاعمار ؟

وتتفق الرقابة الذاتية فى الدول المتحضرة فى عصرنا هذا على طائفة من المبادىء تحاول العمل بها قدر المستطاع منها ما يلى :ـ

١ ـ المحافظة على كرامة الأسر والبيوت والابتعاد ما أمكن عن ذكر العورات والعلاقات الجنسية المحرمة ونحو ذلك •

٢ ـ الاعراض عن ذكر الشذوذ الجنسى والاختلاط المحرم ونحو ذلك •

٣ ـ تحكيم الذوق فى المناظر الخاصة بخلع الملابس أو عرض غرف النوم وما اليها •

٤ ـ الاعراض عن مناظر القتل بطريقة الشنق أو الكهرباء أو الاعمال الوحشية •

وهكذا نجد أن تأثير السينما أقوى ما يكون على السلوك والاذواق • وهما مظهران من مظاهر الرأي العام لا محالة • والافلام السينمائية فى هذا التأثير أشبه ما تكون بالقصة • ونحن نقرأ القصص فى الحقيقة لكي نغير شيئا من آرائنا ، وأفكارنا ، وأذواقنا ومعلوماتنا شيئا فشيئا • أى ان هذا التغير أو التعديل انما يتم ببطء • ومع ذلك فقد تنجح قصة واحدة فى هذا التغير والتبديل • وقد لا تنجح قصص عديدة فى الوصول الى هذه النتيجة• وكذلك الشأن مع الفيلم السينمائي • فهناك الافلام التي يخرج منها المشاهدون فى شبه ثورة عقلية على وضع معين أو رأي معين • وهناك الافلام التي تبعث فى المشاهدين نوعا من الاصرار على وضعهم القديم أو رأيهم القديم بعد أن رأوا مساوىء الوضع الجديد الذى تعرضه الافلام السينمائية وهكذا •

البابُ الثانِى

الاعـــلام

الفصل الأول

الاعـــلام ووســائله

تعريف الاعلام

الاعلام هو تزويد الناس بالاخبار الصحيحة والمعلومات السليمـــة والحقائق الثابتة التي تساعدهم على تكوين رأي صائب فى واقعة من الوقائع أو مشكلة من المشكلات ، بحيث يعبر هذا الرأي تعبيرا موضوعيا عن عقلية الجماهير واتجاهاتهم وميولهم •

معنى ذلك ان الغاية الوحيـدة من الاعـلام هي الاقناع بنشرها وذلك عن طريق المعلومات والحقائق والارقام والاحصاءات ونحو ذلك •

أجل ـ يقوم الاعلام على الارقام والاحصاءات ولكن بشرط أن تقدم هذه الارقام والاحصاءات كاملة غير منقوصة • وهنا نلفت النظر الى التحريف أو التزييف أو العبث الذى يقع فى هـــذه الارقام والاحصاءات والحقائق والمعلومات ، وذلك من بعض المغرضين الذين يقومون بهـــذا الزيف أو العبث لغاية فى انفسهم !

على حين ان رجل الاعلام بالمعنى الصحيح يجب أن يقدم الارقام الصحيحة والاحصاءات الدقيقة فى الموضوع الذى يريد أن ينقله الى الآخرين .

من أجل ذلك قلنا فى كتاب (الاعلام له تاريخه ومذاهبه) ان اوضح تعريف للاعلام حتى الآن هو التعريف الذى وضعه العالم الالماني « اوتوجروت » حيث قال :

« الاعلام هو التعبير الموضوعي لعقلية الجماهير ولروحها وميولها واتجاهاتها فى نفس الوقت »[1] .

فالاعلام تعبير موضوعي . ومعنى ذلك انه ليس تعبيرا ذاتيا من جانب الصحفي أو المذيع أو رجل السينما او التلفزيون . وانما هو تعبير موضوعي خالص بمعنى انه يقوم على الحقائق أو الارقام والاحصاءات أو عليها معا اذا لزم الحال .

عناصر الاعلام

وللاعلام عناصر ثلاثة وهي :

١ ـ عنصر المرسل .

٢ ـ عنصر المستقبل .

٣ ـ عنصر الاداة أو الوسيلة .

فالمرسل (بكسر السين) هو صاحب الرسالة الاعلامية . أو الجهة التي تصدر عنها هذه الرسالة . سواء كانت هذه الجهة هي الحكومة أو الشركة أو الهيئة أو النادى أو الفرد أو الجماعة .

---

(١) عبداللطيف حمزة . الاعلام ـ له تاريخه ومذاهبه ص ٢٣ .

والمستقبل (بكسر الباء) هو من توجه اليه الرسالة الاعلامية سواء كان فردا أم جماعة •

والاداة أو (الوسيلة) هي ما تؤدي به الرسالة الاعلامية ، سواء كانت هذه الاداة هي الصحيفة ، أو الاذاعة ، أو التلفزيون ، او الخطبة ، أو المؤتمر ، أو الوكالة الخاصة بنشر الانباء ، أو السوق ، أو المعرض ، الى آخر هذه الوسائل الاعلامية المعروفة ، كما سيأتي ذكر ذلك •

أثر عن اليونان انهم كانوا يقولون :

ان الامة لا تقوى على المحافظة على حريتها اذا اتسعت اتساعا كبيرا يصعب معه اتصال الشعب بحكامه • ذلك انه يجب أن يجتمع الناس كلهم في ساحة من الساحات العامة في المدينة ، ويستمعوا الى أقوال قادتهم وزعمائهم • وبغير هذه الطريقة يصبح الشعب عاجزا عن الاطلاع على احوال الحكومة ، عاجزا عن مراقبة الحكام •

وفي العصر الحديث لم يعد في استطاعة الجماهير الغفيرة في الامم الكبيرة أن يجتمعوا بكامل هيئاتهم واعدادهم في الساحات او الميادين العامة كما كان الشأن في روما أو أثينا أو في مكة أو المدينة • غير أن الملايين من هذه الجماهير أصبحت قادرة في الوقت الحاضر على أن تجتمع كل صباح ومساء حول أعمدة الصحف ، أو أجهزة الراديو أو التلفزيون • ومن ثم كانت لهذه الوسائل الحديثة أهمية كبيرة ، وندع هذه الوسائل الحديثة مؤقتا لنتكلم اولا عن :

وسائل الاعلام القديمة

سبق لنا كذلك في الكتاب الذى سبقت الاشارة اليه ان استعرضنا على عجل وسائل الاعلام التي عرفها البشر الى يومنا هذا • والحق ان وسائل

الاعلام التي عرفتها العصور المتقدمة لم تكد تخرج عما يلى :ـ

الشائعات ، والحفر على الاحجار والاشجار والاعمدة المنصوبة فى المعابد أو الميادين العامة • وكان التجار الذين ينتقلون من مكان الى مكان يحملون معهم الاخبار ، كما وكان المنادون الذين يتجولون فى عرض البلاد وطولها لنشر الاخبار ، واعلان أوامر الحاكم • كان جميع هؤلاء يعتبرون كذلك من وسائل الاعلام فى تلك الازمنة • ويضاف الى جميع الوسائل المتقدمة وسيلة هامة ، هي وسيلة الاتصال الشخصى •

ثم ظهرت المطبعة فكانت هي الفاصل الحقيقي بين العصور القديمة والعصور الحديثة من حيث الاعلام • ذلك أن المطبعة أمدت العالم الحديث بوسائل اعلامية جديدة ، منها الكتب والنشرات ثم الصحف فى نهاية الامر •

وسنتحدث ـ كما قلنا ـ اولا عن أهم وسائل الاعلام القديمة • وننتقل منها بعد ذلك الى الكلام عن وسائل الاعلام الحديثة • فمن الوسائل القديمة ما يلى :ـ

القصيدة الشعرية

كانت القصيدة الشعرية اول ما عرفه العرب وغير العرب من وسائل الاعلام ، وكانت الاداة الوحيدة للتعبير عن رأي القبيلة فى العصر الجاهلى • فلما جاء الاسلام لعبت قصائد الشاعر الاسلامى (حسان بن ثابت) دورها فى مناصرة صاحب الدعوة • ثم فى عصر بني امية وجد ما يسمى (بالشعر السياسى) • وعلى الشعراء السياسيين من أمثال جرير والفرزدق والاخطل والراعي وذي الرمة اعتمد خلفاء بني أمية فى كثير من قضاياهم السياسية • ثم فى العصر العباسى ظهرت عصبية من نوع آخر اسمها « الشعوبية » وحلت محل العصبية القبلية • وتحمس الشعراء الشعوبيون للامم أو الاجناس التي ينتمون اليهـا • كما ظهرت فى العصر العباسى عصبيات من نوع ثالث ،

هي العصبيات المذهبية : فهذه فرقة دينية تتعصب لمذهب أهل السنة ، وهذه فرقة دينية تتعصب لمذهب المعتزلة ، وهذه فرقة دينية تتعصب للشيعة او لآل البيت • وكان من شعرائها الكميت ودعبل الخزاعي وديك الجن • ثم هذه فرقة دينية تتعصب للخوارج ، وكان من شعرائها وكتابها الطرماح • وهكذا كان لكل فرقة من هذه الفرق الدينية شعراؤها وخطباؤها والذائدون عنها ضد الفرق الدينية الاخرى •

ثم فى عهود الخلافة الفاطمية والسلطنة الايوبية وعهد المماليك ـ وهي العهود التي شهدت الحروب الصليبية ـ كان للشعر المكان الاول فى ميادين الاعلام والدعاية • وبالشعر كما بالسيف نجح الفاطميون فى مصر • وبالشعر كما بالسيف نجح صلاح الدين واولاده فى محاربة الصليبيين وفى التغلب عليهم وطردهم من البلاد الاسلامية •

وبقيت للقصيدة الشعرية مكانتها ووظيفتها السياسية والاجتماعية والاعلامية والدعائية الى يومنا هذا • ففي كل حادث هام أو موقف من المواقف السياسية والاجتماعية الخطيرة نسمع صوت الشاعر الى جانب صوت الصحفي • وللباحث المختص أن يراجع القصائد الشعرية التي قيلت فى حادث تأميم قناة السويس وحادث جلاء القوات البريطانية عن مصر ، وهذا كله فضلا عن القصائد الشعرية التي نظمها كل من شوقي وحافظ فى محاربة الاحتلال البريطاني منذ وطئت اقدامه ارض مصر الى أن قامت الثورة الشعبية الكبرى فى مصر سنة ١٩١٩[١] •

---

(١) عبداللطيف حمزة ، مستقبل الصحافة فى مصر ، الجزء الاول خاصا (بالادب والصحافة) ، الفصل الذى عنوانه ـ القصيدة الشعرية والصحافة المصرية •

الخطبـــة

اما الدور الذى لعبته الخطبة الدينية والخطبة السياسية فى مجـــال الاعلام ومجال الدعاية فى تاريخ العـرب الديني والسياسي فلا يقـــل فى خطورته عن دور القصيدة الشعرية ما لم يكن اكبر منه • والخطبة منـــذ ظهور الاسلام وهي الوسيلة الاولى من وسائل الاعـلام التي اعتمد عليهـا صاحب الدعوة ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ فى نشر الدين الجـديد وفى شرح المبادىء التي نادى بها فى الجزيرة العربية •

واذا تركنا عهد الرسول الى عهد الخلفـــاء الراشدين واستمعنا الى خطب الامام علي ـ كرم الله وجهه ـ وجدنا انفسنا امام رجل يمثل درجـة عالية من درجات البلاغة العربية لم يبلغها خطيب اسلامي قبله ولا بعـده ، باستثناء صاحب الدعوة • وقد حدث الخلاف بين علي ومعاوية فكان ذلك من الاسباب التي وصلت بخطب الامام علي الى هذه الذروة •

ونترك عهد الخلفاء الراشدين الى الدولة الاموية فنجد انفسنا كذلك امام خطبـاء من أشهرهم رجـلان همـا زياد بن ابيه والحجاج بن يوسف الثقفي • وكان كل منهما شديد اللهجة فى مخاطبـة العراقيين • كما كان احدهما ـ وهو الحجاج ـ قد أدخل العنصر المسرحي فى خطبته • فحين أراد أن يخطب العراقيين صعد المنبر وهو ملثم بلثام • وبقى على ذلك مدة أثار فى اثنائها عجب الحاضرين فى المسجد • وجروء بعضهم فقال للحاضرين **أأحصبه لكم ؟ وهنا حسر الحجاج اللثام عن وجهه وبدأ خطبته المشهورة** بقوله :

أنا ابن جلا وطـلاع الثنايا متى أضع العمـامة تعرفوني

فأخاف بذلك أهل العـــراق وألقى الرعب فى قلوبهم واستقامت له احوالهم •

وتوالى الخطباء بعد الحجاج حتى جاء يوم صعد فيه بعضهم على المنبر وخاطب أهل العراق قائلا لهم :ـ

.... ألا أنكم كنتم تلقبون كل واحد من امرائكم بلقب تعرفونه به ، ألا فأعلموا أن لي لقبا أحب أن أعرف به فأنا (الجزار) !!

ثم نصل الى العهد العباسى فنجد الخطبة العباسية تقل فى منزلتها عن الخطبة الاموية ، ونجد القصيدة تعود اليها مكانتها القديمة • ومع هـذا وذاك فقد كانت القصيدة والخطبة تتعاونان على القيام بوظائف الاعلام والدعاية للدولة العباسية على أحسن وجه •

وتسير بنا عجلة التاريخ الى عصر الحروب الصليبية فنرى الخطب الدينية السياسية قد بلغت أوجها فى اثارة المشاعر وتهييج الخواطر ، وفى التهيئة للحرب • فاذا كان النفير العام للقتال فهنا ينتشر الخطباء فى الجوامع الكبرى فى كل من القاهرة ودمشق أو القدس وذلك لتحميس الشعب العربي الاسلامي وتهيئته للجهاد فى سبيل الله • حتى اذا انتصر الجيش الاسلامي بقيادة نور الدين أو صلاح الدين تسابق الخطباء الى القاء الخطب التي كان أشهرها وأروعها اذ ذاك ما يلقى فى جامع المسجد الاقصى • كما ونجد الشعراء فى نفس الوقت يتسابقون كذلك الى نظم القصائد في تهنئة نور الدين أو صلاح الدين أو ابنائه ممن ابلوا بلاء حسنا فى محاربة الصليبيين • وقد عرفت القصائد التي نظمت فى تهنئة صلاح الدين بانتصاراته على الصليبيين فى يوم حطين باسم مشهور فى تاريخ الادب العربي هو « القدسيات »[1] •

---

(١) راجع كتاب الحروب الصليبية ، وكتاب صلاح الدين بطل حطين • وهما للمؤلف •

ثم تسير بنا عجلة التاريخ كذلك فتصل هذه المرة الى العصر الحديث ، الى عصر الثورات الشعبية التي قامت فى بعض بلاد الشرق الاوسط ـ ومنها على سبيل المثال ـ الثورة الشعبية الكبرى لمصر سنة ١٩١٩ بزعامة سعد زغلول • وفى هذه الثورة ظهر عدد من الخطباء السياسيين ـ وعلى رأسهم سعد زغلول ـ مازالت خطبهم ترن فى آذاننا الى اليوم •

قيل عن سعد زغلول انه ذهب مرة الى حيث قتل أحد الشبان فى مظاهرة سياسية • وحين وصل الى هناك غمس منديله فى دم القتيل • ثم نادى فى جمهور المتظاهرين قائلا : أتدرون من هو الذى يحمل وزر هذا الدم ؟ انه عدلى يكن !

وبهذه الحركة المسرحية بلغ الخوف ذروته فى قلوب العدليين من انصار عدلي • كما بلغت الجرأة مبلغها فى قلوب السعديين من انصار سعد[1] •

وقل مثل هذا فى الثورات الشعبية التى قامت بها الاقطار العربية الاخرى ضد الاستعمار ومنها ـ على سبيل المثال ـ ثورة الشعب السوري ضد الاحتلال الفرنسى ، وثورة الشعب العراقي ضد الاستعمار البريطاني •

الحق ـ ان الخطبة كانت وستظل ـ اداة خطيرة من ادوات الاعلام لا يمكن الاستغناء عنها او زحزحتها عن مكانتها الكبيرة بين الوسائل الاعلانية الاخرى •

اتدري ما هي الحكمة فى اهمية الخطبة السياسية باعتبارها وسيلة من وسائل الاعلام ؟

---

(١) محمد حسين هيكل ، مذكرات فى السياسة المصرية (بتصرف) ص ٢٢٢ •

ان الحكمة فى ذلك هي حاجة الحكام فى كل زمان ومكان الى «التحدث الى الشعب • بل ان الحكمة فى ذلك ان الخطبة تعتبر مظهرا من مظاهر الاتصال الشخصى الذى هو اخطر وسائل الاعلام قديما وحديثا[1]

ذلك «ان من ابرز السمات التى تتسم بها المجتمعات الحديثة ان الحكام مسوقون فيها الى الكلام ، مضطرون الى شرح نياتهم ، وبيان اعمالهم • ولا يملكون ان يضربوا صفحا من تبرير مسلكهم ••• وكل سياسة فى عصرنا انما هي حوار لا نهاية له بين الحاكم والمحكوم •

« على ان السمة الحوارية لا تقتصر على القرن الذى نعيش فيه ، فما من سياسة حفلت بالمحاورات اكثر مما حفلت به السياسة الاثينية القديمة • وقد احتفظت بآثارها فى مؤلفات افلاطون • وما من مؤرخ وضع خطبة مشحونة بكثير من المعاني اكثر من توسيديدوس ••••

« غير ان لحوار المجتمعات الحديثة مع ذلك شيئا تختص به ، وهو ان كلام الحكام يتجه من الآن فصاعدا الى الناس كافة » وذلك بالطبع عن طريق الخطب التى يلقيها القادة على عدد من افراد الشعب • ثم تتولى الصحف والاذاعة نشر هذه الخطب على بقية افراد الشعب • وبذلك جنحت المجتمعات الحديثة الى توسيع الحوار السياسى حتى شمل الناس كلهم • وبهذه الطريقة تنجح المجتمعات الحديثة فى اعطاء « المواطنة» صفة شاملة وتجعل فى نهاية اعطاف جميع اعضاء الجماعة مواطنين ذوي فعالية» [2] •

---

(١) فى خاتمة هذا الكتاب اشارة الى (الاتصال الشخصي) باعتباره وسيلة اعلامية •

(٢) حسن الحسن/الاعلام والدولة/ص ٣٣٦ (بتصرف) •

المنـــادى

كان النداء وسيلة لنشر الاخبار فى العصور القديمة • ومازال الى اليوم فى بعض البلاد العربية كسوريا وغيرهـــا • وشهد الناس فى تلك العصور القديمة (المنادى) وهو يتجول في المدينة عرضا وطولا • وكثيرا ما كان للمدينة الواحدة منادون كثيرون فى وقت واحد • واستمرت هذه العادة فى بعض البلاد العربية الى منتصف القرن العشرين بالرغم مـــن وجود الصحف والراديو وغيرها من وسائل الاعلام •

وقد كان يعهد الى المنادى باذاعة الاوامر الحكومية وبعض قوانين الدولة وبعض الاخبار العسكرية • وكان على المنادى ان ينبيء عن وصول الحاكم الجديد للاقليم او الولاية • كان يعهد للمنادى كذلك اذاعة المواعيد التي حددتهـا الحكومة للاعياد الدينيـة ونحوها • كما كان عـلى المنادى كذلك ان يذيع نبأ وفاة عظيم من عظماء الدولـة • وكان عليـه ان يخبر بوصول السفن الحربية ورحيلها عن الموانيء العربية •

ومثل طريقة (المنادى) وجدنا طريقة اخرى للاعلام وهي طريقـــة (المآذن) ، ومن اعلاها كان المؤذن ينشر خبر وفاة امير مـــن الامراء او كبير من الكبراء ، او قائد حربي له شهرته فى ميادين القتال ، او زاهد متصوف كبير من الزهاد والصوفية • وكان على المؤذن ان ينوه بشيء مـن كراماته • وكان عليه فى كل حالة من هـــذه الحالات ان يشيد بمناقب الفقيد ، وذلك بعد الفراغ من تسبيح الله وحمده والسلام على نبيه •

ولعل اخطر ما كان يقوم به المنادون فى العصور القديمة انهم كانوا ينادون بالنفير العام « التعبئة العامة » أو الدعوة للقتال اذا لزم الامر ذلك • وفي هذه الحالة يذيع المنادون (او المؤذنون في المساجد) بعض الاحاديث

النبوية الشريفة في موضوع الجهاد فى سبيل الله .

الحق ـ لقد كانت للمنادى وظيفة اعلامية بالغة الاهمية فى العصور القديمة ، ولم يكن بالامكان الاستغناء عنه فى كل بيئة من البيئات العربية بحال ما .

البعثـــات

ولا نستطيع ان نترك الحديث عن وسائل الاعلام القديمة دون ان نذكر هذه الوسيلة التى عرفها القدماء منذ ظهور الاسلام ، واعتمد عليها صاحب الدعوة اعتمادا كبيرا . ونعني بهذه الوسيلة الاخيرة « البعثات » . ومن اوضح الامثلة عليها بعثات الرسول صلوات الله عليه وسلامه الى النجاشي ملك الحبشة والى كسرى ملك الفرس . وقد كانت هذه البعثات النبوية حركة اعلامية من اخطر ما عرف التاريخ ، وهي من اجل ذلك تستحق دراسة خاصة من جانب العارفين معرفة جيدة بالتاريخ الاسلامي والثقافة الاسلامية .

ان مما لا شك فيه ان الاسلام كان ثورة من اعظم الثورات التى تعرض لها تاريخ البشرية ان لم تكن اعظمها على وجه الاطلاق . ومما لا شك فيه ان هذه الثورة كانت بحاجة كبيرة الى جهود عظيمة فى ميدان الاعلام والدعاية ، غير ان الاسلام لم يعرف فى اية مرحلة من مراحله التاريخية لفظ « الدعاية » . وانما كان يعرف لفظا واحدا فقط هو لفظ « الدعوة الاسلامية » . وكان المسلمون الاولون ينشرون هذه الدعوة بطريقين لا ثالث لهما ، هما طريق السيف من جهة ، وطريق الاقناع بصوره المختلفة من جهة ثانية . وكانت البعثات النبوية صورة من الصور التى اعتمد عليها نشر الدعوة الاسلامية . ولذلك عنى بها صاحب الرسالة،

واختار لها كبار الصحابة .

وفى رأينا ـ والقياس هنا مع الفارق البعيد ـ ان الزيارات الرسمية وغير الرسمية مما نعرفه من وسائل الاعلام الحديثة تعتبر شكلا من اشكال البعثات . وان كان القياس هنا مع الفارق البعيد كما قلنا .

ومن الامثلة عليها الزيارات التى دبرتها جامعة الدول العربية الى منطقة الخليج العربي عام ١٩٦٤ للتحدث مع رؤساء العشائر .. وسنعود بعد قليل الى الحديث عن الزيارات وسيلة من وسائل الاعلام الحديثة .

ترى لماذا ضربنا المثل هنا بالقصيدة والخطبة والمناداة والبعثات من وسائل الاعلام القديمة بالذات واكتفينا بذلك ؟

ليس لهذا من سبب فى الواقع سوى ان الكتب التى تتحدث عن الاعلام الى وقتنا هذا تغفل النظر فى هذه الوسائل الاربع المتقدمة . ولم تبدأ العناية بعد بالاعلام الاسلامي بالمعنى الصحيح كما يمكن ان نفهمه من خلال الكتب التاريخية الاسلامية لمؤرخين معروفين من امثال الطبرى وابن الاثير وأبي شامة (صاحب كتاب الروضتين فى اخبار الدولتين النورية والصلاحية) وغيرهم . اما بقية الوسائل الاعلامية القديمة كالكتاب والمناظرة والندوة فقد بحثها الدارسون او أشاروا اليها [١] . فلننتقل من ذلك الى الكلام عن :

وسائل الاعلام الحديثة

كانت المطبعة بحق هي الفاصل الحقيقى ـ كما قلنا ـ بين العصور القديمة والعصور الحديثة من حيث الاعلام . او بمعنى آخر كانت المطبعة ثورة حقيقية نقلت الاعلام كله من طور الى طور .

---

(١) انظر كتاب (الاعلام . له تاريخه وتراجمه) للمؤلف ـ الفصل الثانى بعنوان : تحليل وسائل الاعلام .

ثم بدأت الثورة الثانية من ثورات الاعلام بظهور اداة جديدة من ادواته ونعني بها (وكالات الانباء) • واخيرا حدثت الثورة الثالثة والاخيرة فى مجالات الاعلام بظهور المخترعات الحديثة • ومنها السينما والراديو والتلفزيون • ولا ندرى ماذا يخبىء لنا المستقبل من وسائل الاعلام فوق ما أشرنا اليه •

من اجل ذلك نقف امام الوسائل الاتية وهي :ـ

١ ـ الصحافة •

٢ ـ وكالات الانباء •

٣ ـ الراديو •

٤ ـ التلفزيون

٥ ـ السينما •

ونضيف الى الوسائل السابقة مايلى :ـ

٦ ـ المعرض •

٧ ـ المؤتمرات الصحفية •

٨ ـ الزيارات الرسمية وغير الرسمية •

واخيرا نقف فى نهاية المطاف عند وسيلة اعلامية ظهر خطرها منذ اوائل هذا القرن ونعني بها :

العلاقات العامة

والمقصود بها فن الاتصال بالجماهير التى تعني بها مؤسسة من المؤسسات الاهلية ، او مصنع من المصانع الكبيرة المعروفة ، او هيئة او دائرة من الهيئات او الدوائر التى تتألف منها الحكومة ، او جمعية من الجمعيات تهدف الى جلب الخير لعدد كبير من افراد المجتمع ونحو ذلك •

يجدر بنا اذن ان نقف وقفات قصيرة عند كل واحدة من هذه الادوات الاعلامية الحديثة • ولكن ليس معنى ذلك ان العصر الحديث لا يعرف غير هذه الادوات • كلا ـ فهناك الكتاب والندوة والمسرح والتيليـــرنتر (او الكتابة اللاسلكية للاخبار) وغير ذلك •

الصحافـــة

لماذا يقرأ الناس الصحف فى اغلب الاحيان ؟ انهم يقرؤنها للاطلاع على ما فيها من اخبار بدافع الرغبة فى الوقوف على احوال العالم المحيط بهم • ويقرؤونها كذلك للاطلاع على اخبار العلوم والمخترعات بدافع الرغبة فـى حب الاستطلاع • ويقرؤونها ايضا لمعرفة القضايا التى يتحدث عنها الرأي العام ولكى يكونوا على اتصال بالمناقشات اليومية التى تدور حول هـــذه القضايا ، ويقرأ الناس الصحف آخر الامر لمجرد التسلية والامتاع بما فيها من طرائف خبرية ، ونوادر ادبية ونحو ذلك •

تلك هي الاغراض التي من اجلها يقرأ المواطنون فى كل بقعة من بقاع الارض مالديهم من الصحف • اما الاغراض التى تهـدف اليهـــا الحكومات او الدول من وراء الصحف فتظهر من ان الحكومات الرأسمالية كالحكومات الاشتراكية تتخذ من الصحافة سلاحا قويا للدفاع عن افكارها السياسية التي تميزها عن الحكومات الاخرى •

وفى ذلك يقول احد زعماء المذهب الشيوعي ـ وهو هنا خروشوف : « الصحافة هى سلاحنا الفكرى الايديولوجي الرئيس ، ونحن نوجب عليها ان تنكل بخصوم الطبقة العاملة واعداء العاملين جميعا فى المجتمع الشيوعى • واذا كان الجيش لاغنى له فى القتال عن السلاح فكذلك (الحزب الشيوعى الواحد) لا يستطيع ان يقوم باعماله فى الميدان الفكرى او الايديولوجي بغير سلاح الصحافة » •

وللصحافة الحديثة مشكلاتها العديدة • غير ان جميع هذه المشكلات انما تنبع من شيء واحد فقط هو ما يسمى « بحرية الصحافة » • فالواقع ان الصحف في اية بقعة من بقاع العالم الحديث لاتستمع بحريتها الكاملة في نقد الحكومة او المجتمع • وان كانت الحرية الصحفية في الدول الرأسمالية اظهر منها في الدول الاشتراكية •

وهناك فرق بين المطالب التي يضغط الشعب بها على الصحف ، والمطالب التي تضغط بها الحكومة على هذه الصحف • فالقراء ، لايضغطون على الصحف الا من ناحية واحدة فقط هي رغبتهم في تنويع المواد التي تقدمها الصحف • وفي هذا السبيل تشقى الصحف شقاء كبيرا لاشباع رغبات الجماهير • اما الحكومات فانها تضغط على الصحف لاغراض سياسية واخرى ذاتية او شخصية • ومن اجل ذلك وجدنا الاستاذ هارولد لاسكي فيلسوف حزب العمال البريطاني ينصح طلبة الصحافة في مقدمة كتابه (الصحافة والشؤون العالمية) بالنصائح الاربع الاتية : ـ

اولا ـ يجب عليكم ان تدركوا تمام الادراك انه لا توجد حكومة في العالم لا تعمل على توجيه الانباء الوجهة التي تخدم مصالحها •

ثانيا ـ يجب ان تدركوا كذلك ان هناك هيئات كثيرة تعمل في جمع الانباء وتحاول تلوين بعضها باللون الذي تمليه عليها الاهواء والاغراض والتحيزات ونحو ذلك •

ثالثا ـ يجب ان تدركوا كذلك ان المراسل الخارجي ـ وهو رجل له وزنه الخاص للامور ـ كثيرا ما تضطره الظروف الى تلوين الاخبار التي يبعث بها الى صحيفته وتحريفها كذلك •

رابعا ـ يجب عليكم ان تدركوا تماما ان هيئة التحرير في كل صحيفة

بحجة السياسة التى تتميز بها عن بعض الصحف الاخرى تقوم باختيار الاخبار على أساس الهوى والغرض • ثم تقوم بتحرير هذه الاخبار بطريقة تتفق وهذه السياسة •

نلخص من ذلك كله الى ان الحرية الصحفية لا وجود لها فى الوقت الحاضر • كما نخلص من ذلك ايضا الى ان هذه الحرية الصحيفة لوصح انها وجدت فى صحافة اليوم فانها تكون مهددة باخطار كثيرة ، منها مايأتي من جانب الحكومة ، ومنها مايأتي من جانب الصحف ذاتها ، واقلها وايسرها خطرا ما كان من جانب الجمهور القارىء • وقد قلنا ان هذا الجمهور القارىء قلما يطلب شيئا اكثر من تنويع المادة الصحفية ذاتها •

لهذا السبب ولاسباب كثيرة اخرى سبق لنا ان ناقشناها فى كتاب (ازمة الضمير الصحفي) قلنا ان الشك اخذ يدب فى صدور القراء من ناحية الصحف وذلك عقب الحرب العالمية الثانية • ويقال ان نجاح الرئيس روزفلت فى انتخابات الرئاسة بين عامي ١٩٣٢ ـ ١٩٤٤ كان دليلا على ازمة الثقة بين الشعب والصحافة • فقد ظهر ان ٨٠٪من الصحف الاميركية جاهرت بعدائها لروزفلت غير انها كانت فى ذلك غير معبرة عن اتجاهات الشعب الاميركي الذى أصر على انتخاب روزفلت •

ولكن هل معنى ذلك ان الصحافة لاتعتبر وسيلة ناجحة من وسائل الاعلام والتأثير فى الرأى العام ؟ كلا ـ فاننا لانستطيع بحال من الاحوال ان نستغني عن الصحف والحريصون منا على معرفة الحقيقة يوجبون على انفسهم ان يقرأوا عدة صحف فى وقت واحد • ذلك أن دواء الصحف فى دائها غالبا • والخطأ الذى تقع فيه صحيفة من الصحف تصلحه صحيفة اخرى • والصواب دائما يقع بين طرفين • وهذا هو شأننا كذلك مع الراديو • فان

الاستماع الى اذاعة واحدة لا يأتى بنفس النتيجة التى تكون بالاستماع الى عدة اذاعات فى ان واحد .

ان الصحافة هى منبر الرأى العام ـ لاجدال فى ذلك . والصحافة هي اقدر وسيلة من وسائل الاعلام على مناقشة الاراء والمسائل العامة فى كل مجتمع . ومن الحقائق التى نؤمن بها كذلك تلك الحقيقة التى تقول « ان لكل مجتمع صحافته التي يستحقها » .

والصحافة فى ذاتها صناعة وتجارة ورسالة . وهي جزء هام من الجهاز السياسى لكل دولة . وهى فى الوقت نفسه اداة هامة فى بناء المجتمعات ، ومقياس لحضارة الامم على اختلافها . والصحافة مسؤولة كذلك عن تثقيف الجماهير ، مسؤولة عن الاخلاق العامة للمواطنين ، مسؤولة فى نهاية الامر عن السلام العالمي ، وقادرة على تحقيقه متى خلصت النية فى ذلك .

بل ان الصحافة فى نظر المفكرين هى المسؤولة عن مستوى المعيشة فى البلاد التى تصدر فيها ، مسؤولة عن الامراض التي تعاني منها هذه البلاد .

(والخلاصة) ان الصحافة ليست مهنة فحسب ، وانما هي حياة ايضا . فالذى يختار الصحافة لايختار مهنة للكسب فقط ولكنه يختار حياة كلها جهاد وكفاح من اجل المجتمع .[1]

من هنا جاءت اهمية الصحافة . ومن هنا كانت لها هيبتها فى المجتمع تلك الهيبة التى عبر عنها نابليون حين قال « انني ارهب صرير الاقلام اكثر

---

(١) عبداللطيف حمزه ، ازمة الضمير الصحفى ، ص ٢٥ ـ ٣١ .

مما أرهب دوى المدافع » . وفي ذلك يقول السياسى الكبير مترنيخ « ان نابليون مدين للصحافة بجيش قوامه ثلثمائة الف جندى على الاقل[1] .

وكالات الانبـــاء

حدثتنا الكتب ان تاريخ وكالات الانباء انما يرجع الى سنة ١٨٣٥ وهى السنة التى ولدت فيها وكالة انباء هافاس .

وهافاس هذا شاب فرنسى انشأ له مكتبا فى باريس لجمع الانباء . واضطره ذلك الى ان يقوم برحلة كبيرة زار فيها اكثر العواصم الكبرى فى القارة الاوربية . وتعاقد مع مراسلين له فى كل عاصمة من هذه العواصم . وكانت الطرق التى اعتمد عليها فى توصيل الاخبار الى مكتبه الاصلي فى باريس لاتكاد تتجاوز البريد ، والحمام الزاجل ، والاشخاص الذين يبعث بهم هافاس الى تلك البلاد لكي يجمعوا بانفسهم الاخبار ثم يعودوا الى هذا المكتب الرئيس فى مدينة باريس حيث يقومون بصياغة هذه الاخبـــار ثم توزيعها على المشتركين ورجال السلك الدبلوماسى وكبار التجـار ورجال المال وغيرهم .

« والغريب ان الصحف فى ذلك الوقت حين عرض عليها هافاس ان يمدها بالاخبار قابلت ذلك بالرفض التام . وحجتها فى ذلك ان المقال كانت له السيادة العظمى على الصحف حينذاك[2] .

ولم تمض اكثر من سنة واحدة على هذا الوضع حتى ادركت الصحف

---

(١) الصحفى المحترف لجون هوهنبرغ ترجمـة فؤاد مويساني ، ص ٦ .

(٢) اليونسكو ، الكتاب الخاص بوكالات الانباء ، ط ـ باريس ١٩٥٤ .

انها اخطأت فى ذلك • ومال القراء الى الاخبار • وكان على الصحف ان تشبع ميولهم من هذه الناحية • وهكذا استطاع هافاس فى زمن يسير ان يحقق بوسيلته هذه توثيق الروابط بين باريس ولندن وبروكسل وروما وفينا ومدريد وكثير من المدن الالمانية الكبيرة •

وكالات الانباء العالمية

المعروف ان هذه الوكالات العالمية ست الى الان ، وهي :ـ

١ ـ وكالة فرانس أجنس الفرنسية (هافاس سابقا) •

٢ ـ وكالة رويتر الانجليزية •

٣ ـ وكالة تـاس السوفيتية •

٤ ـ وكالة الاسوشيتدبريس الاميركية •

٥ ـ وكالة اليونايتدبريس الاميركية ايضا •

٦ ـ وكالة الانترناشيونال نيوز سرفيس الاميركية كذلك •

وهناك حقيقة هامة لاينبغى ان يغفل عنها رجال الاعلام • وهى ان جميع الوكالات العالمية للانباء تترك اثرها واضحا فى توجيه الرأى العام العالمي • ومن المستحيل فى الواقع ان تكون هذه الوكالات العالمية محايدة فى عرض الانباء • وذلك ما دعا الى انشاء وكالات الانباء المحلية ومنها (وكالة انباء الشرق الاوسط) فى الجمهورية العربية المتحدة وذلك فى شهر يناير ١٩٥٦ • والقت الحكومة على هذه الوكالة طائفة كبيرة من المسؤوليات بما يتفق والمجتمع الجديد الذى تحاول حكومة الثورة ان تتولى بناءه على اساس من الاشتراكية الديمقراطية التعاونية [١] •

---

(١) ليرجع القارىء متى اراد الى كتاب، الاعلام والتحول الاشتراكى للدكتور مختار التهامي ، المدرس بقسم الصحافة بجامعة القاهرة •

ومهما يكن من شيء فان الفرق عظيم بين الوكالة العالمية والوكـــالة المحلية التى ضربنا لها مثلا بوكالة الشرق الاوسط • ويتمثل هذا الفرق فى ضخامة الخدمات الاعلامية التى تقدمها الوكالالة العالمية وفى المدى البعيد الذى يمتد توزيعها ، وفى عدد العملاء الذين يشتركون فى هذه الوكالة ، وفيما تملكه من تسهيلات فى وسائل الارسال والاتصال ونحو ذلك • على حين ان نشاط الوكالة المحلية ينحصر او يكاد فى نطاق البلد الذى تصدر فيه هذه الوكالة • وان كان بعض هذه الوكالات المحلية يـــوزع نشرات منتظمة ومحدودة فى الخارج تستهدف خدمة المواطنين المقيمين فى البلاد الاجنبية • ولكنه لا سبيل الى مقارنتها بالنشرات الاخبارية التى تصدرها الوكالات العالمية (١) •

ومع ما تملك هذه الوكالات العالمية من هذه الميزات التى اشرنا اليها فان لها خطرا كبيرا يهدد الاعلام كله فى البلاد العميلة • ونعنى التى تصل اليها اخبار هذه الوكالات • وذلك لعدم استطاعة هذه الوكالات العالمية ـ كما قدمنا ـ اتباع الحيدة فى نشر الاخبار وصياغتها وشأن الوكالة فى ذلك تماما شأن الصحف كما سبق القول فى هذه القضية •

وربما كان الدواء الوحيد الذى تعالج به هذه المشكلة فى الاقتراح الذى سبق ان اقترحناه فى كتابنا « مستقبل الصحافة » وخلاصته انه لابد مـن انشاء (وكالة انباء عالمية) تابعة تبعية مباشرة لمنظمة « الامم المتحـــدة » • والمفروض فى هذه الوكالة المقترحة هو انها تلتزم الحيدة فى نشر الاخبار ، سعيا وراء نشر السلام والرفاهية فى شعوب الارض ، وتبني خطتها الاخبارية

---

(١) راجع : فيل اولت/الاخبـار ليلا ونهـارا/ترجمة احمد قاسم جودة ص ٥ •

على هذه الاسس وحدها دون غيرها •

وكما ان الصحافة مسؤولة عن واجبات كثيرة منها حفظ السلام فى العالم فكذلك يجب ان تكون وكالات الانباء لها نفس الهدف خذ لذلك هذا المثل : (١)

« حين حدثت ازمة الحدود بين مصر والسودان منذ اعوام قليلة اذاعت وكالة رويتر الانجليزية برقية فى الهزيع الاخير من الليل مؤداها ان الجيش المصرى غزا السودان • وكانت وكالة رويتر هي الوكالة الوحيدة التى انفردت بنشر هذا الخبر واختارت له توقيتا معينا هو الهزيع الاخير من الليل لكى تنشره الصحف السودانية قبل ان يتاح لها الوقت الكافي للتحقق من وقوع هذا الغزو او عدم وقوعه • وكان قصد الوكالة الانجليزية من ذلك خلق حالة من التوتر اوحت بها الاوساط الانجليزية فى تلك الفترة •

ليس شك ان فى هذا مثلا صارخا من الاخبار الزائدة التي يراد بها افساد العلاقات بين قطرين شقيقين يعيشان على نهر واحد وثقافة واحدة •

الاذاعة

الى ماركوني ثم أديسون من بعده يرجع الفضل فى اختراع الراديو • وبعد الحرب العالمية الاولى أنشأت شركة ماركوني مع (الديلى ميل) فى لندن محطة ارسال اذيعت منها حفلات موسيقية استمع لها الشعب الانجليزى لاومر مرة • غير ان هذه المحطة الاذاعية لم تستطع ان تشمل الجزيرة البريطانية كلها فى ذلك الوقت • ثم تقدمت هذه الاذاعة الانجليزية شيئا

---

(١) عبداللطيف حمزه ، ازمة الضمير الصحفي ص ١٦٣ •

فشيئا حتى اصبحت تسمع فى باريس وايطاليا والنرويج وسفن المحيط الاطلسى بسهولة .

وفى سنة ١٩٢٠ انشأت بعض الشركات الامريكية محطة اذاعة كبرى الولايات المتحدة . وكانت قد سبقتها الى الوجود محطة اذاعة فى موسكو . استطاعت الاذاعة الامريكية ان تعلن نتيجة انتخاب السيد (وارن هاردنج) رئيسا للجمهورية . وكان ذلك اول انتصار للاذاعة على الصحافة فى نقل الاخبار العامة . فقد قيل ان الاذاعة سبقت الصحافة فى ليلة الانتخاب . وشجع هذا النجاح شركات كثيرة على انشاء محطات اذاعية بلغ عددها اربع محطات ارسال سنة ١٩٢١ ، وتسعا وعشرين محطة عام ١٩٢٢ ، وثلثمائة واثنين وثمانين محطة سنة ١٩٢٧ .

وبين الحربين العالميتين الاولى والثانية ادخلت تحسينات كثيرة على الاذاعة فى كل من اوربا واميركا ، وتنوعت البرامج فى هذه المحطات تنوعا كبيرا . وكان من بينها البرامج التمثيلية . ومنذ ذلك الوقت اصبح للاذاعة خطرها البالغ فى مجال الاعلام . ومازال لها هذا الشأن الى اليوم .

والمهم ان الراديو يعتبر من اقوى اجهزة الاعلام فى الوقت الحاضر لانه غير محدود بحدود الاقليم الذى يوجد فيه . على حين ان التلفزيون ما زال محدودا بالحدود الاقليمية الضيقة الى اليوم . وفى كلامنا عن الرأى العام اشرنا الى الاذاعة والى اختلاف انظمتها وبرامجها باختلاف الحكومات والشعوب . فللاذاعة الانجليزية نظام ، وللاذاعة الالمانية نظام آخر ، وللاذاعة السوفيتية نظام ثالث وهكذا .

ذلك ان الدول الاوربية الكبرى ـ وخاصة بعد الحرب العالمية الثانية ـ اتجهت الى الاخذ بنظام الاذاعة الرسمية . اى ان الاذاعة فى هذه الدول

اعتبرت جهازا من اجهزة الحكومة • ولها ـ اى للحكومة ـ ان توجه هذه الاذاعة كما تشاء •

التلفزيون

منذ عام ١٩٣٠ بدأت الدول الكبرى ومن اولاها اميركا وانجلترا وفرنسا والمانيا والاتحاد السوفيتي طائفة من التجارب التى ساعدت على ظهور التلفزيون • وفى عام ١٩٣٦ كانت انجلتره اولى الدول فى تقديم برامج تلفزيونية بصورة منتظمة • وتبعتها الولايات المتحدة الاميركية • وفى عام ١٩٣٨ انتشر جهاز التلفزيون فى اكثر المنازل فى اميركا • ومنذ بداية الحرب العالمية الثانية حتى سنة ١٩٤٥ خضع جهاز التلفزيون لتطورات كثيرة وخطيرة • وفى سنة ١٩٤٨ اصبح عدد محطات التلفزيون فى اميركا اربعا وعشرين محطة تقوم بالارسال من احدى وخمسين مدينة من المدن الكبيرة • ثم ارتفع عدد المحطات التلفزيونية فى اميركا فى سنة ١٩٥٨ الى خمسمائة وتسع وعشرين محطة • وفى نهاية هذه السنة المذكورة بلغ عدد محطات التلفزيون فى الاتحاد السوفيتى ثلاثا وستين •

وكما تدخلت الحكومة فى الاذاعة وسيطرت عليها فكذلك فعلت الحكومات بمحطات الارسال التلفزيوني • وفى ذلك ما يدل على القيمة الكبيرة لهذا الجهاز من الناحية الاعلامية الخالصة •

ولان التلفزيون وسيلة محلية ومحدودة بحدود الاقليم كما سبقت الاشارة الى ذلك ، فقد فكرت الحكومات والشعوب فى علاج لهذه الحالة • وذلك عن طريق تبادل البرامج التلفزيونية ، سواء كانت هذه البرامج اخبارية او تعليمية او تمثيلية او غنائية ، ولهذه الغاية انشىء اتحاد اوربي للاذاعات سنة ١٩٥٧ باسم (الاوروفيزيون) يضم اثنتي عشرة دولة اوربية

هي ـ المانيا والنمسا وبلجيكا والدانمارك وفرنسا وايطاليا ولوكسمبرج وموناكو وهولندا وانجلترا والسويد وسويسرا ، ويعمل (الاوروفيزيون) تحت اشراف لجنة البرامج التابعة للاتحاد الاوربي للاذاعات ، ومقر هذه اللجنة مدينة جنيف وتعمل هذه اللجنة على الشكل التالي :ـ

ترسل كل محطة من محطات الدول المذكورة برامجها التلفزيونية التي انتجتها الى مركز لجنة البرامج وهي اللجنة التي تستقبل هذه البرامج وترسلها الى الدول الاعضاء لتأخذ علما بنوعيتها وموضوعاتها • ثم تجمع الاجوبة التي ترد الى اللجنة من هذه الدول حول البرامج التي تفضلها الدولة على غيرها ، وحول اللغة التي تستعمل في هذه البرامج عند تقديمها •••• الخ • (١)

وفي البلاد العربية في الوقت الحاضر تعاون وثيق بين محطات الاذاعة والتلفزيون على اختلافها • فنجد هذه المحطات كثيرا ما تتبادل البرامج الاذاعية والتلفزيونية فيما بينها بصورة قوية •

وفي شهر سبتمبر (ايلول) سنة ١٩٦٤ عقد مؤتمر خاص بتطوير التلفزيون في القارة الافريقية • وقامت هيئة (اليونسكو) بتنظيم هذا المؤتمر في (لاجوس) • وحضر المؤتمر طائفة من الخبراء العالميين • وانتهى الى عدد من التوصيات المهمة رأيت من الخير ان الحقها بهذا الكتاب في نهايته (٢) •

---

(١) حسن الحسن ، الاعلام والدولة ، ص ١٨٨ ـ ١٨٩ •

(٢) وقد سبقنا الى ذلك الدكتور مختار التهامي في كتابه (الاعلام والتحول الاشتراكي) •

وكان من بين هذه التوصيات على سبيل المثال مايلى : « لكي نصل الى تفاهم اوثق وتعاطف اشد بين الشعوب الافريقية لابد للهيئات الاذاعية الافريقية أن تقوم بتنظيم تبادل دورى للبرامج فيما بينها • ولابد لهذه البرامج المتبادلة أن تصور الثقافة تصويرا صادقا ، وتصوير طريقة الحياة فى تلك البلاد والخصائص المميزة لها » •

ومن هذه التوصيات كذلك :

« يوصي المؤتمر بانشاء مجالس قومية استشارية للتلفزيون ويجب أن تحضى هذه المجالس باهتمام الهيئات التلفزيونية الافريقية على اختلافها • وذلك باعتبارها وسيلة لزيادة التحسين فى فاعلية هذه الهيئات وقوة تأثيرها وعظم وقعها فى نفوس المشاهدين من اهل تلك البلاد •

« ويتعين ان تتضمن هذه المجالس الاستشارية بالاضافة الى ممثلين عن الخدمات الاذاعية والتلفزيونية القومية قادة من جميع قطاعات الحياة ، ولاسيما المهيمنين منهم على مجالات التربية والاعلام على ان تأخذ هذه المجالس الاستشارية فى اعتبارها جميع المسؤوليات التربوية والاجتماعية والثقافية لهيئة التلفزيون صاحبة الشأن » •

السينما

الى (اديسون) يرجع الفضل الاول كذلك فى اختراع الصور المتحركة • وقد استطاع (روبرت هول) بعد ذلك ان يدخل تحسينات على آلة العرض للصور المتحركة نفسها وعلى عرض هذه الصور من ابعاد كبيرة دون ان يؤثر ذلك شيئا فى وضوح الصور على الشاشة • ثم فى عام ١٨٩٥ استطاع العالمان الفرنسيان (لويس واوجست لوميرا) ان يصنعا آلة جديدة للعرض • وعرضا بها على الجمهور الفرنسى

لاول مرة فيلما طوله خمسون قدما • وكان هذا بحق اول ميلاد السينما •

ثم جاء (شارل بانيه) من فرنسا فتقدم بهذه الصناعة اشواطا بعيدة حققت ارباحا مذهلة فى الحقيقة ، ومنذ ذلك الوقت انتشرت السينما فى ربوع اوربا واميركا •

وبعد عام ١٩٠٣ انتشرت الافلام الاخبارية واحتاجت الى مجهودات كالتى تبذلها وكالات الانباء سواء بسواء • ثم ظهرت الافلام الروائية •

وفى روسيا السوفيتية اصبحت السينما ـ على حد تعبير لينين ـ أهم الفنون التي تستعين بها الدولة فى نشر مذهبها • وهناك فى تلك البلاد ما يسمى بـ (الجريدة السينمائية)• وهي عبارة عن ملحق لصحيفة (برافدا)• وهكذا اصبحت السينما السوفيتية فى نهاية الامر كما سبق ان اشرنا الى ذلك ـ واسطة للثقافة وهي كذلك فن ديمقراطي شعبي بالمعنى الصحيح لهذه الكلمة ، وظيفته الاولى التعبير عن الافكار والعواطف والرغبات التي تجيش فى نفوس الملايين من الشعب السوفيتي •

وفى اميركا وبعد الحرب العالمية الاولى تقدمت هذه الصناعة تقدما متزايدا سمحت به القدرات الاقتصادية والاجتماعية التى توفرت للولايات المتحدة ولم تتوفر لغيرها • وبعد الحرب العالمية الاولى بنحو عشر سنوات بلغت الافلام الاميركية درجة من القوة اكتسحت بها جميع الافلام الاوربية• وكانت الفترة من عام ١٩١٩ ـ الى ما قبل صناعة الافلام الناطقة هي للافلام الصامتة فى امريكا[١] •

وقد سبق لنا فى الباب الخاص بالرأى العام ان تحدثنا عن اثر السينما

---

(١) المصدر المتقدم ، ص٣٣٣ •

من ناحيتين هما تكوين الرأى العام من جهة ، ونشر الثقافة من جهة ثانية ، فلسنا بحاجة الى تكرار ما قلناه .

المعـــرض

وهو من انفع الوسائل الاعلامية فى الوقت الحاضر . لانه ليس وسيلة من وسائل اللهو والتسلية وقضاء اوقات الفراغ بقدر ما هو وسيلة اقتصادية ناجحة للتعريف بشتى وجوه الحياة فى الارض التى يقام عليها . والمعرض فى ذلك شأنه كشأن السوق فى العصور القديمة حين كانت تجمع بـــين المعروضات المادية والمعروضات الفكرية كالشعر والخطب ونحو ذلك ، وان كانت هذه المعروضات الفكرية قلما توجد فى المعارض الاقليمية بقدر مـا توجد فى المعارض الدولية . وقد التفت الاعلاميون المحدثون الى هذه الظاهرة القديمة ـ وهي الجمع بين المعروضات المادية والمعروضات الفكرية ، مثال ذلك :

حدث فى معرض نيويورك الدولى ان عرضت (الاردن) فى الجناح الخاص بها لوحة كتبت عليها قصيدة مؤثرة تصور حالة اللاجئين المطرودين من فلسطين ، وكان لهذه اللوحة تأثير نفسى وآخر اعـــلامى فى نفوس الجماهير . فما كان من اسرائيل الا ان اقامت الدنيا واقعدتها ولم يهدأ لها بال حتى تمكنت من ازاحة هذه اللوحة من المعرض .

ومن الامثلة على المعارض الحديثة كذلك (المعارض المتحركة) وهى معارض تقام على ظهور السفن والبواخر الكبرى ، ومن الامثلة عليها معرض اليابان للاسلحة الحربية والمنتجات القومية . وقد اخذ هذا المعرض ينتقل فى عرض البحار ويرسو على مختلف الاقطار ويجذب اليه الانظار .

هكذا تعددت وسائل الاعلام الحديثة ، والظاهر ان المستقبل يخفى

منها عددا اكثر واضخم • فقد سمعنا اخيرا عن الصحف التى تنشر فى البيت عن طريق جهاز يلتقط الانباء ويسجلها على شريط ، ويقدمها للبيوت مع اخبار اخرى مكتوبة بهذه الطريقة • وقد استطاعت بعض الشركات ان تدخل تعديلا على هذه الاجهزة بحيث تتمكن كذلك من نقل الصور الى جانب الالفاظ • وبهذه الطريقة تستطيع الصحيفة ان تنافس الراديو والتلفزيون منافسة قوية •

الزيارات الرسمية وغير الرسمية

وهي شبيهة (بالبعثات النبوية) التي تحدثنا عنها قبل ذلك • والقياس هنا مع الفارق •• وقد اصبحت الزيارات وسيلة من وسائل الاعلام التى ينتفع بها كثيرا فى الوقت الحاضر • والامثلة على هذه الزيارات كثيرة تطالعنا بها الصحف ومحطات الاذاعة والتلفزيون كل يوم •

وقد ادركت الحكومات المعاصرة ما لتبادل الزيارات من الفوائد الجليلة ، فنرى رؤساء الدول فى وقتنا هذا يكثرون من هذه الزيارات • وقد يؤدي بعضها الى عقد مؤتمرات ومعاهدات • وفى هذه المؤتمرات أو الزيارات يناقش العديد من المشكلات الاقليمية والمشكلات الدولية التي تمتاز بصفة (الحالية) • فيوحى كل ذلك للمواطن الحديث بان العالم قد اصبح اسرة واحدة بل جسدا واحدا اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى !!

ومن الامثلة على الزيارات كذلك تلك الدعوات التى تتوجه بها الدول الكبرى كأميركا وروسيا وانجلتره الى بعض الصحفيين او السياسيين او الادباء والفنانين لزيارة هذه البلاد والتعرف على مجالات التقدم فيها • وكثيرا ما تعمد الدول النامية كذلك الى هذه الطريقة ليتعرف عليها الرأى العام

العالمى .

ومن هذا القبيل كذلك ما تلجأ اليه بعض الحكومات من توزيع صور الزعماء والقادة وكبار الشعراء والكتاب والفلاسفة والمفكرين فى الامة . ويكون هذا التوزيع اما فى داخل الوطن الذى ينتمي اليه هؤلاء البارزون ، واما فى خارجه . وفى هذه التصرفات وامثالها تعريف بالامة التى انجبت هؤلاء النابغين وسعدت بهم .

ومثل هذا يقال ايضا بالقياس الى (الرحلات) التي تقوم بها الهيئات والشركات والمدارس والمعاهد والجامعات الى بلاد بعيدة بقصد التعرف عليها ، وتعريف اهلها بهم وببلادهم وما وصلت اليها فى ميدان الادب والعلم والفن .

المؤتمرات

وهي انواع : فمنها المؤتمرات الصحفية والعلمية والادبية والعمالية والبرلمانية التى نسمع بها كثيرا فى معظم الدول المتحضرة . ومن اوضح الامثلة عليها المؤتمر الصحفى الذى يعقده رئيس جمهورية الولايات المتحدة بصفة دورية .

ومن اوضح الامثلة عليها كذلك (مؤتمرات القمة) التى يعقدها رؤساء الدول العربية او الافريقية او الاسيوية او الافرواسيوية وما اليها . ولشهرة هذه المؤتمرات على اختلافها عنيت بها الصحف والاذاعة والسينما والتلفزيون . ولذلك لا تحتاج منّا الى مزيد من القول . بقى أن نتحدث عن وسيلة اخرى من وسائل الاعلام الحديثة وهى :ـ

العلاقات العامة

والعلاقات العامة ـ كما قلنا ـ هي فن الاتصال بالجماهير التي تتعامل

معها المؤسسات الهامة فى المجتمع سواء كانت هذه المؤسسات او المنشآت اهلية ام حكومية .

والهدف منها فى الواقع هـــو رعاية الروابط الانسانية السليمة فى المجتمع وكسب الجماهير ، وضمان التفاهم التام بين هـــذه المؤسسات على اختلافها . وبعبارة اخرى ان فن أو علم العلاقات العامة يهتم كذلك بالكشف عن الأسس والمبادىء التي تساعد على اقامة روابط ودية سليمة بين فئـــات الشعب من ناحية والمؤسسات الاقتصادية والاجتماعية من ناحية اخرى[1] . وبسبب هذه المعرفة الدقيقة يستطيع الجمهور أن يتصرف تصرفا سليما مـع هذه المؤسسة أو الهيئة ، ويستطيع فى الوقت نفسه أن ينتفع بها على الوجه الاكمـل .

واما الفوائد التي تعود على المؤسسة الاهليـة أو الحكومية من وراء العلاقات العامة فكثيرة ايضا .

لقد أثبتت التجارب والاحصاءات الكثيرة ان المؤسسات لا تتقـدم فى عملها بقوة (الادارة) وحدها . بل بقوة العلاقات العامة الى جانب ذلك . وقد اعتاد علماء هذا الفن أن يشبهوا المؤسسة بمركبة لها جوادان : احدهما يمثل الناحية الادارية فى المؤسسة ، والثاني يمثل ناحية العلاقات العامة . كما يمكن تشبيه المؤسسة كذلك بالطائرة لها جناحان ، جناح يمثل الادارة ، وآخر يمثل العلاقات العامة .

ولكن ـ هل معنى ذلك ان لابد لكل مؤسسة مـن وجـــود جانب التسويق الى جانب العلاقات ؟

---

(١) ابراهيم الامام ، العلاقات العامة والمجتمع ، ص٧ .

كلا ـ فان هناك مؤسسات حكومية واخرى اهلية ليس لها جانب تسويق • ومثال ذلك الجامعات والمستشفيات العامة • فمن غير المعقول أن يكون للجامعةأو المستشفى ناحية تتصل بالتسويق • فالجامعة عملها نشر العلم • والمستشفى عمله العلاج • وليس للجامعة أو المستشفى أن يبيع الناس شيئا يربحان من ورائه ربحا قلّ أو كثر • ومعنى ذلك ان التشبيهين الاخيرين لا ينطبقان الا على المؤسسات الصناعية والتجارية وليس غير •

(والخلاصة) ان العلاقات العامة عبارة عن نشاط مؤسسة من المؤسسات او نقابة من النقابات او شركة من الشركات ، أو دائرة من الدوائر الحكومية ، أو جمعية من الجمعيات ، او اصحاب مهنة من المهن من أجل اقامة علاقات سليمة ونافعة بين الجمهور العام وهو جمهور المستهلكين وبين هذه المؤسسات بمن فيها من المساهمين والموظفين • وذلك كله بغية التكيف مع البيئة ، وبغية تفسير النشاط الاجتماعي الذى تزاوله كل منظمة من تلك المنظمات[1] •

ولكن مالفائدة التي تعود على الطرفين ـ طرف المؤسسة من جانب وطرف الجمهور المنتفع من جانب آخر ـ من وراء العلاقات العامة ؟

الواقع ان فى تبادل الآراء والافكار بين هذين الجانبين فائدة كبيرة تعود على كل منهما على حدة •

ثم ما هي الوسائل التي يعتمد عليها رجل العلاقات العامة ؟

ليس امام هذا الرجل الا الوسائل الاعلامية المعروفة كالصحافة والاذاعة التلفزيون والسينما • وهو فى استخدامه لهذه الوسائل الكثيرة

---

(١) نفس المصدر المتقدم ، ص ٨ •

بحاجة ماسة الى ثقافات كثيرة يستطيع أن يفهم بها عقلية الجماهير وان يتعامل معها بطرق سليمة • ومن هذه الثقافات علم النفس وعلم الصحافة وعلم الاقتصاد وطرق قياس الرأي العام وطرق الاستفتاء وعلم الاحصاء ونحو ذلك •

وعلى هذا فالعلاقات العامة ليست مجرد اقامة الحفلات والظهور بين الناس بالملابس الرسمية والقاء الكلام المعسول في الترحيب بالجماهير ، كلا — فانها أبعد من ذلك وأعمق • انها عبارة عن افهام الناس حقائق المؤسسة الحكومية أو الاهلية واوضاعها وتفسير هذه الاوضاع وتعليلها والوصول من وراء ذلك الى غاية رئيسة هي (التكيف الاجتماعي) الى جانب غايات اخرى من أهمها الربح المادي أو النجاح المعنوي للمشروع الذى تتولى العلاقات العامة شرحه للجماهير •

* * *

هكذا استطاعت وسائل الاعلام الحديثة أن تغير مفهوم الناس لمعنى السياسة • وفى ذلك يقول الاستاذ الفرنسى بول فاليرى :

« لقد كانت السياسة طيلة قرون عديدة عبارة عن فن منع الناس من الدخول فيما لا يعنيهم ، فأصبحت فى عصرنا هذا عبارة عن فن استجواب الحكام عما يجهله الشعب من المسائل السياسية وغير السياسية على السواء » •

مهما يكن من شىء فان اشهر الوسائل الاعلامية والصقها بالمواطنين فى المجتمع الواحد وسيلتان كبيرتان هما الصحافة والاذاعة • ولذلك يشتد الصراع بين هاتين الاداتين • وهو صراع ينتفع به الجمهور القارىء أو السامع •

ومن هنا لا نستطيع أن نترك هذا الفصل دون أن نخوض فى بعض

الموضوعات التي تتصل بوسائل الاعلام • ومن أهمها موضوعان كبيران :ـ

اولهما ـ المنافسة بين الراديو والتلفزيون والصحافة •

وثانيهما ـ اللغة التي تستخدم فى هذه الاجهزة الثلاثة • ونعني بها اللغة الفصيحة التي يمكن أن تكون مفهومة من اكبر عدد ممكن من ابناء البلاد العربية فى وقتنا الحاضر • اما اللغة العامية او اللهجة المحلية فلم نشأ أن نعرض لها فى هذا البحث •

بين الراديو والصحف

تعاني الصحف فى وقتنا هذا كثيرا من المشقة فى منافسة الراديو والتلفزيون • مع ان الحقيقة ان هذه الادوات الثلاث يعين بعضها بعضا ويكمل بعضها بعضا بطريقة تلقائية لا عناء فيها • واكثر ما تظهر هذه المنافسة على أية حال فى البلاد الرأسمالية الكبيرة كالولايات المتحدة الامريكية • فقد كان عدد الصحف اليومية عام ١٩٠٩ فى تلك البلاد الفين وستمائة صحيفة • ثم فى عام ١٩٥٥ هبط هذا العدد الى ١٧٨٥ صحيفة فقط • والسبب فى ذلك هو دخول الصحف فى منافسة قوية مع الراديو بنوع خاص • ولم تجد الصحف الامريكية امامها للتخفف من هذه المنافسة غير طريق واحد ، هو طريق ادماج الجرائد والمجلات فى تكتلات صحفية يساعد بعضها بعضا على الظهور للجمهور بأخبار كثيرة وموضوعات متنوعة ، وأعمدة شائقة ، وصور جذابة ، ومواد اعلامية تزيد على المواد التي يقدمها الراديو • وبهذه الطريقة الاخيرة تستطيع كل صحيفة من تلك الصحف ان تضمن لنفسها البقاء من اجل المجموعة التي تنتمي اليها • وهي المجموعة التي يتحمل بعضها خسائر بعض فى المال ، ويزود بعضها بعضا بالمواد الاعلامية من جميع الصور والاشكال •

على أن الراديو من بين وسائل الاعـــلام فى الوقت الحاضر مازال يحتفظ لنفسه بمكانة عالية وتأثير كبير فى نفوس المستمعين • وحسبنا أن نشير من مزاياه العديدة الى ما يلى :ـ

اولا ـ انه أصلح الوسائل الاعلامية بالقياس الى المجتمعات البدائية أو التقليدية وذلك لانتشار الامية فى هذه المجتمعات ، ولسوء المواصلات وقلة المال الذى تستعين به هذه المجتمعات التقليدية فى ادخال التحسينات اللازمة على هذه المرافق الحيوية من مواصلات وتعليم وطرق اعلام ونحو ذلك •

ثانيا ـ ان الراديو يمنح المواطنين فى البيئات المتقدمة أو الحديثـــة حرية اعلامية أوسع من بقية الوسائل الاعلامية الاخرى كالصحف بنـوع خاص • ذلك ان فى استطاعة المستمع بحركة بسيطة يحرك بهـا زرا من أزرار الراديو أن يستمع الى محطات اذاعيـة كثيرة في وقـت واحـــدة • وتستطيع هذه الاذاعات أن تمد المستمع بأخبار متنوعة وآراء وأفكار متباينة يصحح بعضها بعضا ، وتعطي فى النهاية صورة متكاملة للمشكلة التي تتحدث عنها محطات الاذاعة المختلفة وقبل بها الرأي العام سواء فى ذلك المجتمعات المتقدمة او المجتمعات النامية •

هكذا يتمتع المستمعون بحرية اعلامية كبيرة عن طريق الراديو ، فى حين أن ثمن هذه الحرية الاعلامية كبير عن طريق الصحف والمجلات والكتب وما اليها •

ثالثا ـ ان الدعاية عن طريق الراديو ـ ومعه التلفزيون ـ اعظم اثرا من الدعاية عن طريق الصحف وحدها • ذلك ان المستمع يظل اقدر على التأمل والنقد حين يكون وحده فى مكان يستمع فيه الى الراديو او يشاهد فيه التلفزيون • ولكن المستمع يفقد هذه القدرة فى الغالب عندما يصغي الى

خطبة يشارك فى الاصغاء اليها عدد من الجماهير الغفيرة التي اجتمعت لسماعها • وكذلك الشأن فى المحاضرة ونحو ذلك •

رابعا ـ ان الراديو قادر دائما على أن يجعلنا نعيش فى عالم غني بالاحاسيس الاجتماعية • وربما كان هذا هو السبب فى التصرف الذى يبدو غير معقول من بعض المواطنين حين يتركون الراديو مفتوحا طول النهار دون أن يصغوا اليه •

خامسا ـ ان الراديو له فضل على الجماهير من الناحية اللغوية البحتة • فمما لاشك فيه ان الراديو يزيد فى محصولهم اللغوي يوما بعد آخر •

سادسا ـ أن الناس لا يتصل بعضهم ببعض عن طريق النظر بقدر ما يتصل بعضهم ببعض عن طريق السمع • وأصح من هذا أن يقال انه عن طريق النظر يتصل الناس بالاشياء • ولكن عن طريق الاذن يتصلون بالاحياء • والفرق بعيد بين الحالتين • ومن ثم كان الراديو أقدر من سواه على تزويد الناس بالاحاسيس الاجتماعية والتأملات الذهنية •

بين الراديو والتلفزيون :

من الموازنة بين الراديو والتلفزيون يتضح لنا ان الراديو يمتاز بأن موجاته تخترق كل انحاء العالم فى أقل من لمح البصر • ذلك ان موجة الاثير تدور حول الكرة الارضية فى نحو $\frac{1}{8}$ الثانية لا تقف فى سبيلها سدود أو حدود • على حين ان التلفزيون محدود بدائرة قطرها لا يزيد حتى الآن عن مائة ميل • ولابد من وجود محطات للتقوية كلما أريد التوسع فى هذه الدائرة •

ومن هنا نجد برامج التلفزيون فى كل بلد من بلاد العالم برامج محلية لا تتعدى حدود الوطن الذى توجد به المحطة التلفزيونية •

ومن ثم كان الراديو أقدر على تكوين (الرأي العام العالمي) وقد يتفوق على الصحافة نفسها فى هذا السبيل • اما التلفزيون فانه أقدر على تكوين الرأي المحلي •

اجرى استفتاء فى البلاد العربية حول وسائل الاعلام • وكان من نتائج هذا الاستفتاء ان ٧٦٪ من البلاد العربية يفضل (الاذاعة) على بقية الوسائل الاعلامية • وانفردت الجمهورية العربية المتحدة بتفضيل الصحف على غيرها من هذه الوسائل •

ولا ينبغي لنا أن ننسى فى مجال التنافس بين الاذاعة والتلفزيون والصحافة كذلك ما قيل عن العصر الذى نعيش فيه من انه (عصر الترانسستور) وهو جهاز صغير من اجهزة الاذاعة يحمل فى اليد بل يحمل فى الجيب • واعترف الاستعمار بخطر هذا الجهاز ، وبأنه كان كفيلا باحباط الجهود التي بذلها فى الشرق الاوسط • وقال ان كل جهاز من هذه الاجهزة الصغيرة كان أقوى من فرقة كاملة مسلحة •

وسيلة الاتصال الشخصى

تحدثنا الى الآن عن وسائل الاعلام القديمة والحديثة بوجه عام • ولم نشر اشارة كافية الى وسيلة اخرى يعرفها الجميع • وكأنها لشهرتها بين الناس لا تحتاج الى من يشرحها لهم • وهذه الوسيلة من وسائل الاعلام المعروفة فى كل زمان ومكان هي (الاتصال الشخصى) أو المباشر • وعليها تعتمد الدعاية فى كل شكل من اشكالها • والسبب فى ذلك ان الناس يتأثرون عادة بطريق الاتصال الشخصى اكثر مما يتأثرون بطريق الصحف او الاذاعة أو التلفزيون • ذلك انهم مع الصحف والاذاعة لا يعيرون انتباههم الا الى الاشياء التي تهمهم • ولكنهم مع الاتصال الشخصى مضطرون الى

الاستماع لمن يحدثهم فى موضوعات غير معلومة ولا محدودة لهم من قبل • ثم انه فى حالة الاتصال الشخصي المباشر يسهل على المتحدث أن يقدر رد الفعل المباشر على من يحدثهم ، كما يسهل عليه ايضا أن يكيف نفسه وحديثه تبعا لذلك • وهذا ما لا يتيسر بالطبع للصحيفة او الراديو • ويضاف الى كل ذلك انه من اليسير علينا دائما أن نقتنع بوجهة نظر أناس بيننا وبينهم صلات • فى حين انه ليس من السهل أن نقتنع بوجهة نظر الكتاب والمذيعين الذين قلّ أن نعرفهم كما نعرف الاصدقاء •

بين اللغة المسموعة واللغة المكتوبة

كتب الاديب الفرنسى (جورج ديهامل) قال :

« عرفت بنفسي طبيبا من الاطباء حضر موقعة من مواقع القتال وسمع بأذنيه اصوات المدافع فى الميدان ، كما سمع أنين الجرحى واصوات الذعر التي انبعثت من بعض الجنود • ولكن مشاعر هذا الطبيب لم تهتز لهذه الاصوات المؤلمة جميعها • وحين عاد هذا الطبيب الى بيته وقرأ عن هذه الموقعة فى كتاب تأثر بما قرأ الى حد البكاء »[1] •

ليس لهذا الحديث الذى رواه الاديب الفرنسى غير معنى واحد وهو ان من الناس من تؤثر فيهم الوسائل السمعية من وسائل الاعلام • ومنهم من لا يتأثرون بغير الوسائل البصرية منها •• وربما كان هذا هو السبب الذى من أجله يجد المثقفون لذتهم الكبرى فى القراءة ، ولا يجدون مايعادل هذه اللذة فى الاستماع أو المشاهدة •

مهما يكن من شىء فان هناك فروقا واسعة بين اللغة المسموعة واللغة

---

(١) حسن الحسن : الاعلام والدولة ص ٣٣٣ •

المكتوبة • ـ أو بعبارة أخرى ـ بين لغة الراديو ولغة الصحف • فاما من ناحية الراديو فان من المبادىء المتفق عليها فى الوقت الحاضر ان هناك فيما يذاع أشياء يحبها الجمهور واشياء لا يميل اليها • ولذلك تحرص محطات الاذاعة فى العالم على استفتاء الجمهور المستمع بين آن وآخر عن طريق رسائل المواطنين الى محطة الاذاعة • ومن هذه الرسائل يستطيع المذيع أن يدرك ميول الجماهير وعليه أن يشبع رغباتهم • والمستمعون فى هذه الحالة لا يتصلون بالمذيع الا عن طريق آذانهم • اما أبصارهم فلا ترى المذيع ولا تدرك صورته أو هيأته • ومع هذا وذاك فان المستمع يدرك بذهنه عالما آخر مليئا بالاحاسيس الاجتماعية ـ كما قلنا •

ومن الحقائق التي نعرفها كذلك بالنسبة الى الراديو ان له وقتا معينا من اوقات النهار والليل • هذا من جهة • ومن جهة اخرى نجد ان المذيع لا يتوقف فى اذاعته ولا يسمح لنا بمراجعة الكلمة المذاعة ـ كما نفعل ذلك بالكتاب ، فاننا حين نجد صعوبة ما فى فهم العبارات المكتوبة فاننا نحاول أن نعيد قراءتها مرة أو مرات حتى نفهمها فهما جيدا •

وبناء على هاتين الحقيقتين السابقتين نجد انه يجب على اللغة المسموعة أن تتميز بهذه السمات :ـ

اولا ـ سمة القصر فى الجمل والعبارات • فلا ينبغي للمذيع أن يعمد الى الجمل الطويلة أو العبارات المتشابكة ، ولا يصح له أن يعتمد كثيرا على الجمل الاعتراضية وبذلك يسهل على السامع التقاط الكلمة المذاعة ، كما يتيسر له الحصول على معناها الاجمالى • ومعنى ذلك باختصار ان بناء اللغة المسموعة ينبغى ان يختلف عن بناء اللغة المكتوبة ، وذلك ان السامع لا يستطيع أن يقف من الكلام المذاع موقفه من الكلام المكتوب • فهو فى حالة

الكلام المكتوب يعدل من سير القراءة قصد التغلب على صعوباتها •

ثانيا ـ فى مقدور المذيع ان يلجأ احيانا الى تكـــرار بعض الالفاظ ليسهل حفظها على السامع • وعلى المذيع ان يصنع فى ذلك صنيع المدرس الذى يحرص كل يوم على تعليم تلاميذه الفاظا جديدة ويحرص كذلك على تثبيتها فى اذهانهم عن طريق التكرار كلما امكن ذلك •

ثالثا ـ يجب ان تكون عبارات المذيع واضحة كل الوضـوح • ولا ينبغي له على الاطلاق ان يصطنع المبهم من الالفاظ او الغامض من الاساليب والا ضاعت على المستمعين ثمرة استماعهم • وربما تعودوا بعد ذلك اقفال الجهاز عندما يجيء دور هذا المذيع فى البرنامج •

رابعا ـ يحسن برجال الاذاعة كما يحسن برجال الصحافة ان يحاولوا الوصول الى لغة اعلامية خاصة بوسائل الاعلام على اختلافها ولا يكون ذلك الا بالعمل على تحديد الكلمات التي يكثر دورانها فى اجهـزة الاعـلام • والفرق بين هذه الكلمات المستعملة وكلمات القامـوس كبير للغايـــة • وسنوضح ذلك بجلاء عندما نتكلم الآن عن :

لغة الصحافة والاذاعة

من الامور المتفق عليها بالنسبة للصحافة فى الوقت الحاضر اننا نكتب ليفهمنا الناس • ومن هذه القاعدة البسيطة كل البساطة نبدأ خطواتنـا نحو انشاء (لغة عربية بسيطة وفصحى فى نفس الوقت) يمكن أن تكون لغـة عالمية فى المستقبل القريب أو البعيد •

والسبيل الى ذلك هو ان نعمد الى مجموعة من الكتب التى يكتبهـا المؤلفون للجمهور القارىء ونقوم باحصاء الالفاظ اللغوية التى نجدها بهذه الكتب • وبهذه الطريقة نصل الى اكثر الكلمات العربية شيوعا فى هـذه الكتب •

ومن حسن الحظ ان العلماء قد بذلوا جهودا مشكورة فى هذا السبيل. وائمرت هذه الجهود ظهور « معجم بيلا Chales Pillat) المطبوع الان فى باريس . جمع فيه صاحبه الكلمات الاساسية فى اللغة العربية .

وفى سنة ١٩٥٠ نشر العالم بريل فى القدس قاموسا آخر . هو (قاموس الصحافة العربية اليومية) واعتمد فى وضعه على طرق الاحصاء الحديثة . وهى ان تحصى عدد المرات التى تتكرر فيها الكلمة الواحدة . ثم ترتب هذه الكلمات بحسب مقدار ورودها وتكرارها . وقد رجع بريل فى هذا الاحصاء الى مجموعة الصحف العربية التى صدرت فى مصر وفلسطين ولبنان والعراق ، وذلك فيما بين سنتى ١٩٣٧ ، ١٩٣٩ .

وبذلك توصل بريل الى جمع ١٣٦ ألف كلمة اثبت ان خمسمائة منها ترد بنسبة ٦١٪ وان الف كلمة منها ترد بنسبة ٨٩٪ وان ثلاثة آلاف كلمة فقط ترد بنسبة ٩٥٪ .

ومعنى ذلك ان الف كلمة عربية تكون ثلاثة ارباع الثروة اللفظية المكاتب وللصحفي[١] .

وهذه البحوث العلمية وامثالها انما تستهدف شيئا واحدا فقط هو الوصول الى ما نسميه (طواعية القراءة) . (Readability) . وهو مجال فسيح للعلماء اللغويين الى يومنا هذا . وسيكون له تأثير كبير على لغة الاعلام بوسائله الكثيرة من اذاعة وصحافة وتلفزيون ومسرح وسينما ونحو ذلك .

---

(١) مراد كامل ، محاضرة بعنوان « العربية لغة عالمية » القاها بمؤتمر مجمع اللغة العربية ببغداد سنة ١٩٦٦ .

الفصل الثانى

الاعـــلام والدولـــة

ماذا نعني بالاعلام والدولة ؟ ولماذا كانت العلاقة بينهما شيئا ضروريا للمحافظة على كيان الامة ؟ •

سبق لنا أن أجبنا على هذا السؤال فى كتابنا (الاعلام ـ له تاريخه ومذاهبه) • والآن نعود الى الاجابة عن هذا السؤال بطريقة اخرى •

المقصود بالاعلام والدولة هو أن لكل نوع من انواع الحكومات فى العالم مذهبا اعلاميا يوافق هذا النوع ويحقق الغرض الذى يسعى اليه •

ولما كانت الصحافة أول نموذج من نماذج الاعلام الحديث ، فقد وجدنا الحكومات الحديثة تسعى للسيطرة عليها بكل الطرق الممكنة : لذلك وجدنا الصحافة العربية تنشأ فى حجور الحكام ، وتصدر بوحيهم وافكارهم وأموالهم ، كما كان الشأن فى مصر ايام محمد علي وفى العراق فى عهد مدحت باشا• واما في اوربا فقد وجدنا الحكومات منذ شعرت بخطورة هذه الاداة

الاعلامية الجديدة وهي الصحافة تتجه الى السيطرة عليها اما بوضع القيود الخاصة بذلك ، واما بشرائها بالمال لكي تكون موالية لها ، ناطقة باسمها ، معبرة عن اتجاهاتها . وشأن الصحف فى هذه الحالة الاخيرة شأن الاذاعة فقد كانت اجهزة الراديو اهلية فى اول الامر . ثم لم تدم الحال على ذلك الا ريثما التفتت الحكومات الى خطورة هذه الاداة الاعلامية الثانية فسيطرت عليها واتخذت منها جزءا من الجهاز الرسمي للدولة .

غير أن ذلك لم يمنع مطلقا من وجود الصحافة الحرة . وان كان ظهور الصحافة الحرة متأخرا بعض الشيء عن الصحافة الرسمية المقيدة بمصالح الدولة .

مهما يكن من شيء فان حاجة الدولة الى الصحافة او الاذاعة ربما كانت أقوى من حاجة الصحافة الى الدولة . وقد جاءت أقوال الكثيرين من قادة العالم مؤيدة لهذه الفكرة . فمن الاقوال التي أثرت عن نابليون بونابرت قوله :

« ينبغي للحاكم أن يجعل الصحافة فى خدمته دائما » .

كما أثر عن خروشوف انه قال ..

« الصحافة هي سلاحنا الفكري الايديولوجي الرئيس . واذا كان الجيش لا يستطيع خوض القتال بدون سلاح فكذلك الحزب لا يستطيع ممارسة أعماله بنجاح دون أن يتزود بسلاح الصحافة . ومن ثم يستحيل علينا أن نترك الصحافة فى أيد غير امينة . فهي لابد أن توضع فى اكثر الايدي امانة وأجدرها بالثقة » .

لنا بعد ذلك أن نسأل انفسنا هذا السؤال :

كيف تختلف الصحافة من بلد الى آخر باختلاف انظمة الحكم فيها ؟

الواقع ان الصحافة وبقية وسائل الاعلام المعروفة ترتبط ارتباطا وثيقا بانظمة الحكم على اختلافها • فهناك نظام الملكية الاستبدادية ، ونظام الملكية الدستورية • وهناك نظم الجمهوريات بأشكالها المختلفة • ولهذه الانظمة صلتها القوية بالمذاهب السياسية • كالمذهب الفردى أو الرأسمالى ، والمذهب الاشتراكي ، والمذهب الشيوعي • وهي المذاهب التى تمثل الصراع البشرى بين الفرد والمجتمع او بين الطبقات التى يتألف منها المجتمع •

والاعلام هو الوسيلة الوحيدة والسريعة التى يؤثر بها الحاكم فى المحكوم ، ويؤثر بها المحكوم فى الحاكم •

والاعلام هو الوسيلة الوحيدة للتفاهم الذى لابد منه لهذين الجانبين •

« غير أن الحكام يتفاوتون تفاوتا بعيد المدى فى نوع التفاهم الذى يربطهم بالشعوب التي يحكمونها • فمنهم من لا يسمح بهذا التفاهم على أية صورة من الصور ـ كما فى الحكم الاستبدادى او الديكتاتورى • ومنهم من يسمح به دائما ـ كما فى الحكم الديمقراطى • ومنهم من يضع له بعض القيود الخاصة ـ كما فى الحكم الاشتراكى • ومنهم من يحرم المواطنين حرمانا تاما من هذا التفاهم اعتمادا منه على أن الحكومة لا عمل لها الا اسعاد الشعب بجميع أفراده على السواء ـ كما فى النظام الشيوعي وهكذا »[1] •

نظر علماء الصحافة فى كل هذه الظروف أو الفروق فوجدوا ان العالم فى عصوره التاريخية كان ولا يزال محكوما بنظريتين بارزتين من نظريات الاعلام وهما ••

١ ـ نظرية السلطة •

---

(١) عبداللطيف حمزة ، الاعلام ـ له تاريخه ومذاهبه ، ص ٦ ـ ٧ •

٢ ـ ونظرية الحرية •

وعن هاتين النظريتين السابقتين تولدت نظريتان اخـــريان اصبحتـا تحكمان العالم فى العصر الذى نعيش فيه وهما ••

٣ ـ النظرية السوفيتية التى تولدت عن نظرية السلطة •

٤ ـ نظرية المسؤولية الاجتماعية التي تولدت عن نظرية الحرية[١] .

فما المقصود بنظرية السلطة ؟

السلطة من انظمة الحكم التي نتحدث عنها هى التى تتمثل فى الملك او الخليفة أو الامبراطور او الامير او الديكتاتور الذى لا يؤمن بالحـرية وبالديمقراطية ، ولا يســمح للشـعب أن يشاركـه فى الحـكم بصورة أو بأخرى •

وتستند (السلطة) باعتبارها نظاما من انظمة الحكم على فكرة « الحق الالهي المقدس » وعلى الفكرة القائلة (بأن الحاكم ظـل الله وخليفتـه فى الارض) •

معنى ذلك ان الحاكم المطلق هو وحده صاحب الحق فى الهيمنـة على أمور الامة ، أو صاحب الحق فى تصريف الامور العامة • غير ان الحاكم المطلق فى العصور السابقة كان يدرك مع ذلك انه لا يستطيع أن ينفرد بهذه السلطة • فقد تعرض له أمور لا يعرف الصواب فيها من الخطأ • ومن ثم تظهر الحاجة الى استشارة الحكماء او العلماء او صفوة الامـة • وكان على هؤلاء أن يمدوه بالمشورة النافعة والآراء الراجحة متى طلب اليهم ذلك •

ذلك بالضبط ما حدث فى الدول الاسلامية كالدولة الاموية والدولة

---

(١) Four Theories for the Press by : Siebrt, Peterson and Sebramm. Urban University 1956.

العباسية • فقد كان هناك ما يسمى « بأهل الحل والعقد » • وهم جماعة من علماء الدين كان يرجع اليهم الخليفة فيما أشكل عليه من امور المسلمين •

وذلك بالضبط ما قد حدث فى الدول الاوربية قبل عصر النهضة فقد كانت الفكرة التي تستند اليها الدول الاوربية حينذاك هي الفكرة القائلة (بأن الحقيقة لا تنبع من جمهور العامة ولكن تنبع من اذهان الخاصة وهؤلاء هم الحكماء والعلماء ومن اليهم) •

وهكذا اقتصر العمل الاعلامي فى ذاته على جهتين وهما :

جهة الحاكم الفرد أو الملك المستبد ، وجهة الصفوة من رجال الامة ، وهم بطبيعة الحال قليلون من حيث العدد • ورأيهم ليس ملزما للحاكم نفسه • ومن ثم كانت (السلطة) هي وحدها صاحبة الحق فى ممارسة الرقابة الفعلية على العمل الاعلامي فى اوربا • وهي وحدها صاحبة الحق فى اعطاء التراخيص لمن يريد من الناس اصدار صحيفة او نشرة او نحو ذلك •

وقبل أن ندع الكلام عن مذهب (السلطة) نضرب مثلا عليها من واقع التاريخ الاسلامي نفسه • وليكن المثل الذى نضربه هنا هو (الخليفة المنصور) من خلفاء الدولة العباسية • وقد كان رجلا قوي البطش لا يعرف فى سياسته لينا ولا رحمة • وكانت له طريقته الخاصة فى مراقبة الكتاب والادباء الذين كانوا يمارسون الاعلام الاسلامي عن طريق نشر الكتب •

ادرك ايام المنصور كاتب كبير هو عبدالله بن المقفع مترجم (كليلة ودمنة) • وذهب المؤرخون الى أن السبب الحقيقي فى كتابة (كليلة ودمنة) هو توجيه النقد الى الخليفة بطريقة رمزية وذلك فى وقت عز على ابن المقفع

أن يلجأ الى طريقة الكتابة غير الرمزية • ثم شعر ابن المقفع بعد ذلك انه لابد من أن يوجه نقده الى الخليفة بطريقة غير رمزية • وكتب بالفعل رسالة صريحة سماها (الهاشمية)[1] نقد فيها نظام القضاء الاسلامي وغيره من النظم المعمول بها فى الدولة • وعلم الخليفة المنصور بهذا الكتاب الاخير فلم يجد بدا من الحكم بالاعدام على هذا الكاتب الذى جرؤ على نقده • وتم اعدام الكاتب بطريقة وحشية • فقد وضعه جنود المنصور فى تنور وقطعوا جسده قطعة قطعة ، وأخذوا يلقون بكل قطعة فى التنور • وكان ذلك جزاء له على توجيه النقد الى الخليفة المنصور وهو الرجل الذى يمثل التفرد بالسلطة ، ولا يعترف بحق الكاتب أو العالم أو الفيلسوف فى نقد الدولة •

ما المقصود بنظرية الحرية ؟

ظهرت هذه النظرية فى المجتمع الاوروبي نتيجة لتطورات فكرية ، ولأحداث سياسية واجتماعية • ومن أهم هذه الاحداث بطبيعة الحال نشوب الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ وهي الثورة التي اعلنت حقوق الانسان • ثم هي الثورة التى كان لها مفهوم اقتصادى ظهر فى قولهم (دعه يفعل • دعه يمر•) ومعنى ذلك ترك الفرد حرا فى مزاولة نشاطه الاقتصادى ونشاطه الفكرى دون اى تدخل من جانب الدولة فى هذا النشاط بأى شكل من الاشكال • ذلك ان الدولة يجب أن تقصر وظائفها على امور ثلاثة وهي :

القضاء ، والامن فى الداخل ، والدفاع عن الوطن ضد اى اعتداء خارجي •

والحق ان نظرية الحرية تقوم على الايمان المطلق بالانسان من حيث هو انسان • على حين ان نظرية السلطة تنظر الى الانسان على انه جزء من

---

(١) وتسمى كذلك (رسالة الصحابة) •

المجتمع ، وان قيمته تنحصر فى هذا المعنى .

وبعبارة اخرى ـ يرى مذهب الحرية ان سعادة الفرد هي الغاية من وجود المجتمع . واما انصار مذهب السلطة فيرون ان سعادة المجتمع هي الغاية من وجود الفرد . والفرد فى نظر (الحريين) أو القائلين بمذهب الحرية اسمى من الدولة . على حين ان القائلين بمذهب (السلطة) يرون العكس .

من اجل ذلك أتاح مذهب الحرية أثمن الفرص من الناحية الاقتصادية لظهور (الديمقراطيات الرأسمالية) وظهور (الاحتكارات) بأوسع معانيها . وفى ظل هذا النظام الرأسمالى تحقق الكثير من الانتصارات الشعبية . ومنها التوسع فى التعليم ، ومنح حق الانتخاب لاكثر المواطنين ، ومنها حق الفرد فى ممارسة نشاطه الاجتماعي والتنافس فى الحصول على اكبر قدر ممكن من الربح ـ المادى ـ ومنها زيادة الانتاج بالجملة . وقد عادت كل هذه المميزات على الشعوب والمجتمعات بالرفاهية والتقدم . ومن الانتصارات التي حققها هذا النظام كذلك حرية الصحافة .

غير أن الصحافة فى ظل نظام الحرية تطورت هي الاخرى الى صناعة من اضخم الصناعات الحديثة . واحتاجت الى رؤوس اموال كبيرة .

« وأدى ذلك الى تخليها تدريجيا عن قضايا الرأى والشعوب ، واتجاهها الى تحقيق اكبر قدر ممكن من الربح المادى باعتبارها مشروعا تجاريا يخدم الاهداف الاحتكارية »[1] .

اما الفلسفة التى تستند عليها نظرية الحرية والافكار التى وراء هذه النظرية فانما تتمثل فى آراء (جون لوك) الانجليزى من ابناء القرن

---

(١) الميثاق الوطنى .

السابع عشر الميلادى ، ومعه فى هذا الاتجاه كل من جون ملتون من القرن السابع عشر ايضا وجون ارسكين وتوماس جفرسون من القرن الثامن عشر ، وجون ستيوارت مل من القرن التاسع عشر[1] .

(والخلاصة) ان الصحافة في ظل النظام الحر تمتعت بحرية كبيرة لا تكاد تعرف من القيود الا قيدا واحدا فقط هو حق الحكومة فى فرض الرقابة على الصحف زمن الحرب متى رأت المصلحة فى ذلك . ومع هذا وذاك فقد سارت الولايات المتحدة الاميركية فى تطبيق هذا الحق على اساس الاختيار لا الاجبار ، وعلى الود والصداقة وحسن التفاهم بينها وبين اصحاب الصحف وكان ذلك في أثناء الحرب العالمية الثانية .

ولكن مهما قيل في الحرية التى تتمتع بها الدول الرأسمالية في الوقت الحاضر ، ومهما قيل في الديمقراطية التى تنعم بها هذه الشعوب في العصر الذى نعيش فيه فان هناك حقيقة لا ينبغي تجاهلها . وهي ان الحكومات الديمقراطية الرأسمالية لا غنى لها مطلقا عن شىء من (السلطة) بالرغم من انها تعتمد اعتمادا يوشك ان يكون تاما على نظرية (الحرية) .

وهذا القدر الذى يمارسه الحكام الآخذون بنظام الحرية من المذهب القائل بالسلطة يمكن ان نعادله بذلك المقدار من الحرية كما نراه عند الحكام الآخذين بنظر (السلطة) . الم نقل ان الخلفاء العباسيين وغيرهم من الحكام المستبدين كانوا لا يجدون غنى عن مشاورة الحكماء وعلماء الدين وهم الذين يتألف منهم ما يسمى (بأهل الحل والعقد) ؟

معنى ذلك انه ليس فى تاريخ العالم ما يمكن ان يسمى (بالحرية)

---

(١) عبداللطيف حمزة ، الاعلام ـ له تاريخه ومذاهبه ، ص ١١٦ـ ١١٧ .

الخالصة (مائة بالمائة) • وليس في تاريخ العالم ما يمكن ان يسمى (بالسلطة) الخالصة (مائة فى المائة) ، ولولا ذلك ما استقام لحكومة أمر ، ولا تحققت لامة من الامم غاية •

ما المقصود بنظرية المسؤولية الاجتماعية ؟

آمن اصحاب النظرية السابقة بالحرية العامة للفرد من حيث هو وتولدت عن هذه الحرية ظواهر جديدة فى المجتمعات • منها تضخم رؤوس الاموال ومنها الاحتكارات • واصبح المجتمع الرأسمالي عبارة عن طبقتين هما طبقة الاغنياء المسرفين في الغنى ، وطبقة الفقراء الواصلين بالفقر الى ادنى درجاته •

وهنا سأل اصحاب هذه النظرية انفسهم •• هل هناك حدود لهذه الحرية ؟

واجاب هؤلاء عن ذلك بان الحرية المطلقة تشكل خطرا كبيرا على المجتمع ، وان الحرية الصحيحة هي المحدودة بحدود القانون من جهة وحدود الصالح العام من جهة ثانية •

وفي اعقاب الحرب العالمية الثانية علت الشكوى من حرية الصحف في اميركا وغيرها من البلاد الرأسمالية ـ وهي الحرية التي نجم عنها فساد الاخلاق وانحطاط القيم الانسانية ـ • واخذ كل بلد من البلاد الرأسمالية يفكر فى احسن الطرق لمقاومة هذه الاخطار التي سببتها حرية الصحافة • وظهرت في اكثر بلاد العالم الحر فكرة تهدف الى انشاء (مجلس اعلى للصحافة) من شأنه ان يراقب الصحف ويحد من انحرافاتها بكل الطرق الممكنة •

والاساس الذى تبنى عليه نظرية المسؤولية الاجتماعية هو ان (الحرية

حق وواجب ونظام ومسؤولية في وقت واحد) • والمعروف ان هـذه النظرية نشأت في اميركا وانجلتره وكانت ثمرة لكتابات وليم كنج ثم بلغت اوجها بعد الحرب العالمية الثانية وذلك فى كل من انجلترة واميركا ايضا • ولذلك اطلق عليها اسم (النظرية الانجلو اميركية) •

والصحافة التى تأخذ بهذه النظرية ليست صحافة ذاتية بقدر ما هي صحافة موضوعية ، وليست ملكا للافراد بقدر ما هي ملك للصالح العام •

ومهما يكن من شيء فان نظرية المسؤولية الاجتماعية في بعض الدول الغربية لم تشأ ان تحل جميع المشكلات التى نجمت عن الاخذ بنظرية الحرية • ومنها مشكلة الاحتكارات • كما وعجزت عن حل المشكلة الكبيرة التي تتمثل فى خضوع الصحافة والاذاعة لرأس المال • كما انها عجزت عجزا تاما عن تقديم الحلول الصحيحة لمشكلة الحرب والسلام •

الصحافة والسلام العالمي

غير ان هذه المشكلة الاخيرة استطاع قسم الصحافة بجامعة القاهرة أن يشارك في حلها قدر المستطاع وذلك عن طريق رسالة جامعية[1] اشتملت على (مشروع دستور دولي للصحافة مستقى من تحديد مهمة الصحافة في المجتمع الدولي الحديث وفي هذا الدستور شرح للالتزامات التي القتها الرسالة على عاتق الاعلام باسم المسؤولية العالمية •

---

(١) الرسالة للدكتور مختار التهامي • وقد حصل بها على درجة الدكتوراه فى الاداب من قسم الصحافة بجامعة القاهرة ثم طبعت الرسالة بعد ذلك فى كتاب بعنوان (الصحافة والسلام العالمى) •

ما المقصود بالنظرية السوفيتية ؟

تقوم النظرية السوفيتية للاعلام على الشيوعية • وتستند الشيوعية على آراء ماركس • وتقول الفلسفة الماركسية ان الهدف الوحيد لها هو اقامة مجتمع شيوعي تتحقق فيه العدالة • والطريق الى هذه العدالة هو ترك الحكم فى ايدى الكادحين من العمال والفلاحين وهم الذين اطلق عليهم اسم (البروليتاريا) •

ومهما يكن من شيء فان الفلسفة الشيوعية تقوم على الاسس التالية :ـ

١ ـ المادية الجدلية

سميت مادية لانها تتمسك بان الحياة المادية وحدها هي التي لها صفة الواقع والحقيقة • اما الجانب العقلي بافكاره وآرائه فليس الا انعكاسا لهذه الحياة المادية لا اكثر ولا اقل • وبعبارة اخرى ـ انعكاسا لمجموعة الانتاج المادى الموجود فى المجتمع فى وقت معين •

غير ان الفلسفة الشيوعية تعتمد كذلك على ما يسمى (بالمادية الجدلية أو المنطقية) • ومعناها ان كل تغيير اجتماعى وتطور او تقدم فى المجتمع انما ينتج دائما عن تنازع بين قوتين أو عنصرين متضادين أو متناقضين فى داخل نطاق الحقيقة • وهاتان القوتان او العنصران هما الفكرة ونقيضها ، او الرأى وضده • وتكون نتيجة الصراع بينهما وجود حالة تسمى حالة تآلف النقيضين • وهذه الحالة الاخيرة لابد ان تكون ارقى من الحالتين المتناقضتين • وهذه الحالة الجديدة تصبح بعد ذلك فكرة جديدة ينشأ عنها نقيض يناقضها • وينتهي امر الاخيرين الى تآلف جديد ينتج عنه فكرة جديدة أو حالة جديدة • وتستمر العملية على هذا النحو • وهذا ما يعرف فى تاريخ البشر باسم التطور •

وعلى ذلك فان الجدلية المنطقية هى القانون او المبدأ الذى بمقتضاه يحدث التغير الاجتماعي فى نظر الشيوعية •

٢ ـ المادية التاريخية

او التفسير المادى للتاريخ • وهي عبارة عن المادية الجدلية مطبقة على ميدان العلاقات البشرية فى المجتمع • وقد عرفها ماركس فى كتابه (نقد فى الاقتصاد السياسي) بانها ـ اى المادية التاريخية ـ الغاية المشتركة لجميع الناس فى الانتاج وتبادل الاشياء التى اثمر عنها هذا الانتاج • وليس التغير الاجتماعي فى تاريخ العالم نتيجة للتغير فى الافكار • ولكن نتيجة للتغير فى طريقة الانتاج وطريقة التبادل • وهذا الانتاج يتضمن كذلك الصلة بين الناس بعضهم وبعض • وهو ما يسميه ماركس (بالعلاقات الانتاجية) • ومن هنا وجد النظام الرأسمالى • وبه تمكنت الاقلية من العيش الرغيد بفضل الجهود التي تبذلها الاغلبية •

وجاء تفسير هذه المشكلة فى مشروع ماركس المعروف (بالبيان الشيوعي) ؛ ذلك بان اتجاه الناس الى استغلال بعضهم لبعض كان فسادا دخل التاريخ عن طريق الملكية الخاصة لوسائل الانتاج • وكان من نتيجة ذلك ان اصبحت العلاقات الانتاجية علاقات بين طبقتين متناقضتين • اى ان تاريخ المجتمعات القائمة الان هو تاريخ نضال الطبقات بعضها ضد بعض • وفى اعتقاد ماركس ان هذا التاريخ اخذ يدخل مرحلته النهائية • وهي مرحلة النضال بين البورجوازية والبروليتاريا • ذلك ان النظام الاقتصادى للمجتمع هو الاساس الحقيقى للتطور والتقدم • اما الدين والاخلاق والقوانين والنظم فى المجتمعات فانها البنيان الذى يبنى فوق هذا الاساس •

وهذا النظام يعكس مصالح الطبقة السائدة فى المجتمع • وعلى هذا فـــان نظام الاخلاق السائد مثلا فى وقت ما يكون عبارة عن مجموعة المبادىء التي ترى هذه الطبقة السائدة انها المبادىء الواجب اتباعها والتى يجب ان يوجه اليها المجتمع •

ونتيجة لذلك فان مراحل التطور الاقتصادى هى فى الواقع مراحـل التطور الاجتماعي ، ومراحل للتدرج التاريخي• وهما لا يحدثان بسبب ظهور مبادىء عقلية جديدة او معتقدات اخرى للحق والعدالة • وانما يحدثـــان نتيجة للتغيرات التي تصيب القوى الانتاجية على ممر السنين وهذا كله هـو المقصود بالمادية التاريخية فى الفلسفة الشيوعية •

٣ ـ سيادة الطبقة العاملة (البروليتاريا)

يقال ان لفظ (البروليتاريا) مشتق من اللفظ اليوناني Prolitarias ومعناه الطبقـة الاخيرة فى المجتمع اليوناني أو الروماني • وهم الذيـــن لا يؤدون فيه حقوقا للدولة سوى انتاج النسل • ومن ثم أخذ اللفظ يحمل معنى التحقير • وفى الهامش السفلى الذى وضعه (انجلز) من (المانافستو الشيوعي) عرف البروليتاريا بأنها طبقة العمال التي تعمل بالأجر • وهم الذين ليس لديهم وسائل انتاج لحسابهم الخاص • لذلك اضطروا الى بيع مقدرتهم على العمل فى سبيل لقمة العيش •

وفى نظر ماركس ان البروليتاريا هى الطبقة الوحيدة فى المجتمع • ويرجع بعض السبب فى ذلك الى ان جميع اعضائها مشتركون فى تحمل اعباء الاستغلال • وهناك سبب اخر اعتمد عليه ماركس فى نظـــــره الى البروليتاريا هذه النظرة • وهذا السبب الاخير هو ظروف استخدام العمال

فى الاعمال الصناعية ، وتجمعهم داخل المصانع تجمعا ساعد على انماء الوعي الطائفي عند هذه الطبقة • وهو أمر يسهل به تنظيمهم للعمل الثورى • وكان ماركس وانجلز يعتقدان أن من نتائج الانقلاب الصناعى تركيز المجتمع فى طبقتين متناقضتين هما طبقة البورجوازية وطبقة البروليتاريا • وكل ما عداهما من اقسام المجتمع ـ فيما عدا الفلاحين ـ يعتبر شواذ مآلها الى الزوال بزوال النظام الرأسمالي نفسه • ولذلك كان من رأيهما ان البروليتاريا ستكون على المدى الطويل هى اغلبية الشعب ـ او بمعنى آخر ـ هى الطبقة الوحيدة فى المجتمع •

النظرية السوفيتية فى الاعلام

تعمدنا شرح الفلسفة الشيوعية لنفهم بالضبط لماذا اتجهت النظرية السوفيتية فى الاعلام الى تحقيق الاهداف التالية :ـ

١ ـ ملكية الشعب للصحافة او بمعنى آخر تأميم الصحف •

٢ ـ قيام الاعلام بدور فعال فى المجتمع السوفيتى والنظر اليه على انه جهاز رسمي من اجهزة الدولة •

وفى ذلك يقول لينين :ـ

« لا بد للجريدة من ان تكون جهازا من اجهزة الجهاد والكفاح بحيث لايُمدُ القارىء باخبار دقيقة وصادقة عن اقتصادنا فحسب ، بل يقصد الاعلام كذلك الى تحليل هذه الاخبار ودراستها دراسة عقلية لكى نصل فى نهاية الامر الى نتائج صحيحة فيما يختص بالحركة العمالية » •

واضح من هذه العبارة ان الصحافة السوفيتية تعتقد ان الاثارة العقلية اهم وانجح من الاثارة العاطفية ، وان الاولى أليق بالأمم المتقدمة من الثانية • لذلك وضع لينين تعريفا للجريدة قال :

« الجريدة ليست اداة من ادوات الدعاية الجماعية او الاثارة بقدر ما هي أداة للتنظيم الاجماعي » .

* * *

تلك هي النظريات التى صدر عنها الاعلام عبر العصور التاريخية منذ القدم الى يومنا هذا .

وكان من الطبيعى ان تكون نظرية السلطة اولى النظريات وجودا فى تاريخ البشر . ذلك ان البيئات القديمة ـ فيما عدا بيئة اليونان وبيئة المدينة على عهد الرسول والخلفاء الراشدين ـ لم تعرف من انظمة الحكم غير النظام الاستبدادى المطلق . ومعنى ذلك ان الاسلام جاء مبشرا بالحرية وبالمسؤولية الاجتماعية التى عبر عنها رسول الله (ص) فى حديث نذكره بمعناه وفيه (ان قوما ركبوا سفينة . فاختص كل واحد منهم بمكان . وقال أحدهم انا حر فى مكاني هذا أفعل به ما أشاء . وهَّم بان يخرق مكانه فى السفينة . فان ضرب القوم على يده نجا ونجوا . وان تركوه غرق وغرقوا).

وهكذا عرف المسلمون الحرية كما عرفوا الشورى عن طريق القرآن والحديث ولكنهم لم ينتفعوا بهذه المعرفة بعد حياة الرسول والخلفاء الراشدين .

على حين ان اوربا جاءت معرفتها بالحرية عن طريق الثورات والنضال بين الطبقات المختلفة عبر القرون الوسطى . ثم جاء الفلاسفة والكتاب فأخذوا يفلسفون هذه الثورات وهذا النضال . ووصلوا من ذلك الى معرفة الحرية وفلسفة الحرية ووضعوا لها تلك النظرية .

ومعنى ذلك انه بينما عرف المسلمون هذه المعاني بطريقة تلقينية سهلة ـ كما اوضحنا ـ اذا بالغربيين يعرفون هذه المعاني عن طريق الفلاسفة . ولذا ترك لنا هؤلاء الفلاسفة كثيرا من الكتب في موضوع

الحرية والتحرر وصراع الطبقات ومذاهب الرأسمالية والاشتراكية ولم يترك لنا العرب مثل هذا التراث .

(وبعد) فلسنا نريد ان نفرغ من هذا الفصل دون ان نعرض على انفسنا هذا السؤال الاخير .

ماهى النظرية الاعلامية للجمهورية العربية المتحدة فى وقتنا هذا ؟

اختلف الباحثون فى تحديد النظرية الاعلامية التى تصدر عنها حكومة الثورة فى الجمهورية العربية المتحدة فى الوقت الحاضر .

فمنهممن قال انها (نظرية المسؤولية الاجتماعية) . وقد عبرنا عن ذلك في كتاب (الاعلام له تاريخه ومذاهبه) وذلك فى الفصل الذى تحدثنا فيه عن (الاعلام والمسؤولية الاجتماعية فى الميثاق) (١) . ومنهم من ذهب الى انها (النظرية السوفيتية) . ومن هؤلاء صاحب كتاب (الاعلام والتحول الاشتراكي) الدكتور مختار التهامي .

وفى تقديرى ان النظرية الاعلامية للجمهورية العربية المتحدة ليست هي نظرية الحرية ، وليست هي نظرية المسؤولية الاجتماعية ، وليست هي النظرية السوفيتية . ولكن فيها شيء من كل ذلك .

ولعل ذلك ما حدا بكثير من الباحثين العرب الى دعوة جديدة ، هي اقتراح اسم جديد للاشتراكية العربية لا يحمل لفظ « الاشتراكية » . كأن يكون هذا الاسم الجديد « النظرية الاقتصادية العربية » او «الاقتصادية التعاونية» ومن هؤلاء الباحثين العرب صديقنا الدكتور نعمت سعيد الاستاذ بكلية الاقتصاد بجامعة بغداد . وهو يرى فى الاسم الجديد تمييزا للاشتراكية

---

(١) ص ١٤٩ .

العربية عن سواها من الاشتراكيات الاخرى فى العالم • هذا من جهة • ومن جهة ثانية يرى ان فى ذلك حماية للبلاد العربية من شرور المعسكرين الشرقي والغربي متى عرف كل منهما ان الاشتراكية العربية لا تمت لأحدهما بصلة •

ومع هذا وذاك فاننا نلاحظ ان اشتراكيتنا العربية انما ترتكز على عمودين هما :

الاشتراكية العلمية بالتطبيق العربي من جهة ، والدين الاسلامي الذى لا يرضى بطبيعته ان يكون المال دولة بين الاغنياء ـ اعني متداولا بينهم فقط ـ من جهة ثانية •

ومع هذا وذاك فلا بد ان نعترف هنا ان الاشتراكية العربية ما زالت غامضة فى اذهان الكثيرين من العرب انفسهم الى يومنا هذا •

ولعل ذلك ما دعا (الجزائر) الى عقد ندوة لبحث الاشتراكية العربية • ولا يدل ذلك كله فى نظرنا الا على شىء واحد فقط ، وهو ان الاشتراكية العربية ـ او الاقتصادية التعاونية ـ ما زالت فى انتظار الكاتب العبقري او الفيلسوف السياسى الاجتماعي ـ الذى يضع لنا ما يمكن تسميته « بفلسفة النظرية العربية فى الاشتراكية » •

صحيح ان الاشتراكية الاوربية كانت نتيجة للصراع الهائل بين طبقات المجتمع الاوروبي ـ وهو الصراع الذى الهم الفلاسفة الاوروبيين وضع « الفلسفة الاشتراكية » • ومن هؤلاء بطبيعة الحال الفيلسوف ماركس •

وصحيح اننا نحن العرب لم تمر بنا فى تاريخنا الطويل مثل هذه التجربة بالشكل الذى عرفته اوروبا • ومن ثم اضطررنا نحن العرب الى

ان نستورد النظام الاشتراكي من الخارج حين شعرنا بالحاجة الى مثله • غير أننا وجدنا بعد ذلك ان النظام الاشتراكي بصورته الماركسية لا يلائم ظروفنا الحالية ولا يتفق وتقاليدنا العربية الاسلامية ، ولا يحل جميع مشلاتنا الاقتصادية ومن ثم رسمنا لانفسنا صورة لاشتراكية عربية لا تتجاهل التاريخ العربي الاسلامي ، ولا الدين العربي الاسلامى ، ولا التقاليد العربية الاسلامية •

وهنا تتاح لي الفرصة من جديد لكي الخص الحجج التي اعتمدت عليها فى ان الجمهورية العربية المتحدة غير آخذة بالنظرية السوفيتية •

اولا ـ ان ما فعلته الجمهورية العربية المتحدة بالصحافة الى الآن هو « التنظيم » لا التأميم • واما ما تفعله الجمهوريات السوفيتية بالصحافة فهو « التأميم » والفرق كبير بينهما • (التأميم) نظام تؤول فيه ملكية الصحف الى الحكومة وتصبح به الصحافة مرفقا من المرافق العامة • وتحصل الخزانة العامة للدولة على ايرادات الصحافة • وتتحمل فى الوقت نفسه خسائر الصحف •

اما (التنظيم) فبه آلت ملكية الصحف الى الاتحاد الاشتراكي العربى لا الى الحكومة • وليس الاتحاد الاشتراكي جزءا من الجهاز الاداري للحكومة • وانما هو مجرد سلطة توجيهية بيد المجتمع •

ثم ان ايرادات الصحف بمقتضى قرار التنظيم لا تؤول الى الحكومة ولكن تنقسم الى قسمين • الاول يكون لموظفي المؤسسة الصحفية بمن فيها من العمال والمحررين • والثاني لمشروعات التحسين فى الصحيفة •

فى التأميم لا يوجد ما ينص على طريقة ادارة الصحيفة • وفى التنظيم

نص على انه من حق الاتحاد الاشتراكي العربي أن يشكل مجالس ادارات الصحف ويعين لكل مجلس ادارة رئيسا او عضوا منتدبا او اكثر • ويتولى المجلس نيابة عن الاتحاد الاشتراكي مباشرة جميع التصرفات القانونية •

ثانيا ـ ان الميثاق الذى زاد فى تأكيد ملكية الشعب للصحافة اكد فى الوقت نفسه استقلالها عن الاجهزة الحكومية • وبذلك ينتزع للشعب اعظم ادوات حرية الرأي ويمنح الصحافة أقوى الضمانات لممارسة النقد الموجه للشعب او الحكومة •

والامر على عكس ذلك بالقياس الى الصحافة الشيوعية التي هي جزء من اجهزة الدولة والتي لا تملك الحرية فى توجيه النقد للمجتمع او الحكومة •

ثالثا ـ اننا مازلنا الى اليوم نفرق تفرقة واضحة بين الاشتراكية المعتدلة والشيوعية • وقد اختار الشعب العربي لنفسه فى الجمهورية العربيةالمتحدة المذهب الاول لا الثاني • او بمعنى آخر اختار الاشتراكية بالتطبيق العربي• وهي شيء بعيد عن الشيوعية •

وفى اعتقادنا الى الآن ان هذا الشعب لو عرضت عليه الشيوعية او اجرى له استفتاء عام فيها لرفضها رفضا باتا • واستند فى رفضه هذا الى امور منها العقيدة الاسلامية التى لا تتفق مع مبادىء الشيوعية •

رابعا ـ ان النظريات الاعلامية فى ذاتها كبقية النظريات الاعلامية الاخرى ـ ليست متشابهة فى جميع بلاد العالم ••• فاذا لم تشأ نظرية المسؤولية الاجتماعية فى اميركا ان تحل مشكلات الاحتكارات واستقلال رأس المال الخاص وغيرها من المشكلات الخطيرة على اجهزة الاعلام فى تلك البلاد ـ فان هذه النظرية ـ وهي نظرية المسؤولية الاجتماعية ـ قد استطاعت ان تجد حلا لهذه المشكلات التى تأثر بها الاعلام فى بلاد اخرى

غير امريكا ومنها الجمهورية العربية المتحدة • وقد جاء ذلك عن طريق محاولتين هما ••••

١ ـ قانون تنظيم الصحافة (سنة ١٩٦٠) •

٢ ـ والميثاق الوطني (سنة ١٩٦٢) •

وليس معنى ذلك بالطبع ان حكومة الثورة صدرت فى هاتين المحاولتين عن النظرية الشيوعية • وهي النظرية التى ابى مؤلف الكتاب الا ان يسميها (بالنظرية الاشتراكية) • ولم يشأ ان يسميها باسمها المعروفة به لدى جميع دول العالم وهو (النظرية السوفيتية) • من هنا قامت حكومة الثورة فى الجمهورية العربية المتحدة بتأميم كثير من المرافق العامة • كما قامت حكومة الثورة بمساندة العمال والفلاحين ، وجعلت لهم نسبة كبيرة فى مجلس الامة •

ونحن نرى ان جميع هذه الجهود كانت تطبيقا سليما للديمقراطية فى بلد يؤمن بالاشتراكية المعتدلة • ولم تكن تطبيقا ـ بحال ما ـ للشيوعية •

خامسا ـ هناك نوع من التقارب بين نظريات الاعلام فى الوقت الحاضر • ومن آياته ان المجتمع الرأسمالي يضطر فى كثير من الاحيان الى اختيار طريق التأميم حلا لبعض المشكلات الاقتصادية • وذلك برغم ان التأميم فى ذاته اصل من اصول الشيوعية •

(وبعد) فانهم يقولون ان المجتمعات فى تطور مستمر ، وان حتمية التاريخ ستؤدي الى اعتناق الاشتراكية • وفى هذا الاخير علاج لأدواء البشرية • وهذا كله صحيح فى جملته وتفصيله • ولكن ليس معناه فى اعتقادى ان السيطرة التامة فى نهاية الامر لا بد أن تكون للمذهب الشيوعي ما دام المذهب الاشتراكي قادرا على حل المشكلات التي يئن منها العالم في وقتنا الحاضر وربما فى الازمنة المقبلة أيضا •

الفصل الثالث

الاعـــلام فى الدول الناميـــة

تنقسم المجتمعات الانسانية عند علماء الاجتماع الى ثلاثة انواع هي ـ المجتمعات التقليدية ، والمجتمعات الانتقالية ، والمجتمعات الحديثة •

١ ـ (فالمجتمعات التقليدية) هي المجتمعات التي يخضع فيها الفرد لسلطان العادات والتقاليد ، ويخضع فيها الفرد كذلك لنفوذ رجال الدين اذا كان لهم وجود هناك • والتطور في هذه المجتمعات يسير ببطء شديد ، ووسائل الاعلام فى هـذه المجتمعات بدائية ومتأخـرة ، والامية متفشية ، والاوهام كثيرة ومتسلطة • وفى هذه المجتمعات يقوم العرف مقام القانون، واهم من كل ذلك ان التفاهم بين الافراد فى هذه المجتمعات ليس له لغة موحدة او على الاصح لهجة واحدة • ذلك ان اللغات تتعدد فى هـــذه المجتمعات تعددا لا يساعد على تحقيق الغاية من الاعلام • ففى الهند مثلا نجد ثلاث عشرة لغة رسمية • بل قيل انها ١٢٥ لغة • « ودقات تام ـ تام فى

اواسط افريقيا تنقل لهجات عديدة لها وجود فى تلك البلاد • ولا بد من استخدام التراجمة والمفسرين اذا اريد اجتياز بعض المناطق الجغرافيـــة هناك •

فاذا راعينا العوائق اللغوية وطول المسافات وصعوبة المواصلات علمنا كيف يكون التفاهم عسيرا لا يتيسر الا بصعوبة ومشقة »[1] •

نظر رجال الاعلام فى هذه الخطورة الناجمة من صعوبة التفاهم في هذه المجتمعات • كمـا نظروا فى الصعوبات الناجمة مـن تفشي الجهل والامية وسوء المواصلات فى تلك الجهات فانتهوا الى ان انسب وسيلة من وسائل الاعلام الحديثة لمثل هذه المجتمعات التقليدية فى الوقت الحاضـر انما هي وسيلة الاذاعة • وبمعنى أدق ـ جهاز الترانزستور ـ

معنى ذلك ان الراديو هو انفع وسائل الاعـلام فى بلاد تتكلـم الى أيامنا هذه بلغة الطبول والزهور •ويستحيل فيها اصدار صحف محلية أذ هى تعجز كل العجز عن ان تخاطب المواطنين بلغات متعددة فى وقت واحد • وذلك كله فضلا عن ان وصول هذه الصحف الى قرائها ـ ان وجدوا ـ قد لا يكون قبل مضي ثلاثة او خمسة ايام فى حين ان الاذاعة باجهزتهـا المعروفة تستطيع الاتصال بالجماهير اتصالا مباشرا وسريعا فى نفس الوقت وتستطيع ان تخاطبهم بلغاتهم الكثيرة اذا لزم الأمر [2] •

٢ ـ النوع الثاني هو (المجتمعات الانتقالية) ، وتسمى كذلك بالمجتمعات

---

(١) حسن الحسن/الاعلام والدولة/ص ٣٧٦ •

(٢) وهنا نحيل القارىء الى التجارب الناجحة التى قـــام بها كـل من (الاب ساليندا) فى كولومبيا عام ١٩٤٧ وتجربـة (ميزون لافيت) فى قلب الغابة داخل قصر قديم امتلكته الاذاعة الفرنسية وراء البحـــار ، راجع/المصدر السابق/ص ٣٧٩ ، ص ٣٨٢ •

النامية • وهي مجتمعات بدأت طريق التقدم بالفعل • وربما قطع بعضها اشواطا كبيرة فى هذا السبيل • ومن دلائل التقدم فى هذه المجتمعات النامية زيادة نسبة التعليم زيادة ملحوظة ، وارتفاع مستوى المعيشة بحيث شمل الرخاء أكثر طبقات الشعب ، ومنها الطبقة الفقيرة • وزيادة الوعي القومي ، والوعي الصحي ، والوعى العلمى ، والوعى الادبى او الفنى ونحو ذلك •

غير ان اهم ما تمتاز به المجتمعات النامية فى الحقيقة هو (زيادة التطلع) بين افرادها الى مستقبل افضل وحياة افضل ونظام افضل • ومن أجل ذلك نجد ان الدول النامية تشهد منذ منتصف القرن الذى نعيش فيه ثورة جديدة يمكن ان نطلق عليها اسم « ثورة التطلعات » وتعتبر وسائل الاعلام الحديثة سببا من اسباب هذه الثورة فى الحقيقة • ومن هذه الوسائل الاعلامية بطبيعة الحال كل من الصحف والاذاعة والتلفزيون والسينما والكتاب •

وبسبب هذه الوسائل الاعلامية كذلك زادت مطاليب الشعوب النامية بما يزيد كثيرا على قدرة الحكومات التى تتولى أمر هذه الشعوب ومن ثم بدت هذه الحكومات وكانها عاجزة عن تحقيق آمال الشعوب التى تحكمها • وهو امر أدى الى حالة من السخط فى ثلاثة ارباع شعوب العالم فى الوقت الحاضر • والذى لا ريب فيه ان وسائل الاعلام تعتبر كذلك السبب الاول من اسباب تفاقم هذه الحالة والوصول بها الى هذه الدرجة من السخط والتذمر ، وذلك بما تنشره هذه الوسائل الاعلامية بين حين وآخر من وعود وآمال من جانب الحكام فى مستقبل زاهر وحياة كريمة ، وبما تنشره كذلك عن مستوى المعيشة فى الدول القديمة العهد بالتقدم والرخاء •

ولعل من اسباب هذه الحالة التى نشير اليها كذلك ـ وهى حالة السخط والتذمر فى اكثر اجزاء العالم النامى فى الوقت الحاضر ـ زيادة الاتصال بين القرية والمدينة ، وازدحام العواصم الكبرى باعداد غفيرة من المواطنين الذين هربوا من بؤس الحياة وشظف العيش فى الريف ، وجاءوا بامل كبير فى لين الحياة وسعة الارزاق فى العواصم .

الحق انه مما يزيد فى ثورة التطلعات التى نشير اليها ما نجده فى اغلب الدول النامية من الفروق الكبيرة بين القرية والمدينة ذلك ان سوء توزيع الثروة فى الريف وتوفير العناية بالمدن الكبيرة ، واهمال القرية من جميع الوجوه ، وتركيز التعليم والعلاج والصناعات ودور الحكومة فى العواصم ـ كل هذه الامور تجعل مشكلة التطلعات تزداد فى كل يوم حدة على حدة .

وقد يسأل سائل . ولكن ما هو الطريق الى حل هذه المشكلة ؟

والجواب عن ذلك ان لكل داء دواء من جنسه . فاذا كانت وسائل الاعلام الحديثة هى التى ادت الى هذه الحالة الخطيرة ، فان هذه الوسائل الاعلامية هى التى تستطيع ان تشترك فى حل هذه المشكلة بان تعدل تعديلا واضحا فى برامجها اليومية او الدورية لكي تحقق هذه الغاية .

واذا كان اهمال القرية وتركيز النشاط الحكومى والنشاط الشعبى فى العواصم من الاسباب التى ادت الى هذه الحالة الخطيرة فان العناية بالقرية وتزويدها بكل اسباب الحياة الصحيحة او السعيدة التى يحياها الناس فى العواصم يكون طريقا من طرق علاج هذه المشكلة .

وعلى ذلك يجب ان تتسع القرية منذ الان لاجهزة الاعلام على اختلافها من صحف واذاعة وتلفزيون وسينما ومكتبة وناد ونحو ذلك كما يجب ان

تكون طرق المواصلات بين القرى والمدن سهلة ومتوفرة ومعتدلة الثمن .

وكذلك يجب ان يتوفر للقرى العدد الكافى من المدارس على اختلاف درجاتها ، والمستشفيات بجميع اشكالها ، وان تبدأ القرية طورا جديدا من اطوار حياتها يقوم على الصناعة بشرط ان تكون من وحي البيئة وذلك الى جانب الزراعة التى ستبقى طابعا للقرية لا تفارقها بحال من الاحوال .

بهذه الحلول وامثالها لايحس اهل القرى بالفروق البعيدة بينهم وبين سكان المدن ، ولايحسون الحرمان الذى يحسونه الان بعد ان بدأوا يتطلعون الى الحياة التى من هذا النوع . والمواطنون المحدثون فى القرى مخالفون فى ذلك لابائهم واجدادهم كل المخالفة . فقد كان هؤلاء الاباء قد اراحوا انفسهم من هذا التطلع ورضوا بحياة هى اكثر ملاءمة للمجتمعات التقليدية منها للمجتمعات النامية .

ونعود الى وسائل الاعلام فنقول انها تستطيع ان تنقذ الناس من هذه الحالة . ولا يكون ذلك الا بتقوية اجهزة الاعلام وتطوير برامجها وتغيير مضمونها بحيث تستطيع هذه الوسائل ان توجه الحكومة والشعب الى نشر مبادىء التضحية والعدل والبذل وغيرها من المبادىء اللازمة للمواطنين فى مرحلة الصناعة او مرحلة الانتقال من طور الى طور .

وهذا ما تفعله بعض الدول النامية فى الوقت الحاضر . ومنها الجمهورية العربية المتحدة . غير ان هناك دولا اخرى نامية عجزت عن اتخاذ مثل هذه السياسة . ومع هذا وذاك فمنذ سنة ١٩٦٠ والعالم يشهد تحول الثورات التطلعية فى هذه الدول الى ثورات اكثر عنفا واعظم خطورة . وقد أطلقنا على هذه الثورات الجديدة اسم (ثورة التذمر او السخط) .

ونعود فنقول هنا ان اول سبب من اسباب هذه الثورة الجديدة هو

وسائل الاعلام الحديثة ، ومن اسباب هذه الثورة كذلك عدم الاستقرار السياسى فى اغلب الدول النامية ، ثم من اسبابها ايضا تمسك الطبقة المثقفة فى الدول النامية بمبادىء الديمقراطية الغربية ، ومحاولة زرع هذا النبات فى ارض غير أرضه ، وفى فصل زراعى غير فصله • ومن هنا نجد بعض هذه الدول النامية يعاني من محنة التقلبات السياسية والثورات الشعبية ما يعوق تقدمه ويعرقل نموه ويؤدي ذلك كله الى عدم التوفيق فى اختيار الحكم الملائم له آخر الامر •

ولذلك نجد دول اميركا اللاتينية على سبيل المثال فى ثورة مستمرة الى يومنا هذا • وكذلك نجد شعوب شرق آسيا وبعض الدول العربية • وما تزال هذه الاخيرة موزعة بين الخوف من الاستعمار الغربى والخوف من الاستعمار الشيوعي • وكذلك الشأن فى دول افريقيا تلك الدول التى ما زالت تحترق بنار البغض والكراهية للاستعمار الاوربي • على ان كراهية الدول النامية للاستعمار الغربى على هذا النحو هى التى تجعلها تتجه صوب الكتلة الشرقية واهمة ان لهذه الكتلة ايديولوجية ربما اعانتها على تحقيق امانيها السياسية والاقتصادية فى اقرب وقت • وهكذا تقف الشيوعية امام هذه الدول النامية وكانها الطريق الوحيد الى الخلاص من حالة السخط الذى تشعر به •

فكر علماء السياسة فى اوضاع الدول النامية فى الوقت الحاضر فاهتدوا الى ان اصلح نظام لهذه الدول هو النظام المبنى على نوع من الحكم الابوى العادل • ومعناه اسناد الحكم فى هذه الدول النامية الى اقلية عادلة تسعى جهدها لتطوير المجتمع والقضاء على الاوضاع القديمة الفاسدة فى هذا المجتمع • ولا شك ان القضاء على القديم يتطلب نوعا من القيم الجديدة

والمفاهيم الجديدة والقيادات الجديدة • وبدونها يستحيل التحول من طور الى آخر من اطوار الامة •

وهكذا تواجه المجتمعات الانتقالية او النامية مهمة صعبة هى مهمة تطوير هذه المجتمعات فى سنوات قليلة والوصول بها الى المستوى الذى تعيش فيه المجتمعات المتقدمة •

٣ ـ النوع الثالث (المجتمعات الحديثة) او المتقدمة وهى المجتمعات التى مرت فى طريق طويل من النضال والكفاح ، وقطعت فى هذا الطريق اعمارا طويلة من حياتها •

اجل يحدثنا التاريخ ان هذه المجتمعات او الدول الحديثة او المتقدمة ومنها دول اوروبا مرت بعصور كثيرة من اهمها : عصر الاستكشاف ، وعصر الاضطهاد الدينى وعصر النهضة ، وعصر الثورة الصناعية ، وعصر الثورة الفرنسية وهكذا • واما العلم فى تلك الدول المتقدمة فقد مر هو الآخر بعصر البخار وعصر الكهرباء ، وعصر الذرة • كل ذلك والدول النامية او المتخلفة تقف من هذه العصور او الاطوار موقف المتفرج او المتعجب لا اكثر ولا اقل •

ومرة اخرى نسأل انفسنا :ـ

ماهى وظائف الاعلام فى المجتمعات بانواعها الثلاثة؟ وهل يمكن ان نعقد موازنات بين الوسائل الاعلامية فى هذه المجتمعات •

اما فى (المجتمع التقليدى) فقد رأينا ان الراديو فى وقتنا هذا يعتبر أنسب الوسائل وأنجحها فى الحقيقة • وذلك نظرا لانتشار الامية من جهة وسوء المواصلات من جهة ثانية ، ولنقص القدرة المالية التى تقوم بالانفاق على وسائل اعلامية اخرى آخر الامر •

اما فى (المجتمع الانتقالى) أو النامى فما زال الراديو صاحب الافضلية على الصحف بوجه خاص • وان كانت هذه الاخيرة تؤدى فى الوقت

الحاضر دورا خطيرا فى عملية التطوير أو الانتقال من حالة الى حالة افضل منها •

واما فى (المجتمع الحديث) أو المتقدم فان للكتب والسينما والمسرح والمعرض ، كما للمؤتمرات الصحفية الدورية ، وأحـــاديث الشخصيات الكبيرة فى الدولة أثرا كبيرا فى توجيه الرأى العام • وليست الاذاعة فى هذه المجتمعات الحديثة الا وسيلة واحدة من بين وسائل اخرى عديـــدة ربما كانت اعظم من الاذاعة تأثيرا فى هذا المجتمع •

وبرغم ذلك فان الراديو فى المجتمعات الحديثة يمتاز عـــلى بقيـــة الوسائل الاعلامية الاخرى بميزات عظيمة من اهمها :ـ

١ ـ انه الوسيلة السريعة التى بها يمارس المواطن فى كل المجتمعات التى تحدثنا عنها ما يسمى (بحرية الاعـــلام) او بمعنى أدق (حريـــة الاستعلام) • ففى وسع المستمع فى اية جهة من جهات العالم ان يستمع الى محطات اذاعية كثيرة فى وقت واحد أو فى يوم واحد • وتستطيع كـــل اذاعة من هذه الاذاعات ان تصحح الاذاعات الاخرى • لان الحقيقة تقع بينها جميعا • وقلمـا تختص بهـا ـ اى بالحقيقة ـ اذاعة واحدة فقط • كل ذلك بطريقة سهلة قلما تتيسر للمستمع بعدوله عن الراديو الى الصحف•

ولكن ماهى وظائف الاعلام فى الدول النامية بصفة خاصة؟

من اليسير علينا ان نفهم ان المرحلة الانتقالية فى اى مجتمع انساني يمكن أن تنقسم الى فترات زمنية ثلاث وهى :ـ

الفترة الاولى ـ وفيها يكون الهدف الرئيس للمرحلة هو تقوية سلطة القائمين بالامر • ونعنى بها سلطة الاقلية التى جاءت للقيام بهذه المهمـــة الخطيرة كما قلنا ـ وهى مهمة تطوير المتجمع •

لذلك نجد أن وسائل الاعلام فى هذه الفترة من المرحلة تحاول ما وسعها ذلك اثبات شرعية هذه الاقلية الحاكمة • كما نجد الدول نفسها تحاول ان تسيطر كل السيطرة من جانها على وسائل الاعلام فى هذه الفترة من المرحلة بنوع خاص • ومعنى ذلك ان على وسائل الاعلام فى هذه الفترة الاولى ان تدافع عن القادة ، وتسندهم مساندة قوية حتى يقوموا بواجبهم نحو هذه المهمة الكبيرة وهى تطوير المجتمع •

الفترة الثانية من فترات المرحلة ـ وفيها تبذل وسائل الاعلام قصارى جهدها فى نقل آراء الشعب ، ووجهة نظره فى حل المشكلات الناجمة عن حركة التطوير الى القادة وعلى رأسهم رئيس الجمهورية •

الفترة الثالثة من فترات المرحلة ـ وفيها تقوم وسائل الاعلام بدور المتحدث الدقيق بلسان الشعب ، وتمثيل السلطة الرابعة فى الدولة ـ وهي سلطة الصحافة ـ بالمعنى الواسع لهذه الكلمة ، وهو المعنى الذي يشمل الصحافة المكتوبة ممثلة فى الصحف والمجلات ، والصحافة المسموعة ممثلة فى الاذاعة ، والصحافة المرئية ممثلة فى السينما والتلفزيون •

وفي هذه الفترة الاخيرة نجد ان مستوى الامة الاجتماعي والسياسي قد ارتفع ، وان الشعب قد بدأ يعد نفسه اعدادا سليما للديمقراطية الصحيحة بالمعنى الغربي ، ويكون الشعب فى هذه الفترة قد انجز شوطا كبيرا فى طريقه الى تقدم صحيح وحياة افضل •

ولكن ما هي الخطة الاعلامية في الدول النامية ؟

لا شك ان الهدف الاول ـ بطبيعة الحال ـ هو نقل المجتمع الى مرحلة جديدة من مراحله • او بعبارة اخرى تحويل هذا المجتمع الى النظام الاشتراكي • واذ ذاك يجب على المجتمع ان يقوم

بتحديد النظرية الاعلامية التى يأخذ بها ، ويلتزم الشعب ومعه الحكومة بهذه النظرية منذ اعلانها بالطرق الرسمية والطرق الشعبية .

وقد سبق ان عرضنا رأينا فى هذه النقطة الاخيرة . وقلنا ان النظرية الاعلامية التي تلتزم بها الجمهورية العربية المتحدة هى (نظرية المسؤولية الاجتماعية)، وليست النظرية السوفيتية . وهنا نسمع بالدعوة الى ما يسمى (بدستور المثقفين) لتحقيق هذه الغاية . كما نسمع بتنظيم الحلقات الدراسية ، ومعسكرات العمل الميداني للارتفاع بمستوى العاملين في اجهزة الاعلام . ولمنظمة اليونسكو مشاركة قوية فى هذا الميدان الاخير لابد انها ستترك اثرها قويا فى تمكين اجهزة الاعلام فى الدول النامية من القيام بدورها على احسن وجه ممكن .

ان انتقال المجتمع النامي من مرحلة قديمة الى اخرى جديدة يحتاج فى الواقع الى القيام بعملين كبيرين هما :

الأول ـ عملية التغيير الفكري او الايديولوجي .

والثاني ـ عملية التغيير الانتاجي والاقتصادي .

والتغيير الفكرى يهدف الى محاربة الافكار الرجعية التى تسيطر على المجتمع ومحاربة الانتهازية التى هي الطابع العام لهذه الرجعية فى كل مجتمع . ولا يكون ذلك مطلقا الا بطريقين لا ثالث لهما ..

الاول طريق التعليم .

الثانى طريق الاعلام .

ففى التعليم توضع المناهج الجديدة التى تلائم المرحلة الجديدة . وفى الاعلام توضع البرامج الجديدة التى تتمشى مع الاوضاع الجديدة ـ كما سبقت الاشارة الى ذلك ـ .

واما التغير الانتاجي فيهدف الى بناء مجتمع جديد ، هو مجتمع الكفاية والعدل • وقد ضربت الجمهورية العربية المتحدة مثلا يحتذى به فى هذه الناحية •

وندع التغير الانتاجي جانبا لانه لا يعنينا فى هذا البحث • وننظر فى التغير الايديولوجي • وهنا يقفز فى اذهاننا سؤال هام وهو :

ما المفاهيم الجديدة والقيم الجديدة والقيادات الجديدة التى لابد منها للمجتمعات الانتقالية او النامية لكي تسير هذه المجتمعات فى طريقها السوي نحو التقدم الحقيقي ؟

مما لا شك فيه ان مجموعة من القيم الجديدة لابد من توفرها للمجتمعات الانتقالية • وبدونها لا يحدث الانتقال من طور الى طور • ونريد ان نقرب هذا المعنى الى ذهن القارىء فنضرب له المثل هنا بالقرآن الكريم والشعر الجاهلي • او بعبارة اخرى • بالفرق الكبير بين المثل الاعلى للعربي فى الجاهلية والمثل الاعلى للعربي فى الاسلام •

فالمثل الاعلى للعربي فى الجاهلية عبارة عن الفخر بالنجدة ، والفخر بالكرم ، والفخر بالشراب ومخالطة النساء ، والدفاع عن القبيلة والاخذ بالثأر • هذه صورة دقيقة للحياة فى نظر العربي فى الجاهلية (١) •

---

(١) يدلنا على ذلك ابيات لطرفة بن العبد • يجد القارىء العادى صعوبة فى فهمها لغرابة الفاظها • اما معانيها فسهلة لانها لاتخرج عما ذكرناه من اوصاف المثل الاعلى للعربى فى الجاهلية والابيات هى :ـ

ولولا ثلاث هن من عيشة الفتى ... وحقك لم احفل متى قام عوّدى
فمنهنّ سبق العاذلات بشربة ... كميت متى ما تعل بالماء تزبد
وتقصير يوم الدجن والدجن معجب ... ببهكنة تحت الخباء المعمد
وكرّى اذا نادى المضاف مجنبا ... كسيد الغضا ذى السورة المتورد

والمثل الاعلى للعربي فى الاسلام بخلاف ذلك جملة واحدة • فهو هنا الخضوع لله والانقياد لاوامره تعالى ، والتضحية بالمنافع الشخصية والمنافع القبلية فى سبيل الدين الجديد ، وتجنب الكبر والعظمة والتعالى على الناس ، والوفاء بالعهد فى كل وقت ، وبذل المال لمن يستحقون هذا البذل والصبر على الشدائد والمصائب ومنها مصيبة الحرب (١) •

وهذا الذى يحدث فى الثورات الدينية الكبرى كالمسيحية والاسلام يحدث مثله فى الثورات السياسية والاجتماعية الكبرى ، كالثورة الفرنسية والثورة الروسية والثورة المصرية لعام ١٩٥٢ وثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ فى العراق وغيرها •

فهذا الشاعر يقول انه لا يعيش فى هذه الدنيا الا لثلاثة اشياء هى الشراب والنساء والنجدة •

اما الشراب فقد عبر عنه فى البيت الثانى بالخمرة التى اذا علاها الماء أزبدت وصلحت للشراب • واما النساء فعبر عنها فى البيت الثالث بقوله انه يعشق المرأة الحسناء تحت الخباء المقام على اعمدة •

واما النجدة فيعبر عنها فى البيت الاخير بقوله انه مستعد على الدوام لنجدة من يستجير به • وانه يفر لنجدته كما يفر الذئب الغاضب فى الصحراء •

(١) وهذا المثل الاعلى فى الاسلام يعبر عنه القرآن فى آيات كثيرة منها :ـ

« يا أيها الناس انا خلقناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا • ان اكرمكم عند الله اتقاكم » • ومنها : « ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الاخر والملائكة والكتاب والنبيين ، وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب ، واقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرون في البأساء والضراء وحين البأس • اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون » •

وهذه الثورات السياسية والاجتماعية ليست الا ايذانا بميلاد عصر جديد او مجتمع جديد ، هو المجتمع الانتقالى او النامى على النحو الذى شرحناه من قبل .

وهنا يصبح المجتمع الجديد فى حاجة ماسة الى قيم جديدة ومفاهيم جديدة وقيادات جديدة .

ولنضرب المثل هنا بالمجتمع النامى فى الجمهورية العربية المتحدة وهو المجتمع الذي يأخذ فى وقتنا هذا بالاشتراكية العلمية بالصورة العربية ، والتطبيق العربي لا الغربي كما نجده فى اية دولة من الدول الاوربية او الاسيوية فى الوقت الحاضر .

ماهي المفاهيم الجديدة للجمهورية العربية المتحدة ؟ .

هناك مفاهيم سياسية واقتصادية ومفاهيم ذهنية وخلقية واجتماعية . فمن المفاهيم السياسية والاقتصادية .

١ ـ مفهوم الوحدة العربية من جميع النواحى السياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية والاعلامية والتعليمية .

٢ ـ مفهوم الوحدة الافريقية لهدف الوحدة فى ذاتها أولا ، ولمحاربة الدعاية الصهيونية فى هذه القارة بعد ان بلغت هذه الدعاية مداها واستخدمت لذلك كل الوسائل .

٣ ـ مفهوم الحياد الايجابي ومعناه الوقوف موقفا وسطا بين المعسكرين الشرقى والغربى لاحداث التوازن بينهما .

٤ ـ المفهوم الجديد للثروة بما يتفق والاشتراكية العربية التى تؤمن بالملكية ، ولكنها تكفر باستغلال رأس المال وتحارب الاحتكار بجميع صوره .

٥ ـ مفهوم السلام العالمى ومكافحة الاستعمار بجميع اشكاله فى

اية بقعة من بقاع الارض • وفى رأى الايديولوجية السياسية العربية ان الاستعمار الصهيوني ممثلا فى دولة اسرائيل انما يشكل اخطر انـــواع الاستعمار الحديث •

وغني عن البيان ان هذه المفاهيم السياسية والاقتصادية لاتحتاج الى مزيد من الشرح بعد اذ اصبحت معروفة لكل عربي مهما قل حظه مـــن الاتصال بالصحف والاذاعة وغيرهما من وسائل الاعلام المألوفة غير ان هناك طائفة من المفاهيم الجديدة قد تحتاج الى شيء من الشرح ومنها :ـ

١ ـ الشعور بالمسؤولية الاجتماعية

سبق ان قلنا ان الحرية فى النظام الرأسمالى حرية مطلقة توشك الا تكون لها حدود معينة • على حين ان الحرية فى ظل النظام الاشتراكى حرية مقيدة لصالح المجموع • ولا فرق بين الحـرية الرأسماليـــة والحريـــة الاشتراكية الا من هذه الناحية •

صحيح ان النظام الرأسمالى بدأ يشعر بخطورة الحرية التى لا حدود لها • ومن ثم اخذ يضع لها حدوداً تقف عندها • غير ان هذه الحدود التى وضعت للحرية الرأسمالية ـ مهما بولغ فيها • فانها لايمكن ان تصل الى مستوى الحدود التى وضعتها الحرية الاشتراكية ذاتها •

والواقع ان الحرية الاشتراكية لا تعني غير المسؤولية الاجتماعية بكل ما تحمل هذه العبارة الاخيرة من معنى •

أليس من معانى المسؤولية الاجتماعية عندنا نحن العرب ان كـــل مواطن عربى مسؤول عن المشاركة الفعلية فى بناء المجتمع الجديد؟ • ومن ثم نرى الجمهورية العربية المتحدة ـ على سبيل المثال ـ تعيش فى هـــذه الحقبة الزمنية ثورات ثلاثا فى زمن واحد : ثورة سياسية ، وثورة اجتماعية،

وثورة اقتصادية • على حين ان المجتمع السابق لمجتمع الثورة فى مصر كان يعيش ثورة واحدة فقط ، هي الثورة السياسية •

والخلاصة ان المسؤولية الاجتماعية معناها تقديم الصالح العام على الصالح الخاص ولاشيء اكثر من ذلك •

٢ ـ التعاون وانكار الذات •

ان بناء الوطن او اعادة بنائه من جديد يحتاج الى تضافر القوى والى انكار الذات • بمعنى ان المواطن العربى فى المجتمع العربى اصبح عليه ان يقوم بكل ما يستطيع ان يقوم به من عمل ، عارفا انه مهما بذل فى سبيل هذا العمل فليس من حقه ان ينسب شيئا من الفضل لنفسه ، ولا ان يشيد بعمله، ولا ان ينتظر عليه الاجر من الناس او من الدولة • وان كانت الدولة نفسها لاتنسى جهود العاملين ، ولا تترك فرصة من الفرص الا اشادت بهم ومنحتهم المكافآت المادية او المعنوية التى يستحقونها على اعمالهم •

ومن شأن هذه الايديولوجية التعاونية ان تنظر الى الثروة ـ كما قلنا ـ على انها ملك لجميع الشعب • واذ ذاك فقط يسقط لفظ [الاحسان] ويحذف من قاموس الحياة الاشتراكية السليمة ، ويحل محله لفظ [الحق] الذى لكل فرد من افراد الامة على الدولة •

فالضمان الاجتماعي حق •

واشراك العمال فى ارباح المؤسسات حق •

واخذ ما زاد عن حاجة الاغنياء للفقراء حق وهكذا •

٣ ـ مبدأ تكافوء الفرص

وقد نبع هذا المبدأ الاخير من المبدأ السابق (لكل مواطن الحق فى خيرات بلاده بقدر ما يعمل لها) • ولا يكون ذلك بطبيعة الحال الا اذا اتاح

المجتمع لكل المواطنين فرصا متكافئة للعمل ، وفرصا متكافئة للربح الناتج عن هذا العمل ، بشرط الا يتم ذلك بطريق المجاملات او « المحسوبيات » او اعتبار الفرص المتكافئة نوعا من « التفضل » ونحو ذلك .

هذه بعض سمات المجتمع الجديد الذى انتقلت اليه الجمهورية العربية المتحدة . غير ان هذه المفاهيم الجديدة تحتاج الى قيادات جديدة لنشر هذه المعاني الجديدة .

فما هى القيادات الجديدة للمجتمع الجديد ؟

سبق ان ذكرنا ان الجمهورية العربية المتحدة تقف الان فى المرحلة الانتقالية من مراحل المجتمعات البشرية ، وانها لا تزال تمر بالفترة الثانية من فترات هذه المرحلة . ومعنى ذلك ان هذا المجتمع الذى نتحدث عنه ما زال يعاني من صفتين هما .. صفة القلق ، وصفة التطلع . وقد سبق ان قلنا ان آمال الشعوب فى هذه الفترة تبدو اعرض واطول مما يلزم . وهنا تواجه الحكومات الاشتراكية موقفا ينطوى على كثير من الحرج والصعوبة . ومن ثم يحتاج المجتمع فى هذه المرحلة الى :ـ

قيادات سياسية واقتصادية .

وقيادات اجتماعية وثقافية .

وقيادات اعلامية .

فالقيادة السياسية :

تتمثل اولا فى قائد المرحلة ونعنى به رئيس الجمهورية باعتباره الرجل القادر على وضع الحلول الناجحة للتغلب على ثورة القلق والحلول الناجحة لثورة التطلع . ثم هو القادر على تحقيق آمال الشعب السياسية كالحياد الايجابى والوحدة العربية ، والآمال الاقتصادية الاشتراكية كتحديد الملكية وحسن توزيع الثروة .

اما القيادة الاجتماعية :

فأن اول ما يجب عليها ان تدرسه هو خصائص المرحلة الانتقالية وان تعمل على نشر القيم الجديدة للمجتمع الجديد على النحو الذى شرحناه من قبل او على نحو افضل منه كلما أمكن ذلك •

وعلى اساس من هذه الدراسة يمكن للقيادة الاجتماعية ان تنظر فى كثير من المشكلات الحاضرة ، كمشكلة الاسكان وزيادة السكان ومشكلة المرأة ، ومشكلة العمال والفلاحين ، ومشكلة تحديد النسل ، ومشكلة الامية ومشكلة البطالة ، ومشكلة الاستهلاك الفردى والحد من هذا الاستهلاك ، ومشكلة الرقابة على ما يبدو من الانحرافات الفردية من جانب الرجعية والانتهازية كالرشوة والمحسوبية • واذا كان (التعليم) امرا من الامور التى تتصل بالقيادات الاجتماعية فعليها ان تعمل على نقل الافكار الثورية للاجيال الجديدة عن طريق المدرسة والجامعة حتى يمكن التغلب على العقليات الجامدة التى لم تؤمن بعد بالثورة ولم تحاول أن تساير الركب •

وهنا نتقدم باحتياط واحد فقط وخلاصته ان للحكومة الاشتراكية ان تؤثر او تغير او تبدل او تحذف او تضيف ما تشاء الى المناهج الدراسية فى المراحل الابتدائية والاعدادية والثانوية • وحقها فى ذلك واضح لايناقشها فيه احد • ولكنها ـ اى الحكومة الاشتراكية ـ ينبغى لها ان تترك الجامعة دون ان تحدث هذه التغييرات فى مناهجها • ذلك ان الجامعة هى المكان الذي تتكون فيه شخصية الطالب الجامعى بعيدا عن كل هذه المؤثرات • ولان ممارسة اى ضغط على الطالب الجامعى من جانب الاستاذ او المنهاج او الحكومة يعوق تكوينه العقلي ويؤثر فى نضجه الفكرى •

لذلك نكرر القول بان من حق الدولة ان تتصرف كما تشاء فـ

مناهج التعليم العام • اما المناهج الجامعية فليس من الخير للدولة ان تحدث فيها اى تغيير او تبديل •

غير ان ذلك لايمنع مطلقا من أن يفتح الباب على مصراعيه امام طلبة الجامعات لكى يناقشوا الاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى خلقها الوضع الاشتراكي • وبهذه الطريقة ـ وليس بطريق العبث بمناهج الدراسة ـ يستطيع طلبة الجامعات أن يكونوا لانفسهم رأيا سليما فى هذه الموضوعات •

ولاشك ان الفرق كبير بين عقلية الشباب المتحركة وعقلية الرجعيين الجامدة • وآية ذلك ان كل ثورة من الثورات السياسية وغير السياسية أنما تنبع أولا من عقول الشباب ثم تسرى منهم الى سواهم من المواطنين فى الامة •

اما القيادات الاعلامية

فنحن نعرف ان الاعلام بمعناه الواسع يشمل الاشياء المكتوبة والاشياء المسموعة ، والاشياء المرئية ، وقد اشرنا فى تضاعيف الكلام عن وسائل الاعلام انها يجب ان تساير الفترات الزمنية الثلاث للمرحلة الانتقالية •

ففى الفترة الاولى ـ تبذل وسائل الاعلام اقصى جهدها فى نشر الثقة بالاقلية الحاكمة •

وفى الثانية ـ تقوم وسائل الاعلام مقام الوسيط بين الحاكم والمحكوم، وتسمع هذه الاقلية الحاكمة صوت الشعب المحكوم •

وفى الثالثة ـ تبلغ وسائل الاعلام اعلى مستوياتها فى تمثيل السلطة الرابعة فى المجتمع ، وهي السلطة الاعلامية اصدق تمثيل واعظمه •

اما القيادات الادبية والعلمية والفنية فاصحابها بطبيعة الحال هم

وحدهم المثقفون فى الامة • وعليهم واجب كبير هو الاشتراك العقلى فى بناء هذه الامة •

(فالقيادة الادبية) تهدف الى خلق ايديولوجية جديدة للادب ، ودعوة الى نوع جديد من هذا الادب ، وهو هنا (الادب الهـــادف) • اما الادب الخيالى او الرومانسي او الادب المبني على الاساطير والخرافات فلا يكون الا لمجرد الامتاع والتسلية ، وليست هذه الاخيرة محترمة •

(والقيادة العلمية) تتمثل فى محاولة العلماء فى وقتنا هذا اللحاق بركب العلم فى الامم المتقدمة ـ تلك الامم التى قلنا انها قطعت عصر البخار وعصر الكهرباء وانها تعيش الان فى عصر الذرة • ولا ينبغى لنا ان نكتفى بسرد القصص العلمية التى توضح لنا جهود العلماء فى ميادين الاختـراع ونحو ذلك • بل يجب ان ننتقل من ذلك الى الاشتراك العقلي فى حركة الاختراع نفسها •

(والقيادة الفنية) يتلخص هدفها فى جعل الفنون على اختلافها مسايرة لتقدم المجتمع ، خادمة لاغراضه الجديدة واوضاعه الجديدة ، معبرة عـن آماله العريضة ، معنية بالشعب او بالطبقة الجديدة التى ظهرت فى هـــذا الشعب وهى طبقة العمال ومعها طبقة الفلاحين الموجودة قبل ذلك • وذلك بدلا من العناية بطبقة الاغنياء واصحاب رؤوس الامـــوال وذوي الجـــاه والسلطان ومن اليهم •

الحق ـ ان فى وسع الادب او الفن ان ينفخ فـــى روح المجتمعات الجديدة ، وان يساعدها على ادراك الحياة الجديدة ، والقيم الجـــديـــدة والمفاهيم الجديدة •

لعل هذه الاسباب المتقدمة هى التى رمت الى التفكير فيـــمـــا سمى

(بدستور المثقفين) • وقد أعدت (أمانة الفكر والدعوة) بالاتحاد الاشتراكي العربى بالقاهرة هذا الدستور ، فقالت فى ضرورة الادب والفن :ـ

« الادب والفن الثوريان هما الوجه الآخر من العملة التى تسكها الثورة لنفسها • اما الوجه الاول فهو الوجه الاقتصادى والاجتماعى • ومعنى ذلك انه يجب ان نتحدث دائما عن التخطيط الثقافي والفني فى نفس الوقت الذى نتحدث فيه عن التخطيط الاقتصادى بوصف ان التخطيطين وجهان لشىء واحد هو الثورة • ان هدف الثورة الاقتصادية والاجتماعية هو اكفاء (اى توفير) الحاجة المادية للمواطن الاشتراكى • وهدف الفن والادب هو اكفاء حاجته الروحية •• وما لم يكن لدينا ادب وفن من نوع آخر فلن نستطيع انجاح الثورة وتدعيمها •

وطرح الدستور هذا السؤال : هل نقف على الحياد بين المذاهب الفنية المختلفة ؟ وأجاب عنه بقوله : ان النهج الاشتراكى الذى اخترناه اسلوبا لحياتنا يفرض علينا ان نقف الى جوار المدارس الفنية التى تناصر الانسان وتعطف عليه وعلى مشاكله وتهتم اهتماما أصيلا بتقدمه » •

ثم طرح الدستور سؤالا آخر وهو : كيف يتجه الكتاب ورجال الاعلام للشعب ؟ واجاب عن ذلك بقوله : ان الهدف الرئيس لاجهزة الاعلام والثقافة هو مساندة عملية التحول الاشتراكي على الصعيد المادى ، واحداث تحويل اشتراكي فكرى وفنى فى قطاع الثقافة والاعلام •• وان الطريقة الوحيدة لفهم الجماهير وتغييرها هى التعبير عن هذه الجماهير فعلا • وبهذا تتغير الجماهير وتتطور؟ ويتغير معها من يتصدون لقيادتها وتعليمها » •

ومن الاسئلة التى طرحها الدستور كذلك : هل الدولة وصية على

الفنان ؟ واجاب عن ذلك بالانكار • ولكن فى الوقت الذى لا تقيم فيه الدولة من نفسها وصية على الفنان ، فان من واجبها ان تحرص على توفير الظروف التى تتيح له ان يتحول تلقائيا الى طريق الاشتراكية •• يجب ان نحذر من مطالبة الفنان بالالتزام الحرفى بتفاصيل الخطة واهدافها • ونكتفى بـــان يؤيد روح الخطة وروح الهدف •

البَابُ الثَالِث

الدعايـة

الفصل الأول

ما هي الدعـــاية ؟

الدعاية هى محاولة التأثير فى الافراد والجماهير والسيطرة عـــلى سلوكهم لاغراض مشكوك فيها ، وذلك فى مجتمع معين وزمان معين ولهدف معين .

وقد عرفت الدعاية منذ فجر التاريخ ، وكانت الخطابة اليونانيـــة القديمة وسيلة من وسائلها . واعترف افلاطون بقيمة الخطابة فى ميـــدان الدعاية السياسية . وكذلك كان الشعر عند اليونان القدماء . اما العرب فقد كان اعتمادهم على الشعر فى الدعاية اكبر من اعتماد غيرهم من الامـــم - وذلك باستثناء اليونان والرومان القدماء . وهم الذين اتخذوا من الشـــعر الحماسى فى كل من الالياذة والاوديسا وسيلة لاثارة الجماهير والهـــاب مشاعرهم .

واما فى المجال الدينى فقد لعبت الدعاية دورا فى غاية الخطورة .

وفى عهد البابا جريجوار السابع عقد مؤتمر لنشر الدعاية للمذهب الكاثولكي • ويقال ان من هذا المؤتمر اخذت كلمة (الدعاية) معناها فى اللغات الاوربية الحديثة •

هذا فى التاريخ الاوربى • اما فى التاريخ الاسلامى ـ وفى الحروب الصليبية بنوع خاص ـ فقد لعبت الدعاية دورا اهم واخطر من جميع الادوار السابقة • ذلك ان فكرة الحرب من حيث هى اشترك فى الترويج لها فقهاء الدين عن طريق «القصص الدينى» الذى كان يلقى على الجنود فى الميدان • وكان يقوم به رجل من اخطر موظفى الدولة وهو «القاص» كما اشترك فى الترويج لها كذلك الادباء من شعراء وكتاب وخطباء اثاروا الحمية فى النفوس واشعلوا نار العصبية الاسلامية حتى تسابق الجند الى الاستشهاد فى سبيل الله والاسلام وباعوا نفوسهم رخيصة من أجله (١) •

ومنذ بداية الحرب العالمية الاولى وفى اثناء هذه الحرب ظهرت الحاجة ماسة الى الدعاية السياسية • وتطورت الدعاية ذاتها حتى اصبحت علما من العلوم له قواعده واصوله • وكان لكل دولة من الدول المشتركة فى الحرب العالمية الاولى سياستها فى الدعاية التى تخالف بها سياسة الدولة الاخرى •

فسياسة انجلترة تقوم على اقناع الدول المتحالفة معها بعدالة الانجليز واحقيتهم فى هذه الحرب وبان النصر سيكون حليفا لها فى نهاية الامر •

اما المانيا فتقوم سياستها على مجرد الدفاع او الرد على دعايات الحلفاء وهكذا •

---

(١) لمن اراد المزيد عن حركة الاعلام والدعاية الاسلامية فى اثناء الحروب الصليبية ان يرجع الى كتاب (ادب الحروب الصليبية للؤلف • طبع دار الفكر العربي بالقاهرة) •

والمهم هو ان الدعاية كانت الاداة السرية الرئيسة فى الحرب وكان يطلق على هذه الدعاية السرية عند الانجليز اسم (الحرب السياسية) وعند الالمان (الحرب الثقافية) وعند الامريكيين (الحرب السيكولـــوجية) • وكلها تهدف الى جعل الآخرين يتصرفون كما تريد هذه الدعاية ان يتصرفوا وان يعملوا • وفى ذلك يقول قائد الماني من قادة الحرب فى ذلك الوقت :

« اننا نستهلك الكثير من القنابل لندمر بها مدفعا واحدا فى يد جندى • أليس الارخص من ذلك أن نوجـــد وسيلة تسبب اضطراب الاصابع التي تضغط على زناد ذلك المدفع فى يدى الجندى؟» •

من اجل ذلك اخذ الانجليزينظمون لانفسهم فى الحرب العالميـــة الاولى دعاية من هذا النوع • وكانت الصحف احدى وسائلها • وكـــان الصحفي الانجليزى (نورثكليف) هو المنظم الحقيقى لها • وكان اسلوب هذا الصحفى يقوم على نشر روح الهزيمة فى داخل المانيا اعتمادا عـــلى القاعدة التى تقول ان روح الهزيمة انما تبدأ أولا فى الجبهة الداخليـــة للعدو •

انواع الدعاية

والدعاية فى ذاتها انواع او الوان منها :

١ ـ الدعاية البيضاء •

٢ ـ والدعاية السوداء •

٣ ـ ودعاية تتخذ لنفسها لونا بين الابيض والاســود وتسمى الدعـــاية الرمادية •

فالدعاية البيضاء هى الدعاية المكشوفة غير المستورة • وهى عبارة عن النشاط العلني من اجل هدف معين • كما يكون ذلك فى الصحف والاذاعة

ووسائل الاتصال بالجماهير •

والدعاية السوداء : هى الدعاية المستورة • وتقوم عادة على نشـــاط المخابرات السرية • ولا تكشف الدعاية السوداء مطلقا عن مصادرهـــا الحقيقية • ولكنها تنمو وتتوالد بطرق سرية • وذلك فى داخل ارض العدو او على مقربة منها •

والدعاية الرمادية هى الدعاية التى لا تخشى من ان يقف الناس على مصادرها الحقيقية • ولكنها تختفى وراء هدف من الاهداف • ومن الامثلة عليها اذاعات اوربا الحرة •• وهي عبارة عن شبكة من المحطات الاذاعية تتولاها (اللجنة الاهلية لاوربا الحرة باسم الاذاعة الموجهة) الى دول شرقى اوربا وجنوبى شرقها ، وهى بولنده وتشيكوسلوفاكيا ، والمجر ، ورومانيا ، وبلغاريا • والهدف من هذه الاذاعات الموجهة انما هو احباط الدعـــاية الشيوعية فى تلك البلاد •

ويصح ان ننظر الى الاذاعة الموجهة ـ وهى جزء من برامج الاذاعة فى الجمهورية العربية المتحدة ـ على انها من هذا النوع بالرغم من ان اللون الغالب على هذه الاذاعة الموجهة فى مصر هو اللون الثقافى • اى ان الدعاية التى عن هذا الطريق دعاية غير مباشرة • والدعاية غير المباشرة اقوى تأثيرا بدون شك من الدعاية المباشرة •

وسائل الدعاية السوداء

وللدعاية السوداء فيما عدا الاذاعة السرية وسائل اخرى كثيرة • منها وسيلة الصحف السرية والنشرات او المطبوعات السرية • وتزييف اغلفة الصحف الوطنية • كما فعلت اسرائيل فى استخدامها غلاف مجلة مصرية هي مجلة (روز اليوسف) فى نشر دعاية سوداء ضد الجمهورية العربية المتحدة •

اساليب الدعاية

للدعاية فى ذاتها عوامل واساليب كثيرة منها على سبيل المثال :

١ ـ اسلوب النكتة

وللنكتة تأثير كبير فى الرأى العام كما نعرف • وخاصة فى الشعوب التي تميل بطبيعتها الى ذلك ، كالشعب المصرى • وقد يحدث احيانا ان يكون لبعض النكات تأثير فى الرأى العام اكبر واعمق من تأثير المقالات الصحفية والاحاديث الاذاعية • ولذلك تعني البلاد المعادية دائما بجمع النكات ذات الهدف السياسى • فعلت ذلك انكلترة فى ايام موسوليني وحاولت سنة ١٩٥٦ ـ اى فى اثناء العدوان الثلاثي على مصر ـ ان تستغل بعض هذه النكات فى نقد الاوضاع القائمة فى مصر فاشاعت النكتة التاليه :

« اشترى رجل اقة سمك • وتوجه بها الى منزله • فقالت له زوجته • مفيش زيت « باللهجة العراقية : ماكو دهن » • فذهب الرجل الى البقال ليشترى زيتا • فوجد طابورا من الناس امام البقال ينتظرون وصول الزيت • واخيرا وبعد طول انتظار لم يصل الزيت • فعاد الرجل غاضبا الى منزله وأخذ السمك والقى به فى النيل • فاخرج السمك رأسه من الماء وقال •• يعيش جمال عبدالناصر » •

وبتحليل هذه النكتة والبحث عنها وجد انها اخذت اخذا من الكتاب الذى جمعت فيه النكات التي ترجع الى ايام موسوليني ولم يحدث التغيير الا فى عبارة « يعيش الدوتشى » • فقد حذفت وحل محلها « يعيش جمال عبدالناصر» (١) •

---

(١) من محاضرات القاها الدكتور محمد عبدالقادر حاتم على طلبة قسم الصحافة بجامعة القاهرة •

٢ ـ اسلوب التكرار

وهو من أهم أساليب الدعاية فى الواقع ومن أهم اساليب الاعلان كذلك • ومن أجل هذا لا تكتفي سلعة من السلع فى الاعلان عن نفسها بمرة واحدة فى الصحف او الاذاعة او التلفزيون ولكنها تأخذ فى تكرار الاعلان عن نفسها بكل الوسائل المتقدمة حتى تطمئن الى ان هذا الاعلان قد استقر فى اذهان الناس بصورة عميقة وطويلة الامد •

وكذلك الدعاية السياسية أو الاجتماعية لا غنى لها مطلقا عن التكرار وسيلة من وسائل تثبيت المعلومات في عقول الجمهور فعلى الصحف والاذاعة والتلفزيون وجميع وسائل الاعلام المعروفة أن توالي نشر الموضوعات التي تتصل بانتصارات الشعب ، ومؤامرات الاستعمار وحيله والاعيبه • وعليها ان تقوم بواجب الرد على دعاية السوداء • ولعل اذاعة (صوت العرب) في القاهرة أقوى مثل على ذلك •

٣ ـ الاسلوب الديني

وقد اعتمدت العصور الانسانية كلها تقريبا على هذا الاسلوب • ويكفي ان نذكر الحروب الصليبية ، وما قام به الخطباء الدينيون من الجهد الكبير في مساندة السلطان صلاح الدين الايوبي وأولاده فى هذه الحرب • وظفر صلاح الدين بفتح بيت المقدس • فتزاحم الشعراء لتهنئته في ذلك اليوم ومنهم الشاعر الذي قال :

أترى مناما ما بعيني أبصر ... القدس يفتح والفرنجة تكسر
من كان هذا فتحه لمحمد ... ماذا يقال له وماذا يذخر

واما الخطباء فقد تباروا كذلك فى اذكاء الروح الديني بكلمات لا يتسع المجال لذكرها • وليرجع اليها من اراد في كتاب الروضتين في أخبار الدولتين لابي شامة •

وفي مصر في أثناء العدوان الثلاثي سنة ١٩٥٦ ، كان من الاناشيد الحماسية التي الهبت نفوس الشعب كله نشيد ....

الله اكبر الله اكبر
الله اكبر فوق كيد المعتدي
والله للمظلوم خير مؤيد .. الخ

٤ ـ اسلوب الكذب والاختلاق

وللدعاية في الواقع اساليب غير مشروعة منها اسلوب التحريف والتزييف ، واسلوب الحذف او البتر ، واسلوب الكذب والاختلاق . وقد اعتمد (جي دى موليه) على هذا الاسلوب الاخير فى اثناء العدوان الثلاثي على مصر فأذاع بأن الجيش الفرنسى سيطر سيطرة تامة على مدينة الاسماعيلية . غير انه عقب هذا التصريح الكاذب بساعة ونصف ساعة كان الفرنسيون المقيمون في الاسماعيلية قد ابرقوا الى باريس يقولون ان (جي دى موليه) كذب فيما ادلى به من تصريح .

٥ ـ اسلوب الاستضعاف والاستعطاف

ومن الاساليب الهامة في الدعاية اسلوب الاستضعاف بغية التأثير في نفوس الشعوب والحكومات . وعليه تعتمد الصهيونية كثيرا في نشر دعايتها ضد الدول العربية في ربوع امريكا . وهي الدعاية التي تدافع بها اسرائيل عن كيانها وبقائها فى المنطقة ... ومن ذلك ما تعتمد عليه الصهيونية هناك في اميركا من استخدام عبارات مؤثرة في نفوس الشعب الاميركي مثل قولهم (اعطونا لنعيش) . ومع هذه العبارة رسم لطفل صغير يريد الطعام فلا يجده . وبذلك يستدرون عطف الامريكيين ويستجدون عطاءهم .

٦ ـ الاناشيد والاغانى

وقد ثبت ان هذا الاسلوب من اهم اساليب الدعاية • وكانت تجربة العدوان الثلاثي على مصر من اقوى الشواهد على ذلك • وكما نجحت الدعاية الشعرية في انتصار السلطان صلاح الدين على الصليبيين في العصور الوسطى ، فكذلك نجحت الاغاني والاناشيد الوطنية في نجاة مصر من العدوان الثلاثي •

ويطول بنا القول لو اردنا ان نستعرض طائفة من هذه الاناشيد والاغاني • وقد اشرنا منها الى نشيد (الله اكبر) • ومن هنا اصبح لكبار المغنين في مصر من امثال محمد عبدالوهاب وعبدالحليم حافظ وفريد الاطرش والسيدة أم كلثوم دين كبير فى عنق الوطنية المصرية العربية التي كتب لها النصر فى ذلك الوقت •

٧ ـ الشعارات

والشعارات عبارة عن الكلمات البسيطة التي تصدر عن الزعماء في كل حركة من الحركات السياسية والاجتماعية ثم يرددها الشعب نفسه كما يردد الاغاني والاناشيد القومية • ففي الثورة الشعبية لسنة ١٩١٩ كان من الشعارات التى يرددها الزعيم سعد زغلول قوله « الحق فوق القوة والامة فوق الحكومة » • وقوله « الاستقلال التام او الموت الزؤام » الخ •

ومن الشعارات التي كان يرددها الرئيس جمال عبدالناصر في ثورة سنة ١٩٥٢ وما زال يرددها قوله « ارفع رأسك يا اخي فقد مضى عهد الاستعباد » •••••

ان هذه الشعارات تذكرنا دائما بما كان للاحاديث النبوية الكريمة

من قوة التأثير على المسلمين ـ والقياس هنا مع الفارق البعيد بينهما •

وللرسول الكريم صلى الله عليه وسلم من الاحاديث النبوية ما يقوم مقام هذه الشعارات السياسية أو الدينية • ويزيد عليها كثيرا فى قوة التأثير على النفوس •

ومن ذلك قوله :

« المسلم للمسلم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا » •

وقوله : « الجنة تحت ظلال السيوف » •

وقوله : « المسلم من سلم الناس من لسانه ويده » •

وقوله : « ان الدين متين • اوغل فيه برفق • ان المنبت[1] لا ارضا قطع ولا ظهراً أبقى » الخ •••

٨ ـ اسلوب منطاد الاختبار او جس نبض الرأى العام

ويكون ذلك غالبا عن طريق الشائعات واطلاقها بين الناس فى وقت معين ، ثم القيام بتحليل الرأى العام بالنسبة لهذه الشائعات• فاذا أثبت التحليل نجاحها ذاعت وتكررت • واذا أثبت فشلها عدل عنها الى غيرها وهكذا •

وكثيرا ما تعتمد وكالات الانباء على هذا الاسلوب الاخير من اساليب الدعاية • فتنسب الوكالة كلاما معينا الى شخصية مسؤولة فى احدى الدول صد دولة اخرى • وهنا يحدث هذا التصريح بلبلة فى الافكار لابد ان تقابله الدولة المقصودة بهذا التصريح بمجهود دعائي كبير للعمل على احباطه • وقد يكون جس نبض الرأي العام بطريق مقالة تنشر فى الصحف

---

(١) المنبت : هو الذى انقطع عن اصحابه فى السفر لانه أجهد دابته لكي يسبقهم فنفقت دابته •

حول موضوع معين • فاذا رضى عنه الرأى العام أعلن صاحب المقال - وكثيرا ما يكون رئيس الدولة أو رجلا مسؤولا فيها - انه صاحب الفكرة • واذا سخط الرأى العام فان كاتب المقال يصرح بانه لا يوافق على الفكرة أو الموضوع ايثارا للصالح العام للامة •

عدّ العلماء من أساليب الدعاية هذه ثلاثين اسلوبا • وقد اكتفينا نحن منها بهذا القدر • ذلك ان العبرة من هذه الاسباب والعوامل ليست فى كميتها ولكن فى الطريقة التي تمارس بها •

على ان العقل البشرى يخترع فى كل يوم جديدا من هذه الطرق والاساليب كما سيتضح لنا ذلك بجلاء عند الكلام عن الدعاية النازية ، والدعاية الصهيونية ، والدعاية السوفيتية[1] •

---

(١) رأينا ان نسبق ذلك بالكلام عن نموذج من نماذج الدعاية الاسلامية فى العصر الوسيط - هو الدعاية الاموية - وذلك بعد ان تحدثنا فى كتابنا السابق (الاعلام له تاريخه ومذاهبه) عن الدعاية الفاطمية والدعاية الايوبية •

الفصل الثانى

الدعاية الاموية

من الحقائق التي لا تحتاج الى تدليل ان الاسلام ـ باعتباره دينا ـ لم يحتج الى دعاية وانما احتاج الى اعلام • ولكن الاسلام ـ باعتباره سياسة ـ احتاج الى الدعاية قبل كل شيء • أجل لم يكن الدين الاسلامي بحاجة الى (دعاية) بل كان بحاجة الى (اعلام) • والاعلام هو اذاعة الحقائق والوقائع كما حدثت بصورتها الحقيقية • واما الدعاية فهي فى اجتذاب الجماهير ولو كان ذلك عن طريق الباطل فى بعض الأحايين • والاسلام حق ، والرسول حق ، والقرآن حق (كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) تنزيل من عزيز حكيم •

من أجل ذلك لا يستطيع التاريخ أن يفسر حركة واحدة من حركات الرسول ولا كلمة واحدة من كلماته على أنها دعاية • ولكن يستطيع أن يفسر كل هذه الحركات والخطب والاحاديث النبوية على انها اعلام بأكمل ما تحمل هذه الكلمة من معنى • حتى الشعر الذى كان يلقيه الشعراء بين

يدي صاحب الرسالة ـ كشعر حسان بن ثابت ـ لم يكن من قبيل الدعاية للاسلام ولا لنبي الاسلام لأن الاسلام ونبيه لم يكونا بحاجة الى شيء من ذلك • بل ان القرآن نفسه ذم الشعراء ••• قال تعالى : (والشعراء يتبعهم الغاوون • ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون • وأنهم يقولون ما لا يفعلون)• هذا مع علمنا بأن النبي كان يستمع الى الشعراء ، وكان يثيب بعضهم كذلك • وقل مثل ذلك فى الشرائع والعبادات التي سنها الاسلام كالصلاة والصيام والحج • فلم يكن اجتماع المسلمين للصلاة يوم الجمعة أو فى الاعياد للدعاية أو الاعلان • ولا كان اجتماع المسلمين فى مكة للحج كل عام للدعاية والاعلان • انما كانت هذه الشعائر الدينية تقام لوجه الله تعالى لا للتظاهر أو الفخر أو الزهو وغير ذلك من معاني الجاهلية •

* * *

وانقضى عهد الرسول عليه الصلاة والسلام وتبعه عهد الخلفاء الراشدين وكان فى حقيقته امتدادا لعهد صاحب الرسالة • ولم يستطع التاريخ أن يفسر حركات عمر وعثمان وعلي بن أبي طالب بأنها دعاية • ذلك ان عهد الخلفاء الراشدين كعهد صاحب الرسالة كان يعتمد على (الاعلام) وليس على (الدعاية) • ومن ثم نظر التاريخ الى عصر صدر الاسلام ، على انه العصر الذهبي لهذه الامة الاسلامية ، وذلك من حيث نقاء العقيدة ، واستقامة الطريقة ، وحسن الأمثولة •

ثم ظهرت الدولة الاموية • وبهذه الدولة الجديدة تحولت الخلافة الاسلامية الى حكم استبدادى على غرار الحكم الفارسى المعروف قبل ظهور الاسلام • ومنذ ذلك التاريخ انقسم المسلمون الى فرق دينية كثيرة ، ربما كان أهمها ما يلي :ـ

فرقة اهل السنة ، وفرقة المعتزلة ، وفرقة الشيعة .

واذ ذاك حلّ الخصام بين هذه الفرق محلّ الوئام . واضطربت الحياة الاسلامية ذاتها ولم تعد بحاجة الى الاعلام قدر حاجتها الى الدعاية .

اما مذهب أهل السنة فعليه الكثرة الغالبة من المسلمين فى مشارق الارض ومغاربها . وعليه كذلك الدولتان الاموية ثم الدولة العباسية فى اكثرها .

واما مذهب الشيعة ـ وهم المتشيعون لعلي بن ابي طالب (رض) ـ فقد انتشر في العراق وايران . وعليه كانت دولة كبيرة فى تاريخ مصر هي الدولة الفاطمية .

واما مذهب المعتزلة ـ وهم فرقة دينية بلغت اوجها فى القرن الثالث الهجري ـ فقد تحمس له بعض الخلفاء العباسيين .. واتخذوا الاعتزال مذهبا رسميا للدولة . وكان الكاتب العربي المعروف بالجاحظ اكبر الدعاة لفرقة المعتزلة التي هي فى الاصل احدى فرق السنة ثم استقلت بهذا المذهب . ولكن :

ما هي الاسس التى بنيت عليها الدعاية فى الاسلام ؟

كان الاساس الذى بنيت عليه الدعاية والاعلام عند اهل السنة هو (النقل) لا (العقل) . فكل ما نقل عن القرآن الكريم أو نقل عن الرسول العظيم كان يعتبر قاعدة اساسية للحياة الاسلامية من جميع جوانبها . واما ماعدا ذلك فانه لا يلتفت اليه مهما كان المصدر الذى نقل عنه .

وكان الاساس الذي بنيت عليه الدعاية والاعلام عند الشيعة يختلف باختلاف الفرق الدينية التي تنتمي الى هؤلاء . (فالامامية) من فرق الشيعة تستند في الاعلام والدعاية الى (العقل) . و (الغلاة) من فرق الشيعة يستندون الى

أساس غريب كل الغرابة على أهل السنة • وهـذا الاساس هـو القول (بالعلم الباطن) • وهو العلم الذى زعموا أن علي بن ابي طالب ورثه عن الرسول صلوات الله عليه وسلامه قبـل موته • ثم ورثـه علي ابناءه من بعـده •

اما المعتزلة فقد اشتركوا مع الاماميـة من فـرق الشيعة فى الاساس الذي بنوا عليه اعلامهم ودعايتهم وهو (العقل) • ولكنهم ـ اى المعتزلة ـ زادوا عليهم فى ذلك • ولذا أطلق المؤرخون على المعتزلة ـ بنوع خاص ـ اسم (المفكرين الاحرار) • غير ان هؤلاء المعتزلة وضعوا لأنفسهم قاعدة في غاية الخطورة ، وهي أنهم بنوا اعلامهم ودعايتهم على (الاقناع) فان لم يأت بفائدة فبشيء أخطر من ذلك هو (السيف) • من أجل ذلك تعرضت للسيف رقاب الكثرة من الفقهـاء السنيين الذين خالفوا المعتزلة فى مسائل كثيرة من أهمها القول بخلق القرآن • لنا بعد ذلك أن نبحث فى :

وسائل الدعاية لكل مذهب من المذاهب السابقة

تلك هي الاسس التي بنيت عليها الدعاية فى كل مذهب من المذاهب المتقدمة • اما الوسائل التي مارستها الدعاية فى كل واحـد منها فتتلخص فيما يلي :ـ

كانت وسائل الاعلام والدعاية للقائلين بمذهب أهل السنة هي الكتاب والقصيدة والخطبة على هذا الترتيب • كما كانت وسائل الاعلام والدعاية للقائلين بمذهب الشيعة لا تعدو القصيدة والكتاب والخطبة بهـذا الترتيب المغاير للترتيب الاول بعض الشيء •

واما وسائل الدعاية والاعـلام للقائلين بالاعتـزال فكانت تنحصر فى واحدة فقط هي (المناظرة) بوصفها الطريق للاقناع • وكثيرا ما كانت هذه

المناظرات تجمع فى كتاب ، وكثيرا ما تظهر كتب اخرى فى الرد على هذا الكتاب وهكذا •

ولو بقيت جميع الفرق الدينية على هذه الوسائل التي أشرنا اليها فى ميدان الاعلام والدعاية لهان الأمر ولاستطاعت هذه الفرق أن تكتب أنصع صفحة من صفحات الاعلام والدعاية فى تاريخ الاسلام • ولكن حدث غير ذلك • حدث ان اعتمدت هذه المذاهب كلها بعد ذلك على القوة واستعمال السيف • فقام السيف ـ بتمثيل اشنع مأساة فى تاريخ الاسلام ، على يد معاوية بن ابي سفيان واولاده ـ وذلك بدافع الكراهية الشديدة لعلي بن ابي طالب واولاده • من اجل ذلك روى لنا التاريخ كثيرا من تلك المآسي الاموية التي كشفت لنا عن شيئين هامين هما :ـ

الاسلوب الذى اعتمد عليه بنو امية فى دعايتهم والوسيلة التي نشروا بها تلك الدعاية • اما الاسلوب الذى بنوا عليه اعلامهم ودعايتهم واتخذوا منه حجة على خصومهم فواحد فقط ، وهو اسلوب (النقل) لا (العقل) • ومن ثم عمد الخلفاء الامويون الى طريقة غريبة فى الدعاية ضد الشخصية التاريخية العظيمة التي كانوا يكرهونها من أعماق قلوبهم ، ويرون فيها الخطر كل الخطر على كيانهم ، وهي شخصية الامام علي بن ابي طالب رضي الله عنه •

أجل ـ عمد الخلفاء الامويون الى طرق التحريف والزيف والاختلاق في النقل • وبلغ بهم الاسراف فى ذلك الى حد أنهم حملوا العلماء على الكذب فى تفسير بعض آيات القرآن الكريم تفسيرا يخرج به علياً نفسه عن ساحة الدين ويعتبر به عدواً لله ولرسوله وللمسلمين ؟ ؟ ؟

وكذلك فعلوا ببعض الاحاديث النبوية التي أجروها على ألسنة

بعض الشخصيات المرتزقة ، ورواها العلمـــاء والفقهاء على انهـــا أحاديث صحيحة ، لا لشيء الا لأنها منقولة • والنقل عندهم ـ لا العقل ـ هـــو الاساس • وكان على الخليفة الاموي بعد ذلك أن يعطي هؤلاء وهؤلاء من المال ما يمـــلأ به جيوبهم ، ويفسد به ضمائرهم ، ويبيعون بـه آخرتهـم بدنياهم • كل ذلك ارضاء منهم للخليفة الذى أكل قلبه الغيظ من علي ، والقلق والفزع من اولاده •

عرض لنا التاريخ منظراً من أولى مناظر العداوة بين علي ومعاوية في صورة الخليفة عثمان بن عفان (رض) وهو جالس في بيته يقرأ القرآن ، وقد أُحسَّ بحركة الغدر التي يقوم بها بعض المسلحين لقتله • واذ ذاك بعث الى علي بن ابي طالب بهذا البيت المشهور من الشعر :

اذا كنت مأكولاً فكن أنت آكلي والاّ فأدركني ولمـــاً أمـزق

فبعث اليه علي بن ابي طالب بجماعة من اصحابه وعلى رأسهم ابنـه الحسن • ووقف هؤلاء يحرسون باب الخليفة • ولكن الثوار تسلقوا عليه الجدار ، واستطاعوا أن يقتحموا عليه الدار وطعنه كل واحد منهم طعنة ثم لاذ بالفرار •

ترى ماذا فعل معاوية اذ ذاك ؟ لقد بعث الى المدينة من أتى له بقميص عثمان وعليه دمه ـ فيما زعم ـ وحملوا القميص على علم ، ووصلوا به الى معاوية ففرشه على الارض وجمع اصحابه ، وجلسوا يبكون على عثمان بن عفان ويتهمون علياً بقتله • ثم حدث بعد ذلك من الوقائع الحربية بين علي ومعاوية ما هو معروف فى التاريخ •

والآن نترك هذه الحركة المسرحية البارعة ونستعرض بعض النصوص مما نصطدم به فى هذا المجال الابيات التي رويت عن مقتل الحسين (رض)

ومعاوية ، وتثبت لنا بما لا يدع مجالا للشك ان الدعاية هي التي قتلت علياً فمما تصطدم به فى هذا المجال الابيات التي رويت عن مقتل الحسين (رض) كما وردت فى العقد الفريد :

[.. قتله ـ اى قتل الحسين (رض) ـ سنان بن ابى انس ، وأجهز عليه خولة بن يزيد الاصبحي ، من حمير ، وحزّ رأسه واتى به عبيد الله وهو يقول :

اوقر ركابي فضة وذهبا انا قتلت الملك المحجبا
خير عباد الله اماً وابا

فقال له عبيد الله بن زياد اذا كان خير الناس اماً واباً وخير عباد الله ، فلم قتلته ، قدموه فاضربوا عنقه ، فضربت عنقه][1] .

ثم استمع الى رنة الفرح والشماتة والرضى عن تلك الجريمة وذلك فى قول الشاعر (عمران بن حطان) حيث يقول :ـ

يا ضربة من تقي ما أراد بها إلاّ ليبلغ من ذى العرش رضوانا
إني لأذكره يوما فاحسبه أوفى البرية عند الله ميزانا !!

هكذا نجح بنو امية في دعايتهم ضد علي واولاده وامنوا على انفسهم من كرههم . وساعدهم على ذلك فى الواقع امران لا ثالث لهما :ـ

اولهما ـ تفشي الجهل في الناس وعجز اكثرهم عن التفقه في الدين وفهم المبادىء التي بشر بها الاسلام .

ثانيهما ـ اعتماد العلماء الأمويين من اهل السنة ـ كما ـ اذا صحت الروايات التاريخية المتواترة ـ على اسلوب (النقل) دون العقل . فيكفي ان يشيع بينهم حديث مكذوب فيه ذم للامام علي ـ (كرم الله وجهه) ـ حتى تروي الكثرة من الفقهاء ورجال الدين هذا الحديث دون أن يكلفوا

---

(١) العقد الفريد جـ ٤ ص٣٨٠ـ٣٨١ ط . عام ١٩٤٤ ، القاهرة .

انفسهم جهدا فى تمحيصه أو تحقيقه أو التأكد من صحته • وبذلك فتح أمثال هؤلاء الفقهاء ورجال الدين أمام الخلفاء باب الاختلاق والاكاذيب ، وهان عليهم ان يفسروا بعض الآيات القرآنية تفسيراً مبنياً على الهوى ، بل تفسيراً ليس له من غاية سوى الدعاية السوداء ضد علي وأولاده والقضاء عليهم ماديا ومعنويا وتاريخيا ودينيا ومذهبيا فى وقت معا !!

وقد درج المؤرخون المسلمون في كتبهم على تسمية (الدعاية) باسم السياسة • واستمع الى المسعودي اذ يقول[1] :ـ

« وبلغ من احكام معاوية للسياسة واتقانه لها واجتذاب قلوب خواصه وعوامه ان رجلا من اهل الكوفة دخل ببعير الى دمشق في حال منصرفهم (أي منصرف الامويين) عن صفين • فتعلق به رجل من دمشق فقال : هذه ناقتي أُخذت مني بصفين • فارتفع امرهما الى معاوية • واقام الدمشقي خمسين رجلا يشهدون انها ناقته • فقضى معاوية للدمشقي على الكوفي وامره بتسليم الناقة اليه •

فقال الكوفي •• اصلحك الله ايها الامير انه جمل وليس بناقة •

فقال معاوية •• هذا حكم قد مضى !

ثم دس معاوية الى الكوفي بعد تفرق الجماعة من احضره اليه ثانية • وسأله معاوية عن ثمن البعير ودفع اليه حصته ، وبره ، وأحسن اليه ، قال له :ـ

أبلغ عليا أني أقابله بمائة ألف ما فيهم من يفرق بين الناقة والجمل ؟ ؟ ؟

ان أيسر ما نفهمه من هذه القصة وامثالها ان معاوية ابن ابي سفيان

---

(١) مروج الذهب ج ٢ ص ٧٢ ، المطبعة البهية المصرية •

استغل سذاجة الكثرة الغالبة من المسلمين فى فرض آرائه على الناس وزرع الكره فى قلوبهم لعلي واولاده من بعده ، وفى سقى هذا الزرع بكل ما يملك من وسائل الدعاية السوداء • وهي دعاية مبنية على الاكاذيب والتلفيق ولا شيء غير ذلك •

قيل انه بلغ من امر طاعة أهل الشام لمعاوية انه صلى بهم عند مسيرتهم الى (صفين) صلاة الجمعة في يوم الاربعاء (١)

وتبلغ الدعاية الاموية ذروتها بهذا الاسلوب العجيب من اساليب التشنيع ، وهو وضع الروايات التى تطعن عليا فى اعز ما لديه وهو الدين • ومن ذلك ما رواه الزهرى ان عروة بن الزبير حدثه فقال :ـ

حدثتنى عائشة قالت :ـ

كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ اقبل العباس وعلي • فقال النبي (ص) يا عائشة ان هذين (يشير الى العباس وعلي) يموتان على غير ملتي •

وأخيراً نصل الى اعجب ما رواه التاريخ من ان معاوية بذل (لسمرة بن جندب) مائة الف درهم ليقرأ الاية الكريمة :ـ

(ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو الد الخصام • واذا تولى سعى فى الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل • والله لا يحب الفساد) • ويقول انها نزلت فى علي (٢) وان الاية الكريمة :ـ

(ومن الناس من يشترى نفسه ابتغاء مرضاة الله) قد نزلت فى

---

(١) شرح النهج لابن ابي الحديد • ج١ • ص٣٥٨ •

(٢) جعفر الخليلي ، مقدمته لكتاب عنوانه (الامام على نبراس ومتراس) ، ص ١٧ ـ نقلا عن شرح النهج لابن ابى الحديد •

عبدالرحمن بن ملجم فلم يفعل سمرة ذلك ، فبذل له معاوية مائتى الف درهم فلم يقبل ، فبذل له اربعمائة الف درهم فقبل ؟ .

عندى ان هذه الروايات المتقدمة ربما كانت موضعا للشك . وقد لا يستطيع الباحث ان يؤمن بواحدة منها لانها ـ على اقل تقدير ـ لاتساير الحقيقة ولا الواقع فى شىء . وحسبنا ان ننظر من هذه الروايات كذلك الى الرواية التى تقول :

« حدثني فلان عن فلان ان النبى (ص) لما حضرته الوفاة اوصى ان تقطع يد علي بن ابي طالب عليه السلام » . ان اقل تفكير فى مثل هذه الرواية الاخيرة يجعل المسلم العادى لا يؤمن بها ، مهما كان سندها ، او كان الناقلون لها .

ولو كان البحث الذى نخوض فيه تاريخيا صرفا لرفضا مع الرافضين كل هذه الروايات رفضا باتا ، ولم نستطع ان نبني عليها رأيا . ولكن البحث الذى نخوض فيه موضوعه الدعاية لا التاريخ .

وهنا ـ أى فى هذا المجال الاخير وهو مجال الدعاية ـ يمكننا التعويل على هذه الروايات . ومعنى ذلك اننا لا نستبعد ان نرى الحقد والحفيظة والحرص على الخلافة يحمل بعض بني امية وأولهم معاوية بن ابى سفيان ـ على التلفيق او الوضع على هذا النحو . شأن الامويين فى ذلك شأن الدول الحديثة ـ وخاصة (أسرائيل) ـ حيث نجد هذه الدولة تجبر الصحف العالمية اجبارا على نشر مقالات عدائية ضد العرب ، وتبذل لهذه الصحف كثيرا من الاموال فى سبيل هذه الغاية .

ثم كان من الوسائل العجيبة التى استخدمها الامويون كذلك وسيلة (اختراع الشخصيات) . كما فعلوا باسطورة (عبدالله بن سبأ) التى نسجها خيال رجل من تميم عاش فى عصر الرشيد . واسمه (سيف بن شمر) .

زعم هذا الرجل ان عبدالله بن سبأ يهودى اسلم فى خلافة عثمان بن عفان (رض) ، وانه المصدر الذى صدر عنه كل ما دخل على الاسلام من (الاسرائيليات) ، وهي روايات مختلقة من شأنها زعزعة الثقة بالاسلام . وبقيت هذه الاسطورة المنسوبة الى عبدالله بن سبأ مستورة الى عهد الطبرى ثم نقلها هذا المؤرخ الكبير دون ان يجهد نفسه وعقله فى تحقيقها مع انها نسجت لغاية واحدة فقط هي التشهير بعلي بن ابي طالب (رض) [1] .

وندع (الترغيب) بالمال والجاه والمنصب ـ على حد قول الاستاذ جعفر الخليلي ـ وننظر الى (الترهيب) بالسيف والعزل والسحق والمصادرات ونحو ذلك فنجد لهذه الدعاية الاموية صفحة سوداء ملطخة بالدم لا ينظر اليها المؤرخ الا وشعر نحوها بشيء كثير من الالم والنفور . واذا اراد المؤرخ ان يتخفف من هذا الشعور فلا سبيل الى شيء من ذلك الا الشك فى جميع الرويات من اولها الى آخرها . ولكن من اين له هذا الشك وكتب التاريخ تؤيد هذه الروايات وتزيد عليها ، وتحفل بها وتأبه لها .

ومثل هذه الصفحة السوداء للدعاية الاموية وربما احلك منها كانت للخليفة المنصور من خلفاء الدولة العباسية . فقد روى لنا التاريخ من بطش هذا الاخير بأولاد علي وبالموالى ممن يدينون بمذهب الشيعة وحب ال البيت ما تقشعر له الابدان ويندى له جبين الاخلاق وتذوب الانسانية خجلا من النبي (ص) يا عائشة ان هذين (يشير الى العباس وعلي) يموتان على غير ومنسوبة الى شخص واحد فقط هو المنصور ؟ .

ولكن لماذا لجأ الخلفاء الامويون الى كل هذه الضراوة والوحشية فى

---

(١) راجع السيد مرتضى العسكرى فى كتابه (عبدالله بن سبأ) . ولعله خير من عالج هذه القضية التاريخية الى اليوم .

معاملة العلويين؟ لقد فعلوا ذلك لشعورهم بالمنزلة الكبيرة التى للعلويين فى قلوب الشعب الاسلامي ، ولاحساسهم بالفرق الكبير بينهم وبين العلويين من هذه الناحية • وسنرى بعد قليل كيف ان هذا الشعور كان يخالج العباسيين انفسهم ايضاً برغم أنهم ينتسبون الى العباس عم النبي (ص) •

هنا نسأل انفسنا هذا السؤال :ـ

ما هو الاثر الذى تركه هذا التوحش من قبل الخلفاء الامويين فى نفوس الشعب ؟ الحق ـ لقد كان هذا الاثر عظيما ورهيبا وعميقا فى وقت معا • فمن ذا الذى يجروء بعد ان يرى ويسمع بمثل هذه الوحشية ان يقول شيئا او يكتب شيئا او يسلك سلوكا يثير الريب فى نفس الخليفة او الوالى او الامير ؟

وما دمنا نذكر (الترهيب) باعتباره وسيلة من وسائل الدعاية الاموية فلا ينبغى ان ننسى كلا من (زياد بن ابيه والحجاج) ، وما فعله كل منهما بأهل العراق حتى أخافوهم وأرهبوهم وملاؤا قلوبهم بغضا وحذرا من كيد الخلافة الاموية • وقد روينا لك ايها القارىء طرفا من هذه الافعال التى نسبت الى زياد والحجاج على سبيل الدعاية للدولة الاموية وهى الدعاية التى كان يمارسها العرب فى العصر الوسيط •

ووصل بنا الحديث عن هؤلاء الولاة العتاة من قبل الدولة الاموية الى الحديث عن ذلك الوالي الذى صعد المنبر وخاطب أهل العراق قائلا لهم :

بلغني انكم كنتم تلقبون ولاتكم بألقاب تعرفونهم بها • الا ـ وان لي لقبا ستعرفوننى به دائما • فانا الجزار ؟؟ ثم نزل •

غير ان هذه الدعاية الاموية التى نجحت نجاحا باهرا فى الشام ـ مقر

الخلافة ـ كان لها رد فعل فى الاقطار الاسلامية الاخرى • ومنها العراق وايران • وهذا هو السبب الذى من اجله ظهر (الغلاة) من الشيعة • وهم الذين ألهوا علي بن ابي طالب ـ اعني خلعوا عليه صفات الالوهه ـ واضافوا اليه « كل معجزة لم يستسغ العقل نسبتها الى الانبياء ، فكيف نسبتها الى الخلفاء [1] »•

الدعاية السرية وحادث قيام الدولة العباسية

هذا مثال آخر من امثلة الدعاية الاسلامية التى قامت بها الخلافة الاموية • واليك مثلا آخر من امثلة الدعاية الاسلامية نجده بوضوح فى قيام الدولة العباسية بعد **سقوط الدولة الاموية** •

« ونحن نعرف ان الدولة الاموية كانت تميل الى العرب وتكره الموالى من الفرس • كما نعرف ان الموالى اغضبهم ذلك واسروا فى انفسهم شرا للعرب ، وتواصوا فيما بينهم على قلب الدولة الاموية العربية النزعة • وكان اكثر هولأء الموالى اذ ذاك من الشيعة الذين عرفوا بحب آل البيت فقالوا فيما بينهم : نطالب بالخلافة للعلويين • وحجتهم فى ذلك ان العلويين احق الناس بالخلافة واحقهم بوراثتها عن النبي •

وبدأوا دعوتهم سرا ـ لم يكن يعلم بهم احد فى اول الامر • ولكن نفرا من العباسيين علموا ذلك السر ، واحبوا ان يلعبوا هذا الدور السياسى : فأخذوا يتملقون للموالى من الفرس • واستطاعوا ان يتألفوا زعماءهم ، وان يشتركوا معهم فى مؤامرتهم • وخدعوهم يومئذ عن انفسهم بهذه الحيلة •

---

(١) جعفر الخليلي ، المقدمة لكتاب الامام علي نبراس ومتراس ، ص١٠ •

وهي أنهم قالوا للموالى .. اننا ندعو مثلكم لال البيت » ؟

ولكن من هم آل البيت ؟

اما الفرس فيعنون بال البيت ابناء علي . وأما العباسيون فيعنون بآل البيت أبناء العباس عم النبي . وبقى كل فريق يضمر فى نفسه ما يعنيه . وسارت الدعوة فى طريقها السرى البحت حتى تجاوزته الى طريق العلن البحت وهنا فقط اظهر العباسيون انهم يقصدون انفسهم بآل البيت . ورأى زعيم الموالى اذ ذاك (ابو سلمة الخلال) ان الدعوة صائرة ـ على ما يكره ـ الى بني العباس وليست الى اولاد علي . فأبطأ أول الامر فى اعلان الخلافة . وتلكأ فى مبايعة السفاح . بل انه حبس السفاح هذا فى بيته شهرين كاملين . وحظر على الناس مقابلته وطفق فى اثناء ذلك يراسل بعض العلويين ويطلب اليهم ان يسرعوا فى قبول الخلافة (١) .

وعبثا حاول هذا الزعيم ان يسلم الخلافة لرجل من العلويين . بل ان احدهم ـ وهو عبدالله بن محمد ـ اخذ الرسالة التى وصلته من سلمه بن الخلال واحرقها بالنار وانشد قول الكميت :ـ

أيا موقداً ناراً لغيرك ضوؤها ويا حاطبا فى غير حبلك تحطب !

وهكذا نرى ان الدعاية السرية بوجه خاص لعبت دورها فى هذه الحادثة التاريخية الكبيرة التي هي سقوط دولة الامويين وقيام دولة بني العباس .

ومن يتتبع تاريخ الطبرى وابن الاثير يستطيع ان يقف على تفاصيل هذه الدعاية السرية ، وان يرى فيها مثلا من امثلة الدعاية العباسية التى نجحت فى بلوغ غايتها كما نجحت الدعاية الاموية سواء بسواء .

---

(١) عبداللطيف حمزة : ابن المقفع . الطبعة الثالثة ص ٤٤ـ٤٥ .

ولكن اين كان بنو أمية في أثناء هذه الحركة الضخمة التى دبرت فى الخفاء ؟ يظهر أنهم لم يحسوا بهذه الحركة الا فى وقت متأخر • تدلنا على ذلك ابيات لاحد شعرائهم يقول فيها : •

أرى خلل الرماد وميض نـــار ... ويوشك أن يكون لهـام ضرام
فـأن النـار بالعـودين تـذكى ... وان الحرب أولهـا كـــلام
وان لم يطفهـا عقـلاء قـــوم ... يكون وقـودهـا جثث وهـــام
أقـول من التعجب ليت شعرى ... أ أيقاظ أميـــة ام نيـــام ؟
فان كانوا لحينهمـو نيـــامـــا ... فقل : قـوموا فقد حان القيـام

الحق أننا بحاجة ماسة الى أن نعيد النظر فى تاريخ الدول الاسلاميـة من زاوية اعلامية • واذ ذلك فقط نستطيع أن نصل الى كثير من الحقائـق عن الاعلام العربى الاسلامي وعن الدعاية العربية الاسلامية •

الفصل الثالث

الدعـاية الصهيونيـــة

لعل اول تفكير فى انشاء وطن قومي لليهود كان عقب طرد الرومان لهم وقتل عدد منهم لا يقل عن ٦٠٠ الف يهودي وذلك فى ســـنة ١٥٣ للميلاد •

ومن الثابت انه فى سنة ١٨٨٢ ميلادية اعلن اقطاب اليهـود تأسيس الحركة الصهيونية وذلك على اثر مذبحة اخرى لليهود حدثت فى روسيا •

ومنذ ذلك التاريخ بدأت الدعاية الصهيونية بتشويق اليهود الى العودة الى (ارض الميعاد) • وشاعت بينهم شعارات فعالة مثل قولهم « من سار اربعة امتار فى ارض فلسطين خصه الله بمكان فى الجنة » ومثل قولهم « اولى بك ان تعيش فى صحراء فلسطين من ان تسكن قصرا عظيما فى بـلاد بعيـــدة عنها » • وربما كان اول مؤتمر عقد للنظر فى عودة اليهود او فى تقريـر العودة الى فلسطين هو مؤتمر (بازل) الذى تم فى عام ١٨٩٧ •

ومنذ ذلك التاريخ واليهود يحاولون كسب الدول الكثيرة الى جانبهم• فعلوا ذلك مع المانيا وروسيا وانجلتره • وكانت انجلترا هي الدولة الوحيدة التى مدت اليهم يد المساعدة وفيها صدر وعد بلفور المشهور فى سنة ١٩١٧ وذلك بانشاء وطن قومي لليهود فى فلسطين • فاعتبر اليهود ذلك نصرا كبيرا لهذه القضية • وتأسست اول جامعة عبرية فى فلسطين فى شهر يوليه (تموز) سنة ١٩١٨ • وبقيت انجلتره الى اليوم وراء فكرة الوطن القومي لليهود • ثم تحولت الصهيونية بعد ذلك من انجلتره الى الولايات المتحدة • وكسبت الصهيونية هذه الدولة الكبيرة الى جانبها • واعتمد الصهيونيون فى دعايتهم التى قاموا بنشرها فى الولايات المتحدة على قتل هتلر للكثيرين منهم • وكذلك استغلت الدعاية الصهيونية فى الولايات المتحدة اصوات اليهود فى الانتخابات الاميريكية •

وفى نوفمبر ـ تشرين الثاني ـ سنة ١٩٤٧ وافقت الجمعية العامة للامم المتحدة على قرار تقسيم فلسطين • وفى ١٤ مايو (آيار) سنة ١٩٤٨ اعلن عن قيام دولة اسرائيل واعترفت بها الولايات المتحدة قبل غيرها من الدول •

اهداف الحركة الصهيونية

لاشك ان الهدف الاول للحركة الصهيونية هو السيطرة على العالم كله ، ومعنى ذلك ان مطامع الصهيونية لا تقف عند فلسطين (او اسرائيل) ولا تقف عند الحدود بين الفرات والنيل ، ولا تقف عند البلاد الاسيوية الافريقية • ولكنها تمتد الى العالم كله • وتستند الصهيونية فى ذلك الى (التلمود) ـ وهو لفظ معناه التعاليم الصهيونية كما تستند الصهيونية كذلك الى مرجع آخر هو (بروتوكول حكماء صهيون) • وتستند ايضا على

المؤتمرات السرية التى تعقدها الصهيونية العالمية .

وفي (التلمـــود) «انه يجب على كل اسرائيـلي ان يبـذل كل جهده فى ان يبقي السلطة للاسرائيليين اينما حلوا وفى اية جهة استقروا من جهات الارض » .

وتتلخص الخطة الصهيونية ـ كما يؤخذ ذلك من الاجتماع السرى لحاخامات اوربا الذى عقد فى بودابست عام ١٩٥٤ ـ فى النقط التالية :

١ ـ اشعال نار حرب عالمية ثالثة تؤدى الى سيطرة الصهيونية عـلى العالم أجمع .

٢ ـ اتساع هوة الخلاف بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي .

٣ ـ اعتبار زعماء الدولتين مجرمي حرب .

٤ ـ القضاء على جميع الاجناس الاخرى غير اليهود . (١)

والفرق كبير فى الحقيقة بين اليهودية والصهيونية . فاليهودية تقول عـن نفسها انها دين فقط . واما الصهيونية فتقول عن نفسها انها ديـــن وقومية فى وقت معا . ومن هنا يأتي الخطر من هذه الاخيرة . ومن هنـــا كذلك وجدت مراكز لهذه الحركة الخطرة فى كل من : اميريكا ، وبريطانيا وفرنسا ، وجنوب افريقيا .

وكل هذه المراكز الرئيسة تقوم بعمل واحد هو توجيه النفـــوذ الصهيوني فى جميع دول العالم تقريبا ، وذلك عن طريق السيطرة التامة ـ قدر المستطاع ـ على جميع وسائل الاعلام فى كل دولة .

وللدعاية الصهيونية وسائلها فى المجال الخارجى ووسائلها كذلـك فى المجال الداخلى . وسنتحدث عن كل من المجالين على حدة :

---

(١) محاضرات الدكتور عبدالقادر حاتم لطلبة كلية الاداب بجامعـــة القاهرة .

وسائل الدعاية الصهيونية
فى العالـم الخارجي

اولا ـ المجلس الصهيوني الامريكى

ويتألف من ست لجان هي: ـ

١ ـ لجنة الصحافة • ومهمتها جمع المواد الصحفية من شتى انحاء العالم ، ويتصل بهذه اللجنة مكتب للبحوث من عمله اعداد المـواد التى تكتب للرد على اى هجوم يقصد به الصهيونية • ومن عمل هذا المكتـب ايضا انه يعطى رأيه فى الكتب الجديدة ، وينبه على ما فيها من اخطاء من وجهة نظر الصهيونية • ولهذا المكتب ـ فوق ذلك ـ ان يتدخل فى اعداد بعض المواد الخاصة بالكتب المدرسية فى موضوع اسرائيل •

٢ ـ لجنة التلفزيون • وعملها اعداد المواد الهامـة للتلفـزيون ، والاتصال بالقادة الكبار وتنظيم الاحاديث والمقابلات ، والرد على الدعايـة المضادة • وليس عجيبا ان ترى التلفزيون الامريكى لذلك يخصص برنامجا اسبوعيا لكبار الكتاب الامريكيين للقيام بدعاية سافرة لاسرائيل •

٣ ـ لجنة للاذاعة تقوم بمثل هذه الاعمال الخاصة بالتلفزيون •

٤ ـ لجنة للشؤون الدينية •

٥ ـ لجنة للشؤون الاجتماعية •

٦ ـ لجنة للعلاقات العامة •

تحدث الدكتور عبدالقادر حاتم الى طلبة قسم الصحافة فـى جامعـة القاهرة قال :

« اتى الى القاهرة صحفي امريكي كان مراسلا لجريدة النيويـورك تايمز • واسمه مستر (كنت) • وحاول ان يأخذ حديثا من الرئيس جمال

عبدالناصر سنة ١٩٥٥ • والح في طلب هذا الحديث حتى حصل عليه وبعث به الى الجريدة • واخذنا ننتظر ان يظهر الحديث في جريدة النيويورك تايمز فلم يظهر بها • فسألنا المراسل الصحفي عن ذلك ـ وكان صحفيا جريئا حرا ـ فأطلعنا على نفس البرقية التى ارسلها لصحيفة (النيويورك تايمز) متضمنة حديث السيد الرئيس من اوله الى آخره • وبعد ذلك ارسل الصحفي الى الجريدة مهددا اياها بانها اذا لم تنشر هذا الحديث في بحر اسبوع فلا بد ان يكتب استقالته في نهاية هذه المدة • ومرّ الاسبوع ولم تنشر الحديث ، فارسل استقالته الى الجريدة • ثم قال الدكتور حاتم •• بقي ان تعرفوا ان رئيس تحرير الجريدة المذكور رجل اسمه (سالز برجر) وهو رئيس المجلس الصهيوني الامريكي في نيويورك »• (انتهي حديث الدكتور حاتم) •

واغرب من هذا وذاك ان الاساتذة الذين يدرسون التاريخ الاسلامي في جامعات امريكا كلهم من اليهود • وكذلك الشأن في الجامعات الانجليزية ذاتها •

وهذا الذى يقال عن الصحافة من وسائل الاعلام يقال مثله تماما عن السينما •

والسينما في الواقع من اقوى اسلحة الدعاية الصهيونية في الوقت الحاضر • وهي لذلك تعرض الافلام التي تؤيد قضية الصهاينة ومن مثل هذه الافلام رواية عنوانها (الخروج) وهي رواية او كتاب في غاية القوة • ولا تكتفي الصهيونية بذلك بل انها تعبث بالقصص والمسرحيات القديمة مثل مسرحية (تاجر البندقية) للشاعر الانجليزي شكسبير • وفيها شخصية (شيلوك) اليهودي • وقد اظهره شكسبير بمظهر الرجل الشره الى المال والخالي في الوقت نفسه من أي معنى من معاني الرحمة • فما

زالت الصهيونية بهذه المسرحية حتى عرضت شخصية (شيلوك) بالصورة التي تدعو الى الاعجاب به لا الى التأذى منه • فاذا اضفنا الى ذلك كله ان للصهيونية العالمية حتى الآن ما لا يقل عن (٨٩٥) صحيفة فى جميع انحاء العالم • عرفنا الى أي حد بلغت الدعاية الصهيونية من القوة ومن الخطورة•

ثانيا ـ الهستتروود

والهستتروود او الاتحاد العام للعمال جهاز خطير يسيطر على الحركة العمالية في العالم كله بصفة عامة ، وفي امريكا بصفة خاصة • وقد بنى سياسته على مبادىء منها :ـ

١ ـ الاشتراك في الاتحادات العمالية الدولية العامة •

٢ ـ تمثيل الهستتروود تمثيلا حقيقيا فى الاتحادات العمالية وفي اجهزتها الرئيسة •

٣ ـ ايجاد علاقات عامة مع اكبر عدد ممكن من الاتحادات العمالية في العالم كله •

٤ ـ التركيز على الحركة العمالية في الدول النامية (المتخلفة) وخاصة ما كان منها في القارة الافريقية •

واما وسائل الدعاية التي يقوم بها الهستتروود فلا تكاد تخرج عما يلي :ـ

١ ـ انشاء مراكز عمالية كبيرة تحمل اسماء زعماء امريكيين مشهورين او رؤساء لاتحادات عمالية في اميركا •

٢ ـ منح جائزة باسم الهستتروود يقال لها جائزة (الانسانية) لاحد رؤساء الجمهورية الاميركية او لشخصية لها مثل هذه المنزلة •

٣ ـ انشاء المعهد الافريقي الآسيوي للدراسات التعاونية العالمية ومدير هذا المعهد في اسرائيل ذاتها هو السفير الاميركي في لندن • ومهمة

هذا المعهد تدريب القادة النقابيين في كل من آسيا وافريقيا • ويركز الهستدروت جهوده في هذا السبيل على الدول الاسلامية بدعوى ان النزاع قائم بين الصهيونية والدول العربية وليس قائما بين اليهود والديانة الاسلامية وبهذه الطريقة يحول الهستدروت بين الجمهورية العربية المتحدة وبين الدول النامية في افريقيا فلا تصل اليها الجمهورية العربية المتحدة بثقافتها ودعاياتها ومنتجاتها الا بشق الانفس • وتضاف الى الوسائل المتقدمة كلها وسائل اخرى لم نرد ان نذكرها لشهرتها كالصحف والراديو والسينما والتلفزيون ونحو ذلك •

ثالثا ـ المؤتمرات الاشتراكية الدولية :

اجتهدت الصهيونية في ان تصل بينها وبين الدول الاشتراكية واصبح (بن جوريون) نفسه عضوا في هذه الاشتراكية الدولية منذ سنة ١٩٢٩ • ولهذا السبب تعطف الاشتراكية الدولية كثيرا على الصهيونية • وقد اشتركت اسرائيل في المؤتمرات الاشتراكية الآتية •••

١ ـ مؤتمر حيفا في السابع والعشرين من ابريل (نيسان) سنة ١٩٦٠ • وفيه اظهر كل من (هيو جيتسكل) زعيم حزب العمال البريطاني و (جي دى موليه) رئيس الوزارة الفرنسية تأييدهما الكامل لاسرائيل •

٢ ـ مؤتمر امستردام في التاسع من سبتمبر (ايلول) سنة ١٩٦٣ ، وهو المؤتمر الذى دعا الى نزع السلاح في منطقة الشرق الاوسط •

وهكذا استطاعت اسرائيل ان تقنع الدول الاشتراكية كلها بأنها المجتمع الاشتراكي الوحيد في وسط دول ديكتاتورية عربية • وانها همزة الوصل بين الاشتراكية الاوربية والاشتراكية في كل من آسيا وافريقيا • وهكذا اتخذت الصهيونية من الاشتراكية وسيلة للتغلغل في آسيا وافريقيا •

رابعا ـ معسكرات الشباب

وتسميها الصهيونية (الناحال والحتناع) • وكلمة (ناحال) معناها الشباب الطلائعي المحارب • وكلمة (الحتناع) معناها (الاعداد) بكسر الهمزة •

والقصد من هذه المعسكرات اعداد الشباب من الجنسين معا قبل سن التجنيد للتعود على الحياة العسكرية قبل الانضمام الى الجيش • وتقيم الصهيونية هذه المعسكرات لا فى داخل اسرائيل فقط بل فى كثير من البلاد فى خارجها •

* * *

يضاف الى هذه الوسائل المتقدمة كلها وسائل اخرى تمارسها الصهيونية ايضا في المجال الخارجي • ومنها ـ على سبيل المثال ـ المساعدات الفنية والمنح الدراسية التي تمنحها اسرائيل لبعض الدول النامية في القارة الافريقية ، بحجة التشابه في الاحوال الاجتماعية بينها وبين هذه الدول النامية او المتخلفة ، وبحجة ان هذه الدول في حاجة الى التجربة التي مرت بها اسرائيل حتى وصلت الى ما هي عليه • ولذلك وجدنا اسرائيل تمد هذه الدول النامية بما لا يقل عن مائة وخمسين خبيرا فيالمدة بين سنتي ١٩٥٨ـ ١٩٦٣ وبنحو ٤٥٠ خبيرا في النصف الاول من عام ١٩٦٤ • وقدبلغ عدد المبعوثين الى اسرائيل بين عامي ١٩٥٨/١٩٦٤ اكثر من ٧٥٠٠ طالبا وطالبة من اكثر من ٨٠ دولة •

ومن وسائل الصهيونية في المجال الخارجي كذلك تنظيم الزيارات التي يقوم بها كثير من الشخصيات الكبيرة او المرموقة في كل من افريقيا واسيا الى اسرائيل ، حتى لقد قال رئيس وزراء نيجيريا الشرقية يوما « انني أعد نفسي اسرائيليا » •

ثم من هذه الوسائل التي تمارسها اسرائيل فى المجال الخارجي كذلك الدعاية السياحية • وقد بلغ عدد المكاتب السياحية الاسرائيلية فى شهر تموز (يوليه) سنة ١٩٦٥ اثني عشر مكتبا فى كل من اوربا والامريكتين •

ومن ذلك ايضا تنظيم رحلات كثيرة للطلبة الاسرائيليين الى الخارج وللطلبة الاجانب الى اسرائيل ••• ويتفق مع هذه السياسة السياحية الاكثار من بناء الفنادق في اسرائيل حتى بلغت الى الآن ٩٦٣ فندقا •

ومن الوسائل التي تمارسها اسرائيل فى المجال الخارجي كذلك الاهتمام الكبير بالمعارض • والعناية فى هذه المعارض بالنشرات واللوحات البيانية والاحصائية والافلام • وقد حدث مرة ـ كما سبق ان ذكرنا ذلك ـ ان نشر الجناح الاردني فى معرض نيويورك ابياتا شعرية تقص قصة اللاجئين باللغة الانجليزية • فما زالت الدعاية الصهيونية بهذا المعرض الدولى الكبير حتى نزعت هذه اللوحة الاردنية من المعرض •

وبالرغم من كل هذه الامكانيات التي للدعاية الصهيونية فى شتى انحاء العالم فانها لا تستحي من استخدام طريقة الاستجداء واظهار الضعف امام الدول الكبرى لتكسب عطف هذه الدول عليها • من ذلك انها تستخدم كثيرا من الشعارات الغريبة فى جمع التبرعات من الجمهور الامريكي ومنها على سبيل المثال :

« ادفع دينارا تقتل عربيا » •

وذلك كله فضلا عن اتهام الثورة المصرية فى الجمهورية العربية المتحدة بانها « نازية ناصرية » • وبأن العرب يريدون الحرب دائما • اما اسرائيل فانها تريد السلام •

وسائل الدعاية الصهيونية فى المجال الداخلى

تعتمد الدعاية الصهيونية فى داخل اسرائيل على وسائل كثيرة وكلها معروفة منها :

اولا ـ وسيلة الصحف وهي صحف حزبية عديدة • والسبب فى ذلك تعدد عناصر الاسرائيليين • وتصدر الصحف هناك باثنتي عشرة لغة ويبلغ عدد الصحف الاسرائيلية الى الآن ثلاثا وعشرين صحيفة صباحية وصحيفتين مسائيتين • وهناك رقابة مفروضة على الصحف • وفى شهر مارس (آذار) سنة ١٩٦٢ صدر قانون للسيطرة على الاعلام الاسرائيلي وهو قانون استبدادي يهدف الى تكميم الصحافة • ومن أهم الجرائد هناك ، جريدة اليوم ، وجريدة الاتحاد ، وجريدة المرصاد ، والاخيرة صحيفة شيوعية قومية شبيهة بالصحف الشيوعية التي تعبر عن آراء تيتو • ومن الصحف الاسرائيلية ما ينادي بتصفية الصهيونية وتأليف كتلة من اسرائيل والبلاد العربية ، لا تكون قاعدة ن قواعد الاستعمار كما هو الحال فى تل ابيب • وهناك صحيفتا (معارى) و (دافار) وهما اوسع الصحف من حيث الانتشار •

ثانيا ـ الاذاعة :

وهي تتبع مجلس الوزراء مباشرة وتعتبر لسان حزب المابای ، وان كانت الاحزاب الاخرى تضيق بذلك • وتتنوع برامج الاذاعة فمنها البرامج الموجهة ، ومنها البرنامج العربي • ومنها برنامج الجيش وهكذا •

ثالثا ـ السينما والمسرح :

وهما خاضعتان كذلك لمجلس الوزراء •

ويعتبر مسرح (الهابيما) اقدم المسارح هناك • انشىء سنة ١٩٢٦ •

وتقوم السينما والمسرح على طمس الثقافة العربية والتاريخ العربي والقضاء على النزعة العربية ومحاربة الفنون العربية فى الرقعة العربية من اسرائيل. وتعتبر الطائفة العربية الاسلامية فى تل ابيب وغيرها من المدن طابورا خامسا . وتستهدف السياسة هناك تهجير العرب المقيمين باسرائيل وانحلال الاقلية العربية .

اما المهاجرون الجدد من الصهاينة الى تل ابيب فان لهم دعاية موجهة تقوم بها الاذاعة . والغرض منها تحبيب هؤلاء المهاجرين فى الوطن الجديد وتيسير حياتهم فيه . وكذلك تفعل البرامج الخاصة بالجيش فانها تعني برفية حال الجنود ، كما تعني بتوعيتهم وتوجيههم .

وتسيطر اسرائيل على كثير من محطات الاذاعة وعلى ما يذاع فيها من انباء تأتي من القاهرة ولبنان وبعض البلاد العربية الاخرى . ولذلك نجد ان بعض الموظفين فى اذاعات الدول الاستعمارية اما من اليهود واما من الموظفين الذين اشترتهم اسرائيل بالمال . وبذلك تأتي الاخبار عن اسرائيل مشجعة للمواطنين فى تل ابيب وغيرها من المدن الاسرائيلية .

ومن الوسائل التي تمارسها اسرائيل فى المجال الداخلى كذلك العناية التامة بالنوادى التي تضم العدد الكبير من الصهيونيين وتلقي فيها المحاضرات التي تعتبر جزءا من الدعاية الصهيونية .

ومن هذه الوسائل كذلك العناية بلعب الاطفال والحرص على أن يكتب على كل لعبة منها عبارات قوية الايحاء مثل قولهم « الى اللقاء فى اورشليم » وقولهم « من النيل الى الفرات » ونحو ذلك .

* * *

وبالرغم من تنوع الاساليب التي تتبعها الدعاية الصهيونية ، وبالرغم

من تعدد الوسائل التي تستعين بها للوصول الى الغاية فان اسرائيل لا تسمى كل هذه الجهود « دعاية » • ولكن تسميها « اعلاما » • وهي تدرك ادراكا تاما هذا الفرق الكبير بين اللفظين • وكما يقول (صمويل هالبرن)[1] •

« ليس هناك جماعة هادفة تعترف بانها تمارس نشاطا دعائيا • ونتيجة للدلالات غير المستحبة التي ينطوى عليها لفظ الدعاية فى اللغة الدارجة فان استخدام الدعاية لا يلصق دائما الا بالخصوم » •

ولا يخرج الصهيونيون عن هذه القاعدة العامة • فهم يقومون بضروب واسعة النطاق من النشاط فى مجال الدعاية • ولكنهم لا يتحدثون عنها على انها دعاية •

مشروع اعلام عربى موحد لمكافحة الصهيونية

مما لا شك فيه ان الدعاية الصهيونية لا يبطلها غير الاعلام العربي ، ويقوم هذا الاعلام العربي على نشر الحقائق ودحض الاكاذيب •

وتكون الجهود العربية فى هذا السبيل من نوع الاعلام وليس من نوع الدعاية •

ومما لاشك فيه ايضا ان الهدف من حركة الاعلام العربي هو التأثير على الرأي العام العالمي وتصوير اسرائيل دائما بصورة المعتدى على حقوق العرب اللاجئين فى العودة الى وطنهم ، واثارة الشعور الانساني في الجماهير من هذه الناحية •

ومهما يكن من شىء فلابد لهذه الحركة الاعلامية العربية من اهداف فى داخل الوطن العربي واهداف فى خارج هذا الوطن أو بمعنى آخر •••

---

(١) فى كتابه :
The Political Words of American Zionist P. 254.

هناك طرق لمكافحة الدعاية الصهيونية لابد ان تسلكها حركة الاعلام العربية. وحسبنا هنا أن نشير اولا الى الاسس التي يبنى عليها الاعلام العربي فى مكافحة الصهيونية :

اولا ـ الدراسة الدقيقة للعقلية الصهيونية والعقلية الاوربية والعقلية الامريكية ما دمنا ـ نحن العرب ـ نهدف الى اقناع هؤلاء جميعا بوجهة نظرنا وعدالة قضيتنا • ويتبع ذلك بطبيعة الحال دراسة دقيقة لاساليب الدعاية الصهيونية ووسائل هذه الدعاية •

ثانيا ـ الارتفاع بمستوى المجهود العربي فى مكافحة الدعاية الصهيونية الى مستوى الاعلام الصهيوني ـ ولا نقول الدعاية الصهيونية ـ ونحن نعرف الفرق بين الاعلام والدعاية • فالدعاية هي محاولة التأثير فى عقول الجماهير وسلوكهم عن طريق الاستهواء النفسي • اما الاعلام فهو ـ كما قلنا ـ تزويد الجماهير بالمعلومات الصحيحة والحقائق الثابتة بقصد اقناعهم باتجاه معين أو بفكرة معينة • ومن هنا اصبح الاعلام هو الطريق السليم والوحيد لمكافحة الدعاية • وذلك ما قصدنا اليه من القول بأننا نريد أن نرتفع بمجهودنا العربي الى مستوى الاعلام الصهيوني • ولا نريد أن ننحدر بهذا المجهود الى مستوى الدعاية الصهيونية ـ تلك الدعاية التي لم تستح يوما ما من التزييف والخداع الى حد أنها استخدمت اغلفة المجلات المصرية ـ كمجلة روز اليوسف ـ فى اصدار مجلات صهيونية مكتوبة باللغة العربية لمحاربة القضية العربية !!

ثالثا ـ مرونة الخطة الاعلامية العربية بحيث يمكن تغييرها من وقت لآخر حسب الحاجة • ويكون ذلك باشراف جامعة الدول العربية •

رابعا ـ الحرص كل الحرص على نجاح الوحدة العربية ما دامت

هي العامل المهدد للكيان الاسرائيلي والطريق الى ازالتها من المنطقة العربية.

خامسا ـ العمل على ايجاد وحدة اعلامية بين الدول العربية . والحق ان هذه الوحدة الاعلامية لا تقل شأنا عن الوحدة العسكرية او الوحدة الثقافية او الوحدة الاقتصادية . تلك هي الاسس الخمسة لمشروع الاعلام العربي الموحد . وينبثق عن هذه الاسس جميع الجهود الاعلامية بعد ذلك . وهي كثيرة ومتجددة نورد أمثلة منها على النحو التالى :

١ ـ السيطرة التامة على اجهزة الاعلام فى الدول العربية ووضع سياسة اعلامية موحدة لهذه الاجهزة .

٢ ـ انشاء شركة موحدة كذلك لانتاج الافلام السينمائية لصالح القضية العربية .

٣ ـ تشجيع الادباء والكتاب على تأليف القصص الهادفة على نحو ما فعلت اسرائيل فى مثل قصة « الخروج » . وتشجيع الشعراء كذلك على تأليف الاناشيد الحماسية ليقوم المغنون بأدائها كما حدث ذلك فى أيام العدوان الثلاثي على مصر .

٤ ـ الاكثار من المؤتمرات الصحفية لتفنيد مزاعم اسرائيل . وهي المزاعم التي سنشير الى بعضها فى نهاية هذا الفصل .

٥ ـ الاعتماد على الخطب فى اماكن التجمع العام كالمسجد والكنيسة والنادي والمدرسة .

٦ ـ ابراز مشكلة الاقليات واظهار اسرائيل بمظهر المعتدى على العرب وعلى ممتلكاتهم . ويتصل بذلك :

أ ـ ابراز مشكلة اللاجئين العرب وافهامها للعالم الغربي .

ب ـ ابراز الاختلاف الظاهر بين معاملة اسرائيل لليهود الشرقيين المهاجرين اليها من كل من آسيا وافريقيا ومعاملة اسرائيل لليهود الغربيين .

جـ ـ فضح مواقف اسرائيل العدوانية وخرقها عشرات المرات للهدنة .

د ـ شرح موضوع تحويل نهـــر الاردن ومخالفة ذلك للقانون الدولي .

هـ ـ كشف العلاقة التي تربط اسرائيل بالاستعمار والتأكيد على هذه الحقيقة .

٧ ـ الاستعانة بجميع الجاليات العربيـــة وانشاء جمعيات صداقة لقائدة القضية .

٨ ـ الانتفاع بالطلبة العرب في الخارج . ومـــن أجل ذلك دعت الجمهوريـة العربيـة المتحدة فى صيف سنة ١٩٦٦ جميع اولئك الطلاب لحضور مؤتمر التقوا فيه بزعماء الثورة فى القاهرة . وكان لهذا المؤتمر آثاره الطيبة .

٩ ـ تشجيع المنح الدراسية لابناء الدول الاجنبية ليدرسوا فى البلاد العربية .

١٠ ـ تشجيع الصحفيين والمصورين والادباء والكتاب ورجال الفن على زيارة البلاد العربية وتكوين فكرة صحيحة عنها .

١١ ـ تشجيع المعارض العربية واقامتها فى الدول الاجنبية عن طريق المعارض الدولية ونحو ذلك .

١٢ ـ دعم العلاقات الشخصية بالبارزين من الرجال فى عالم الفكر والادب والسياسة والفنون وتشجيعهم بالجوائز الثمينة .

١٣ ـ اجراء مسابقات أدبية فى موضوع القضية العربية واعطاء هـذه الجوائز للكتاب الغربين الذين يؤلفون قصصا ممتازة او كتبا ممتـازة فـى هذا الموضوع •

١٤ ـ اقامة معاهد لتعليم اللغة العربية فى البلاد الاجنبية وتشجيـع البعثات اليها وانشاء كلية عربية فى عدد كبير من البلاد الاجنبية كلما امكن ذلك •

١٥ ـ تركيز الجهد الاعلامي على الدول التي تقف موقفا سلبيا عند التصويت فى قضية فلسطين فى هيئة الامم المتحدة ، وعلى الدول التي تقف موقفا عدائيا منها كذلك •

١٦ ـ الكشف عن النشاط الصهيوني الارهابي المدمر فى اكثر بلاد العالم في الوقت الحاضر •

١٧ ـ الاهتمام بالمكاتب الاعلامية العربية في جميع الدول الغربية • على ان يكون كل مكتب من هذه المكاتب ممثلا للدول العربية كلها وليس ممثلا لدولة عربية واحدة فقط • ففي اتباع هذه الخطة ما يشعر الشعوب والحكومات الغربية بتضامن العرب وتكاتفهم فى مكافحة الصهيونية •

١٨ ـ العناية كذلك بالمكاتب السياحية العربية فى كل بلد عربي من جهة وعن طريق الاتحاد السياحي الدولى من جهة ثانية ما دامت السياحـة صناعة القرن العشرين ـ كما يقولون • فيجب ان ينظر العرب اليها عـلى انها وسيلة اعلامية بكل ما تحمل هذه الكلمة من معني • وعليهـا ينبغي ان يعتمد العرب فى نشر الدعاية للقضية العربية وفى شرح الجوانب السيئة للدعاية الصهيونية •

١٩ ـ حرص العرب على حضور جميع المؤتمرات البرلمانية والعمالية

والثقافية ، وعدم ترك اسرائيل تنتفع وحدها بذلك .

٢٠ ـ مهاجمة نقط الضعف فى الكيان الاسرائيلي ، واعداد الردود على المزاعم الاسرائيلية . وتصوير اسرائيل على الدوام بصورة المعتدي على حقوق العرب واغتصاب بلادهم وايقاظ الضمير الانساني من هذه الناحية .

واخيرا نلفت النظر الى هذه المقترحات الاربعة الباقية وهي :

٢١ ـ العمل على اصدار صحف عربية تكتب باللغة الانجليزية وذلك فى كل من امريكا وانجلترة ، والاعتماد فى ذلك على أصدقاء العرب من الانجليز والامريكيين . وليس هؤلاء الاصدقاء بقليلين فى تلك البلاد . واما تمويل هذه الصحف فانه يقع على البلاد العربية كلها ، ومن بينها السعودية والكويت وغيرهما من الاقطار المنتجة للنفط .

٢٢ ـ ومثل هذا يقال كذلك بالنسبة للاذاعة . فانه يمكن الانفاق على محطات عربية فى امريكا وانجلترة ، والاستعانة فيها باصدقاء الحرية والانسانية فى كل من هذين البلدين بنوع خاص .

٢٣ ـ ايجاد التعاون التام بين السفارات العربية فى البلاد الغربية . ولا بأس أن يكون فى كل بلد من البلاد الغربية مكتب عربي يقوم بتنسيق الجهود الاعلامية بين السفارات المذكورة فى سبيل توحيد الخطة بينها لمثل هذه الغاية .

٢٤ ـ الاعتماد على منظمة (الامم المتحدة) فى الترويج للقضية العربية ما دامت هذه المنظمة تعتبر فى الواقع منبرا عاما يستمع اليه الرأى العام العالمي ويعرف به وجهات نظر الشعوب ؛ وخاصة فى أوقات الأزمات والحروب . أما القول بمقاطعة هذه المنظمة فانه يحرم الامة العربية حرمانا تاما من هذه الفرصة .

مزاعم اسرائيل والرد عليها

الحق انه هذه المزاعم كثيرة ومن أهمها ثلاثة :

(الاول) ـ زعم اسرائيل انها أصبحت أمرا واقعا • والرد على ذلك ان اسرائيل تتجاهل فى ذلك الزعم جميع القوانين الدولية التي لا ترضى عن السرقة والنهب • وغير ذلك من الاعمال التي قامت بها الصهيونية حتى سلمت لها اسرائيل بهذه الطريقة غير المشروعة • ومما لا شك فيه ان القوانين الدولية تعطى العرب حق الدفاع عن انفسهم واسترجاع ارضهم • وكما يقول الدكتور حاتم : هناك المستندات العديدة التي تدل على أعمال النهب والسرقة التي ارتكبها الصهيونيون وهي مستندات يعرفها الجميع •

(الثاني) ـ زعم اسرائيل انها هي الداعية الى السلام وان العرب دائما هم الداعون الى الحرب • وليس أبلغ فى الرد على هذا الزعم من هذا الحديث الذى القاه الدكتور عبد القادر حاتم فى محاضرة له فى كلية الاداب بجامعة القاهرة حيث قال : « حدث فى المؤتمر الدولى عام ١٩٥٧ ـ أن وقف مندوب اسرائيل وقال : يا أعضاء المؤتمر : لا شك انكم جميعا تحبون السلام • وقد انتهى الحادث الذى وقع سنة ١٩٥٦ (يريد حادث العدوان الثلاثي على مصر) وطويت صفحة من صفحات الكراهية • ونحن اليوم نمدّ ايدينا لمندوب مصر لنصافحه ونبدأ صفحة جديدة • وما على المندوب المصري الا أن يعلن انه يريد السلام • وبذلك يسدل الستار على هذه القضية •

وهنا وجه الدكتور حاتم كلامه الى الطلبة قائلا لهم هذا كلام يصدقه الناس كثيرا ، ويدخل فى باب الدعاية الاستعطافية التي درجت عليها اسرائيل • فما كان منى فى ذلك اليوم الاّ ان وقفت فى المؤتمر وقلت :

أما أنا فأستأذن الآن فى السفر الى بلادي على عجل • فقال مندوب اسرائيل: ولماذا تنسحب يا سيدي ؟ انك اذن لا تريد السلام • ثم التفت الى اعضاء المؤتمر وصاح قائلا : اسمعوا انظروا : ان مندوب مصر لا يريد السلام •

لم يكن امامي فى هذه اللحظة الا ان ارفع صوتي فى المؤتمر قائلا :

انني انسحب من المؤتمر الآن وعلى عجل لانني أعـــرف ان القوات الاسرائيلية لابد أنها ستهاجم بلادى غداً • ذلك انكم ايها الصهيونيون فى كل مرة تتحدثون فيها عن السلام تكون الحرب فى اليوم الثاني مباشرة • وعندى سجل به اكثر من مائة تصريح بالسلام • وفى اليوم الثانى مباشرة يقع العدوان » •

(الثالث) ـ زعم اسرائيل ان هناك أسسا تاريخية لقيام دولتهم ، وان ارض الميعاد هي فلسطين ، وانهم لم يفعلوا اكثر من انهم رجعوا الى أرضهم التى وعدهم الله بها •

وتجاهل الصهيونيون فى كل ذلك حقائق التاريخ الصحيح • واكثر من ذلك انهم قصروا اهتمامهم على فترة واحدة فقط من تاريخ فلسطين ، هى الفترة التى عاشوها بتلك الارض • **واعجب من كل ذلك انهم** يدرسون هذه الفترة وحدها من تاريخ فلسطين ، وذلك فى جميع انحاء العالم •

وهنا ندعو الدارسين والباحثين فى جميع أنحاء العالم كذلك الى أن يدرسوا تاريخ فلسطين ليعلموا علم اليقين ان العرب حكموا فلسطين مدة تزيد عن ثلاثة عشر قرنا من الزمان • على حين أن اليهود حكموا فلسطين مـــدة لاتزيد على خمسة قرون على اكثر تقدير •

هل يستطيع التاريخ أن ينكر على فلسطين أنها عربية منذ فتحت عـلى يد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب عام ١٥ للهجرة ؟ واذا كان لايستطيـع

شيئا من ذلك فبأى حق عمد الانجليز سنة ١٩٤٧ الى هذه الجريمة السياسية التى انتزعوا بها جزءا من الوطن العربي الكبير وقدموه هدية الى اليهود ؟

ان البائع والمشترى فى هذه الصفقة ليس لهما حق قانوني فى ذلك •

ولكن أين من يسمع للعرب حجتهم ؟ وهل يمكن ان يتخلص الغرب الاوربي والامريكي يوما ما من تأثير الدعاية الصهيونية القوية لكي يدرك هذا الغرب أن للعرب حقوقهم المشروعة فى هذه القضية ؟

ان السلام فى الشرق الاوسط لا سبيل الى اقراره الا على أساس من العدل • ولا أمل فى تحقيقه الا عن طريق الادراك السليم والفهم المستقيم لهذه الحقيقية •

وفى اعتقادى ان هذا الادراك السليم لا يكون الا عن طريق البحث أو الدرس • ومعروف أن العلم لايخضع للدعاية ، وان الدعاية لا سلطان لها الا على العواطف من جهة ، وعلى الامور المادية من جهة ثانية • والعلماء فى كل زمان ومكان لا يلتفتون الى الدعاية بجميع أشكالها بقدر ما يلتفتون الى الحقائق العلمية فى ذاتها •

وفى اعتقادى ان كلا من أوروبا وامريكا اذا سلكتا طريق العلم أو العقل واخلصتا فى ذلك فانهما تخدمان السلام العالمى الذى هو حلم البشرية والذى هو الدليل الوحيد على تقدم عقول البشر •

ماهو السبيل الى تنفيذ المشروع ؟

ان مشروعا للاعلام العربي الموحد كما يحتاج الى تفكير عميق من الناحية النظرية كذلك يحتاج الى تفكير عميق من الناحية التنفيذية • وقد أشرت الى بعض الخطوط العامة للمشروع من الناحية النظرية • وبقى ان نشير الى بعض الخطوط العامة للمشروع من الناحية العملية •

وهنا نقول ان قسم الصحافة بجامعة القاهرة شارك فى التفكير فى هذا الموضوع الخطير • وجاءت هذه المشاركة على شكل رسالة تقدم بها الاستاذ حامد محمود للحصول على الماجستير • وعنوان الرسالة كمايلى :ـ

« الدعاية الصهيونية ـ وسائلها وأساليبها وطرق مكافحتها »

أشار الباحث فى هذه الرسالة[1] الى عدة وقائع منها ـ

١ ـ قررت هيئة خبراء الاعلام العربي فى اجتماعها الذى عقدته فى شهر يناير سنة ١٩٥٩ ـ انشاء جهاز للاعلام العربي يتألف من لجنة دائمة تضم رؤساء اجهزة الاعلام فى الدول العربية ، ومكتبا دائما للدعوة العربية• كما تتألف من الملحقين الصحفيين للدول الاعضاء ، وصندوق مشترك للاعلام العربى ، وادارة للاستعلام والنشر •

٢ ـ انعقد مؤتمر وزراء الاعلام العربي بالقاهرة عام ١٩٦٤ واتخذ عدة قرارات خطيرة فى السياسة الاعلامية العربية • واضيف الى المنظمات التي تقرر انشاؤها فى عام ١٩٥٩ (مجلس لوزراء الاعلام) فى الدول الاعضاء يجتمع مرة فى السنة على الاقل •

وكذلك قرر المؤتمر أن يتم تمويل جهاز الاعلام العربي بالدرجة الاولى عن طريق مساهمات تقوم الدول الاعضاء بتقديمها • وذلك بدلا من الاكتفاء في تمويل جهاز الاعلام العربي بجمع التبرعات في (اسبوع الاعلام العربي) • وبالاضافة الى كل ما تقدم قرر مؤتمر وزراء الاعلام كذلك انشاء دار عربية للتأليف والترجمة والنشر ووكالة انباء عربية مع أن فى الدول العربية اجهزة من هذا القبيل لها خبرة ولها اختصاص •

---

(١) تم طبع هذه الرسالة بنفس العنوان المشار اليه • (انظر الفصل الرابع ٣٥٥ ـ ٣٦٢) •

ذكر الاستاذ حامد محمود هـــذه الوقائع واوضح عيوب المشروعين السابقين • ثم قال : ولتلافي اوجه النقص فيهما نقترح انشاء جهاز للاعلام العربى على النحو الآتي :

مشروع جهـــاز منظّم
للاعـــلام العـــربي الموحـــد

اولا ـ مجلس وزراء الاعلام :

يتألف من وزراء الاعـلام فى الدول الاعضاء بالجامعة العربيـــة • ويجتمع مرة كل ستة اشهر او كلما دعت الضرورة الى ذلك ••• ويقوم بالنظر فى السياسة الاعلامية التي تسير عليها الدول الاعضاء والجامعـــة العربية •• كما يقوم بدراسة ما يرفع اليه من تقارير عن اتجاهات الدعايات المضادة ووسائل مكافحتها وتكون قرارات المجلس ملزمة للدول الاعضاء •

ثانيا ـ اللجنة الدائمة للاعلام العربي :

وتتألف من مندوبين عن وزارات الخارجية والاقتصاد والاعـــلام والثقافة والارشاد والتربية والتعليم فى الدول العربية • ويشرف عليهـــا الأمين المساعد للجامعة العربية لشؤون الاعـلام • ومـــن الضروري أن يكون أعضاء هذه اللجنة متفرغين تماما للعمل الذى سيكلفون به •

وتقوم اللجنة الدائمة بوضع سياسة قصيرة الاجل واخرى طويلـة الاجل لمقاومة النشاط الصهيوني وتتولى اللجنـة الفصل فى جميع الامور التي تتعلق باسرائيل والتي لا تحتمل التأخير •

وتتفرع عن هذه اللجنة الادارات التالية :

(أ) ادارة المعلومات •

ويمكن ان تلحق بها اقسام كثيرة • منها قسم الاستماع للاذاعـــات

الاجنبية واهمها الاذاعة الاسرائيلية • وقسم المكتبة ويضم جميع المراجع والوثائق التى يمكن الاستفادة منها فى اعداد الابحاث المختلفة •

(ب) ادارة الابحاث • وبها اربعة أقسام •

قسم للبحوث الاقتصادية مهمته دراسة النشاط الاقتصادى الاسرائيلي •

وقسم البحوث السياسية مهمته دراسة النشاط السياسي الاسرائيلي •

وقسم البحوث الدعائية • ومهمته دراسة الدعاية الصهيونية والوقوف على وسائلها واساليبها والتفكير فى طرق مكافحتها •

وقسم البحوث الثقافية • ومهمته تتبع النشاط الثقافي الاسرائيلي فى مختلف انحاء العالم ودراسة شؤون المبعوثين العرب فى الخارج ، وبحث الوسائل الممكنة لزيادة النشاط الثقافي العربي فى المناطق التي تعمل فيها اسرائيل والمناطق التي لم تصل اليها بعد • والتفكير فى امكان الاستفادة من مبعوثي الازهر فى البلاد المختلفة ، وايفاد الاساتذة العرب لالقاء محاضرات فى الخارج •

جـ ـ ادارة التخطيط والتوجيه :

ومهمتها اعداد مواصفات المواد الصالحة للدعاية فى العالم الخارجي وفى الوطن العربي • وتحديد التيارات الفكرية والثقافية فى الدول المختلفة ، وتحليل القيم والمثل التي تتمسك بها مختلف الشعوب لامكان التحدث اليها بلغتها • ثم تحليل اتجاهات الرأي العام فى الوطن وفى العالم الخارجي، واختيار أنسب الاساليب الدعائية لاتباعها فى مكافحة الصهيونية •

د ـ ادارة الاتصال :

ومهمتها تنسيق العمل في الوزارات والهيئات المختلفة فى الدول العربية

للتعاون مع اللجنة الدائمة للاعلام العربي فى مختلف المجالات ، وكذلك الاشراف على نشاط البعثات والمنظمات العربية ، وجمعيات الصداقة ومداومة الاتصال بها • وذلك لتزويدها بكافة المعلومات وابلاغها مختلف القرارات التي يتوصل اليها الجهاز •

هـ ـ ادارة المتابعة :

وعملها اعداد المواد الاعلامية المختلفة وضمان وصولها الى غايتها ومتابعة تنفيذ قرارات الادارات المختلفة وتوصياتها فيما يختص بمقاومة النشاط الصهيوني فى المجالات الاقتصادية والسياسية والدعائية وغيرها فى مناطق العالم المختلفة ••• وتتبع المشكلات التي تعترض التنفيذ والعمل على تذليلها •••

من اجل ذلك لابد لادارة المتابعة من ان تتألف هي الاخرى من اقسام اربعة هي :

قسم النشر ، وقسم الاذاعة والتلفزيون ، وقسم السينما ، وقسم التصوير •

و ـ ادارة العلاقات العامة :

ومهمتها اقامة اتصالات بين جهاز الاعلام في الجامعة العربية من جهة ، والصحف وبقية وسائل الاعلام من جهة اخرى • وذلك تعريفا بالنشاط الذي يقوم به جهاز الاعلام العربي الموحد •

ز ـ ادارة المعارض :

ومهمتها دراسة الدعوات الموجهة للاشتراك فى المعارض الدولية ، ووضع خطة مشتركة بأزائها • واعداد معارض متنقلة تصور الحضارة العربية والانتاج العربي الحديث •

ح ـ ادارة السياحة :

وتقوم بالدعاية السياحية في جميع انحاء العالم باعتبارها عملية غير مباشرة للرد على الدعايات الصهيونية المعادية للعرب • ومهمتها كذلك انشاء مكاتب اعلام سياحية للدول العربية فى مختلف عواصم العالم المهمة وتشجيع السياحة الى الدول العربية •

ط ـ ادارة المؤسسات الثقافية :

وتنظر فى انشاء المعاهد والفصول الخاصة بتدريس اللغة العربية وآدابها في الخارج ، وخاصة فى افريقيا وآسيا وبعض البلاد الامريكية اللاتينية حيث توجد جاليات عربية كبيرة • كما ينبغي أن تقوم هذه الادارة كذلك بتشجيع ترجمة جيدة للكتب التى تعتبر امهات الادب العربى والحضارة العربية الى اللغات الاجنبية ، والاتفاق مع دور النشر فى الخارج لنشر الكتب المترجمة •

ي ـ صندوق الدعوة العربية :

ومهمته تمويل الجهاز المقترح عن طريق المساهمات التي تقدمها الدول الاعضاء ، وتخصيص ١٠ ٪ من عائدات البترول العربي لهذا الصندوق •

ولا بأس كذلك من تخصيص اسبوع من كل عام للدعوة العربية ، والقيام بحملة لجمع التبرعات من جميع البلاد العربية ، ومن جالياتها المقيمة فى الخارج[١] •

---

(١) دفعت بهذا الكتاب الى المطبعة قبل ايام قليلة من قيام الحرب الاخيرة بين العرب واسرائيل ، وذلك فى الخامس من شهر يونية (حزيران) سنة ١٩٦٧ • والذى لا ريب فيه ان العرب تعلموا من هذه الحرب دروسا كثيرة ، وذلك من الناحية العسكرية والناحية الاعلامية • ولا يعنينا من

هذه الدروس فى مثل هذا الكتاب الذى بين يدى القارىء غير الناحية الاعلامية .. وهذه الناحية الاخيرة اصبحت بحاجة شديدة الى جهود كبيرة نرجو أن تكون الدراسة التى يقدمها هذا الكتاب تمهيدا لها وبداية للخطط العلمية التى تبنى عليها .

لقد بني الاعلام العربي والدعاية العربية فى الفترة الاخيرة التى سبقت هذه الحرب على شيء من المبالغة وافشاء الاسرار العسكرية . فكان هذا الاعلام يكشف دائما عن الاسلحة الحربية التى تحصل عليها الجيوش العربية . وكانت اسرائيل تستغل هذه البيانات العسكرية وتستند اليها فى استجداء امريكا لعدد كبير من الاسلحة الحربية لكي تصبح قوتها متوازنة مع قوى العرب .

كما كانت الدعاية العربية فى تلك الفترة تعتمد على السباب والقذف على حين انهما لا يؤثران فى الشعوب الغربية امريكية واوربية قدر ما تؤثر فيها السخرية الهادئة اللاذعة .

(وبعد) فقد أيقنت الشعوب العربية عقب هذه الحرب بالحاجة الماسة الى امور كثيرة اهمها ما يلى :

١ ـ الايمان بضرورة الوحدة العربية ، بحيث تصبح هذه الوحدة عقيدة راسخة .

٢ ـ العناية بدراسة الخطط الاعلامية بنفس الدقة التي توضع بها الخطط العسكرية .

٣ ـ النظر الى العلم الحديث على انه سلاح من أقوى الاسلحة فى الميدانين الحربي والاعلامي .

٤ ـ اعادة النظر فى الاقتصاد العربي على ضوء التجربة المريرة التي مرت بالعرب فى الحرب الاخيرة .

٥ ـ تعبئة الشعوب العربية كلها بحيث يصبح كل شعب عربي وهو عبارة عن ثكنة عسكرية كما هو الشأن فى اسرائيل التي ثبت أنها تحولت منذ عام ١٩٤٨ الى ثكنة عسكرية يشترك فيها الرجال والنساء والفلاحون والعمال . وقد حمل الجميع السلاح واستعدوا استعدادا تاما للمعركة ، وعرف كل مواطن من المواطنين موقعه منها .

الفصل الرابع

الدعـاية النـازية

كان من الطبيعي ان تقوم الدعاية النازية على الافكار والمبادىء التى اشتمل عليهـا كتاب هتـلر : (كفاحي) • وفيـه يقول عن الدعاية « انها التأثير فى خيال الجماهير التى تسيطر عليها الغريزة • وعلى الدعاية ان تتخذ لنفسها شكلا سيكولوجيا ملائما حتى تسلك الطريق الملائم لهذه الجماهير • ومن رأيي انه يجب ان تخضع البرامج المدرسية والتوجيهيـة لخـدمة الدولة» •(١)

ويقول هتلر كذلك فى خطاب له فى مؤتمر نورنمبرج سنة ١٩٢٦ فى وصف الدعاية النازية :ـ

« لقد أوصلتني الدعاية الى الحكم • وبالدعاية حافظنا على مراكزنا • وبها سوف نستطيع ان نغزو العالم كله » •

---

(١) حسن الحسن ، الاعلام والدولة ، ص ٣٥٧ ، بتصرف •

وهكذا كانت الدعاية النازية من اقوى الاسلحة التى اعتمد عليها النظام النازى • وكانت لها ايديولوجية سياسية تهدف ـ كما يقول هتلر ـ الى غزو العالم كله •

ومن رأى (جوبلز) وزير الدعاية فى عهد هتلر كذلك :ـ

« ان الدعاية يجب ان تستخدم فى حكم الشعب ، وانه يجب ان تكون مكانتها الاولى بين تلك الفنون • ولايمكن الاستغناء عنها فى بناء الدولة الحديثة • وان الهدف الاول للدعاية هو قيادة الناس الى الافكار التي ترغب الدولة ان يعتنقها الجميع »•(٢)

من اجل ذلك سخر هتلر كل اجهزة الاعلام فى المانيا لهذه الغاية التى اشار اليها هو ووزيره • ومن تلك الاجهزة بطبيعة الحال (جهاز الاذاعة)•

وقد كانت هذه الاذاعة أقرب الى الدعاية منها الى الاعلام بالمعنى المفهوم لهذه الكلمة الاخيرة وآية ذلك ان الاذاعة كانت تؤكد دائما بان الاعمال العدوانية التى قامت بها المانيا ضد بعض الدول ليست فى حقيقتها الا محاولة لضمان العدالة واصلاح الاخطاء الكثيرة التى وقعت فيها ، ولاكثار عدد الذين يعطفون على المانيا فى مختلف انحاء العالم ، ولتقدير الدور الذى تقوم به المانيا فى سبيل حماية اوربا من انتشار الشيوعية •

والحق لقد كثر النزاع حول الدعاية النازية • واختلف الباحثون فى مقدار ما فيها من الصواب ومقدار ما فيها من الخطأ •

ومهما يكن من شىء فلهذه الدعاية عيوب ولها محاسن • ومن واجبنا ان ندرس الامرين معا •

---

(٢) نفس المصدر السابق •

كان هتلر يقول ان من مصلحة المانيا ان تتخذ لنفسها نظاما خاصا فى الاعلام والدعاية يتلاءم معها • ولذلك رأينا وزيره (جوبلز) يأخذ نفسه بدراسة عميقة للدعاية كشفت عنها مذكراته ومحفوظاته • وهذه الدراسة هى الجانب الحسن من الدعاية النازية كما سنوضح ذلك بعد • اما الجانب السيء من هذه الدعاية فيتضح لنا فيمايلى :ـ

سيئات الدعاية النازية

لاشك ان من اخطر عيوب هذه الدعاية عيبين واضحين هما :

أولا ـ ان هذه الدعاية كانت السبب الاول والاخير فى قيام الحرب العالمية الثانية ، وفيما قاساه العالم كله بوجـــه عام والمانيا بوجه خاص من ويلات هذه الحرب •

ولا ينبغى ان ننسى بان النظرية النازية فى ذاتها كانت تقوم على جملة من المبادىء تنكر حق الفرد وتنكر ماله من قيمة ذاتية • فالفرد فى هـذه النظرية كالنحلة فى خلية النحل يجب عليه ان يلغى شخصيته الغاء تاما ، وان يفنى فى الجماعة فناء تاما • لان الفرد فى هذه النظرية لايفكر بل يدع مهمة التفكير للدولة فهى التى تفكر له ، وما هو غيره آلة تنفذ مـا تفـكر فيـه الدولة •

ثانيا ـ اما العيب الثانى من عيوب النظرية النازية فهو القول (بالعنصرية الآرية) • ومعناها النظر الى كل فرد من افراد الشعب الالمانى على انه عنصر ممتاز عن بقية العناصر التى منها سائر البشر • ولذلك فمن حق هذا العنصر الجرماني ان يسود على جميع افراد البشر •

وتطبيقا لهذه النظرية العنصرية وجدنا هتلر يرتب الشـــعوب فـــى درجات ويجعل لها ارقاما • فالشعب الالماني رقم (١) والشعب الفلاني رقم

(٢) والشعب الفلاني رقم (٣) وهكذا • ولم يكتف بذلك حتى وضع لكل شعب من هذه الشعوب النظام الذى يلائمه من حيث الاعلام والدعاية حتى اذا وصل هتلر فى كلامه الى اليهود اكد ان سياسة الارهاب هى وحدها السياسة التي تصلح لهم دون غيرهم •

اساليب الدعاية النازية ونظمها واهدافها

للدعاية النازية اساليب تميزها عن غيرها من الدعايات ولها نظام يختلف عن انظمة هذه الدعايات • ومن اهم هذه النظم والاساليب مايلى :-

اولا - وزارة الدعاية :

وقد كان وزير الدعاية فى العهد الهتلرى هو (جوبلز) وكان يعتبر الرجل الثانى فى الدولة بعد هتلر مباشرة • وتقوم هذه الوزارة على النظام المركزى بحيث يتصل الوزير مباشرة بمديرى الادارات فى وزارة الدعاية • ولا يكون اتصال الوزير بهؤلاء المديرين عن طريق وكلاء الوزارة حتى لايحدث تغيير او تبديل فى توجيهات الوزير بسبب نقلها من الوكيل الى المدير •

ومن اجهزة هذه الوزارة كذلك جهاز يقال له (الجستابو) او المخابرات الالمانية • وكان من عمل هذا الجهاز الاخير مراقبة افراد الشعب فى كل شىء حتى فى استماعهم للاذاعات الاجنبية التى حرمها عليهم هتلر تحريما باتا • وكان يهدد كل من استمع لاذاعة اجنبية بوضعه فى المعتقل • ومن اجل هذا عمد هتلر الى انشاء مصانع كبيرة لاجهزة الراديو المحلية او السلكية للاستغناء بها عن الاجهزة اللاسلكية التى تصل المانيا بجميع انحاء العالم • ووضع هتلر فى كل منزل مكبرا للصوت لينقل الاذاعة التى تحملها الشبكة السلكية التى تسيطر عليها الحكومة سيطرة تامة لانها المحطة الوحيدة

للاذاعة فى برلين .

ثانيا ـ تنظيم المظاهرات الشعبية فى اثناء خطب هتلر أو غوبلز .

الحق ان أشد مايعجب له المؤرخ للعهد الهتلري هو عنايته البالغة بتنظيم المظاهرات على نحو يذهل العقل . فاذا تحدد موعد لاحدى الخطب التي يلقيها هتلر أو جوبلز ذهبت الجماهير الى مكان الاجتماع فى نظام دقيق لتستمع الى الخطبة باصغاء تام ، وتنشد الاناشيد بنظام معين ، وتلقي الهتافات لهتلر وتؤدى السلام الهتلرى (هايل هتلر) بنظام معين . وكأن هذه الجماهير فى كل ما يصدر عنها من هذه الحركات آلات تدار باصبع اليد الواحدة .

وهكذا نجحت الدعاية النازية فى تعبئة الشعب الالماني كله ولم يترك هتلر ولا جوبلز شيئا للصدفة . بل وضعا نظاما دقيقا لكل مظاهرة من المظاهرات التي يقوم بها الشعب الالماني .

ثم هكذا تحقق قول هتلر فى كتابه كفاحي :ـ

« يجب ان نعمل لا فى المجالات السرية ، بل عن طريق القوة الساحقة للجماهير . ولا يكون ذلك بواسطة الخنجر او السم او المسدس وانما عن طريق واحد فقط ، هو غزو رجل الشارع . ولذلك يجب ان تكون روح الدعاية فى مستوى يتلاءم مع روح الجماهير وعقليتهم حتى يتجمع لنا منهم اكبر عدد ممكن » .

ثم ان تنظيم هذه المظاهرات كان يعتمد كذلك على الموسيقى وخاصة منها موسيقى (فاجنر) وهي الموسيقى التى غلب عليها الطابع الحماسى . وكانت المنصة التى يخطب من فوقها هتلر تضاء بطرق هندسية خاصة تلهب مشاعر الجماهير وتهيئهم تهيئة خاصة لسماع خطبته .

ثالثا نظرية منطاد الاختبار :

وتفسير هذه النظرية ان الزعيم او القائد اذا اراد ان يعرف رأى الشعب فى موضوع من الموضوعات وان يقف على مدى تجاوبه مع هذا الموضوع او ذاك فانه يعمد الى نشر رأى عن هذا الموضوع فى صحيفة من الصحف • ثم ينتظر مدة من الزمن ليرى بعدها مبلغ استجابة الشعب لهذا الموضوع فى الاوساط الاجتماعية على اختلافها • فلو كان الرأى العام يميل الى هذا الموضوع فانه يعيد نشره فى شتى الصحف ، ويسمح باذاعته فى محطات الاذاعة ، وينسب هذه الفكرة لنفسه بعد ان كان يخفي هذه النسبة الى نفسه •

واما اذا وجد الرأى العام يقف ضد هذا الموضوع فانه سرعان ما ينتهز اول فرصة يلتقى فيها باكبر عدد من الشعب • واذ ذاك يعلن ان ما ورد فى الصحيفة الفلانية فى موضوع كذا ليس له أساس من الحق أو الصحة ، وانه لا يوافق عليه بحال من الاحوال لانه انما ينظر الى المصلحة العامة لا الخاصة •

وبنفس هذا الاسلوب كان يتعامل هتلر مع الشعب الالمانى بين آونة واخرى • ولذا كان يبدو امامه بمظهر البطل الاوحد والزعيم الفرد ومصدر القوة الحقيقية للشعب ، وبان المانيا ان ارادت لنفسها المجد الحقيقى فلا طريق لها الى مثل هذه الغاية الا الانقياد التام للنازى •

رابعا ـ نظام القمصان السمراء :

كان من اهداف الدعاية النازية القاء الرعب فى قلوب الاعداء باستمرار، وكان يعتمد فى ذلك على التهويل والمبالغة وعلى المظاهر التى منها تأليف فرق الشباب ذوى القمصان السمراء • والعجيب ان اعداء المانيا النازية

انخدعوا فى اول الامر بهذه المبالغات • وصدقوا ان المانيا تملك كذا وكذا من المعدات والذخائر الحربية ونحو ذلك ولهذا السبب كانت انجلترة وفرنسا تستجيبان لمطالب هتلر خوفا من تلك الاسلحة •• وبقى الحال على ذلك حتى قامت الحرب العالمية الثانية • واذ ذلك ثبت للعالم ان سياسة الارهاب التى كان يتبعها هتلر لم تكن سياسة ناجحة • لانها لم تعتمد على الصدق او الواقع قدر ما اعتمدت على الكذب او الوهم • واستطاع الحلفاء فى نهاية الامر ان يتغلبوا على هتلر • فزال عن الوجود وزالت معه كل هذه الاساليب •

كان جوبلز يقول •• اكذب الف مرة ولو صدقك الناس مرة واحدة فانت الصادق •

خامسا ـ الصليب المعقوف :

وقد كان على كل فرد فى الحزب النازى ان يطبع الصليب المعقوف على سترته وسيارته وعلى باب منزله وعلى آنية اكله وشربه متى امكن ذلك • والغرض من ذلك ان يكون هتلر والنظام النازى فى ذاكرته دائما ابتداء من يقظته فى الصباح الى ان يذهب الى فراشه فى الليل • وذلك تطبيقا لاسلوب من اساليب الدعاية يقال له (من الباب للباب) •

ويقال ان هذا الصليب المعقوف يرمز الى شيئين هما : الدين والقوة • ويقال غير ذلك • ومهما يكن الامر فقد اتخذته الحركة النازية رمزا لها فى ذلك الوقت ، ووفقت توفيقا عظيما فى اختيار هذا الرمز •

وقريب من الصليب المعقوف فى نظام الدعاية النازية التحية المعروفة التى كان يقابل بها هتلر من الشعب الالماني بين لحظة واخرى • وهى قولهم (هايل هتلر) •

وهذه التحية من جانب والصليب المعقوف من جانب آخر امـــران خاصان بالشعب الالماني وحده فاذا مارسهما غير الالماني فانه يعرض نفسه للعقاب او يلقى فى معسكرات الاعتقال • ولذلك لم يكن يسمح لليهود بحمل الصليب المعقوف حتى لا ينخدع بهم الشعب الالماني •

على انهذا الصليبالمعقوف لميكن يحمله الالماني خارج بلاده ذلك ان هتلر كان يتخذ منالالمان خارج المانيا ما يسمى « بالطابور الخامس » • وكان يقول للالماني الذى سلك نفسه فى هذا الطابور :ـ انك من عنصر جرماني وستكون حاكما للبلاد التى تقيم فيها بعد ان تغزوها • وبهذا الاسلوب كان هتلر يفتح البلاد بسهولة ويسر عبرت عنهما جريدة التايمس بقولها :ـ

« ان هتلر يفتح البلاد قبل ان يصل جيشه اليها • ذلك ان البلد الذى يريد أن يدخله يكون مهيئا له عن طريق الطابور الخامسالذى أعده اعدادا صحيحا فى ذلك البلد » •

هذه هي أهم الاساليبالتياعتمدتعليها الدعاية النازية • يضاف الى كل ذلك ما يجب ان تعنى به الحكومات التى تأتي دائما عقب الثورات والانقلابات الكبرى • ومن ذلك العناية بالصحافة والاذاعة وغيرهما من وسائل الاعلام المعروفة والدقة فى اختيار الافراد القائمين على هذه الاجهزة حتى يعملوا فى انسجام تام مع الحكومة • ومن ذلك ايضا العناية بنشر الثقافة التى تدعـــو اليها الحكومة الجديدة أو الثورة الجديدة • وقد كان هتلر يعمل على نشر الثقافة الالمانية بحيث ان كل ما هو جديد فى هذه الثقافة لابد أن يعـرفه الناس جميعا فى الخارج •

واما بالنسبة للفكر النازى والفلسفة النازية ومهاجـــمة الفلسفات والنظريات الاخرى فكان يقوم به قسم يقال له « مقاومة دعاية الاعداء » •

يضاف الى كل ما تقدم تدخل الحكومة فى امر تربية النشىء ، وهذا ما عنى به هتلر عناية كبيرة وانشأ من اجله مايسمى (بالمنظمة الهتلريـــة لتربية النشىء) وقد عملت هذه المنظمة على تهيئة الشباب الالماني لتقبل النظام النازى والايمان المطلق بهتلر وقدرته على ان يجعل المانيا حاكمة ومسيطرة على العالم اجمع • وهذا هو الهدف الاسمى للدعوة النازية •

الفصل الخامس

الدعـاية السوفيتية

قبل الكلام عن الدعاية السوفيتية لامفر لنا من الكلام عن الايديولوجية الشيوعية • والمعروف ان الشيوعية تقوم على آراء ماركس • وفى رأى هذا الفيلسوف الشيوعي ان الهدف الرئيس للفلسفة الشيوعية هو اقامة مجتمع تتحقق فيه العدالة التامة • وفى رأيه كذلك ان هذا الهدف لا يتحقق ما لم تسبقه مرحلة انتقالية تكون فيها السيطرة التامـة لطبقة (البروليتاريا) او طبقة الكادحين من العمال والفلاحين • وبعد هـذه المرحلة الانتقالية تأتي مرحلة المجتمع الشيوعي الذى هـو الغاية القصوى مـن قيام الحركـة الشيوعية •

لذلك صدر اول دستور سوفيتي سنة ١٩١٨ وجاء فيـه (ان المهمة الرئيسية للدستور خـلال فترة الانتقال الحاليـة هي اقامـة ديكتاتورية البروليتاريا في المدينة وديكتاتورية الفلاحين فى القرية • والقصد مـن

هذه الديكتاتورية فى الحالتين هو القضاء على البرجوازية وعلى استغلال الانسان لاخيه الانسان • والقصد منها كذلك هو الوصول الى الحالة التي يصبح فيها المجتمع بغير حاجة الى حكومة • اذ الحكومة في ذاتها ظاهرة عارضة مصيرها الى الزوال والاختفاء التام •

وفى سنة ١٩٣٦ صدر الدستور السوفيتي الثاني وهو يحمل نفس هذا الطابع • ويقوم هذا الدستور على اساسين :

اولهما ـ الغاء الملكيات الخاصة لوسائل الانتاج ومنع استغلال الانسان أخاه الانسان •

وثانيهما ـ اقامة الديكتاتورية البروليتارية ووضعها موضع التنفيذ وسحق الطبقة الرأسمالية وذلك عن طريق :

الحزب الشيوعي الواحد

وهو المحتكر الوحيد للسلطة السياسية في الحكم السوفيتي ، والمحتكر الوحيد للنشاط السياسي من جميع نواحيه •

واحتكار الحزب الشيوعي للسلطة على هذا النحو جعله يدعي العصمة لنفسه ، وأدى به الى رفض كل معارضة له مهما كان مصدرها •

والحزب الشيوعي فى نظر لينين اشبه ما يكون بهيئة اركاب حرب الجيش • وهذا الحزب ـ او هذه القيادة ـ هي التى تأمر الطبقة العاملة بالزحف الى الامام او بالهجوم او بالتراجع والتقهقر حسبما تقضى بذلك الظروف • والحزب الشيوعي الواحد في نظر (لينين) كذلك ليس من عمله السير خلف الجماهير • وليس من عمله كذلك تسجيل آلام الطبقة العاملة وافكارها ـ ان كان لديها افكار ـ ولكن عمله فى الواقع هو قيادة الطبقة العاملة او طبقة البروليتاريا •

وعلى هذا فان اول خطوة فى الحركة الماركسية هي العمل على السيطرة التامة على اذهان الطبقة العاملة وكسبها الى جانب الماركسية • ومع هذا وذاك فان النظرية الشيوعية توجب على الحزب ان يصغي لصوت الجماهير دون ان يعلم بذلك الجماهير ، وان يحكم على نفسه بمدى استعداد هذه الجماهير لتأييد النظرية الشيوعية التي يقوم عليها •

من أجل ذلك اوجب الحزب الشيوعي على نفسه السيطرة التامة على جميع وسائل الاعلام ـ ومن أهمها ـ كما سنعرف ذلك بعد ـ ادارة تسمى ادارة الشيوعية والدعاية • ولذلك كان كل من (لينين) و (استالين) يتحدث عن الصحافة والاذاعة ووسائل الاعلام الاخرى على انها ادوات فى يد الحزب • او ـ على حد تعبيرهما ـ لجام تشد به الجماهير الى الحزب • والحزب هو الذى يقرر برامج الاذاعة والمواد التي تنشرها الصحف والمواد التي تعرضها السينما • والدولة هي التي تقوم بتكاليف الصحافة والاذاعة والسينما وغيرها من اجهزة الاتصال بالجماهير • وهذه التكاليف لاتقل فى ذاتها عن تكاليف الاعلان فى اكبر الدول الرأسمالية كالولايات المتحدة وغيرها •

والخلاصة حتى الآن ان النظرية الشيوعية لاتهمل الرأى العام ، ولا تقلل من اهميته • ولكنها تشعر بالحاجة الماسة الى التدخل التام فى تشكيله بالصورة التي تراها •

بقى ان نقول عن نظام الحزب الشيوعي ان اللجنة المركزية له تتألف من المكاتب الآتية :

١ ـ مكتب للتنظيم تكون له القيادة العامة فى التشكيل الشيوعي باكمله •

٢ ـ مكتب للادارة يقوم بأعمال السكرتارية •

٣ ـ مكتب لمراقبة الحزب يشرف على تنفيذ قراراته ويتتبع تنفيذ القرارات •

٤ ـ مكتب للمراجعات المالية •

٥ ـ مكتب للاعمال السياسية وحدها •

ويتكون هذا المكتب الاخير من اربعة عشر عضوا يعبرون عن الحزب• وله القوة الحقيقية والمسيطرة على الحزب كله • وله كذلك يخضع المؤتمر العام للحزب الشيوعي • والمكتب السياسى هو صاحب الحق فى دعوة المؤتمر للانعقاد فى فترات متباعدة جدا ـ واعني كل ثلاث سنوات على الاقل •

نظام الدعاية الشيوعية او السوفيتية

اذا كان ماركس هو واضع النظرية الشيوعية فان (لينين) هو واضع الاسلوب العلمي للدعاية الشيوعية • (ولينين) هو الذى وضع هذه القاعدة التي تقول :

« ان العامل الاساسي للدعاية دائما هو الاثارة والتهييج (Agit action) بين طبقات الشعب » •

ولينين كذلك هو الذى ابتدع نظاما للدعاية يقوم على طوائف ثلاث وهي : طائفة المنظمين ، وطائفة الدعاة ، وطائفة مثيري القلاقل •

(فالمنظم) يتولى تنظيم الاجتماعات والاحتفالات المحلية ويقوم بتنظيم الدعاية فى هذه الحفلات والاجتماعات •

(ومثير القلاقل) ـ او المحرض ـ هو الشخص الذى عنده فكرة

واحدة ، او عدد بسيط من الافكار يرددها امام عدد قليل من الناس لكي ينيرهم شيئا فشيئا .

(والداعي) يتلقى الموضوع الذى تراد الدعاية له ويضيف اليه كثيرا من عنده ويذيعه على اكبر عدد من الناس . وهو فى ذلك يخالف المحرض ـ او مثير القلاقل ـ فى ان المحرض يأخذ فكرة معينة وينقلها الى شخص معين ، او عدد قليل من الاشخاص بقصد الاثارة . كما يفعل مثلا حلاق القرية او الحي ، او بقال الشارع أو الكواء . او كما يحدث من طالب واحد او عدد قليل من الطلبة يهتفون بهتاف معين يقصدون به اثارة الباقين من الطلاب .

وسائل الدعاية السوفيتية

وهي كثيرة منها :

١ ـ الصحافة ـ ولاشك ان الصحف من اقوى الوسائل التى تعتمد عليها الدعاية السوفيتية . ولكل فئة فى الاتحاد السوفيتي صحيفة تتحدث الى هذه الفئة بطريقة معينة . فللفلاحين صحف ، وللعمال صحف ، وللمثقفين صحف وهكذا . ومعنى ذلك ان الصحافة السوفيتية صحافة موجهة من قبل الدولة بكل ما تحمل كلمة (التوجيه) من معنى . بل ان الصحافة فى داخل روسيا السوفيتية تختلف عن الصحافة فى غيرها من البلاد الشيوعية . اى ان الاتجاه فى جميع الصحف الشيوعية واحد فى العالم . ولكن الطريقة تختلف باختلاف الشعوب كما تختلف باختلاف الفئات . ويتضح لنا ذلك من هذا المثل :

« عندما يريد الشيوعيون ان يهاجموا دولة من الدول فانهم يطلبون الى موسكو ان تلتزم الصمت والا تتدخل صحفها فى هذا الموضوع ، وأن تبدي

الحكومة شعور المودة والتقدير لهذه الدولة • ثم يطلبون فى نفس الوقت الى بعض الصحف الشيوعية فى بلد من البلاد مثل (لبنان) ان تهاجم هذه الدولة • وهكذا توقع موسكو الصحف الشيوعية اللبنانية فى الحرج • وتتنصل هي من هذا الهجوم بدعوى ان هذا العمل لم يصدر منها ولكن صدر من غيرها ولاذنب لها فى شيء من ذلك •

٢ ـ التوجيه الثقافي والعلمي :

يقضى النظام السوفيتي بان فروع الثقافة المختلفة من آداب وفنون وعلوم ونحو ذلك لابد ان تكون كلها فى خدمة الدولة • ولا بد ان تهدف الى شيء واحد فقط هو تكوين العقل السوفيتي الجديد • وقد نجح الحزب الشيوعي فى هذه الغاية نجاحا لانظير له • ومن اجل ذلك اقام الحزب الشيوعي ستارا حديديا حول الاتحاد السوفيتى حتى لا تستطيع اية ثقافة من الثقافات الاجنبية ان تغزو العقل السوفيتي الجديد بأية صورة من الصور • وهذا ما يعبر عنه بسياسة (النوافذ المغلقة) • ومن أجل ذلك منع الحزب الشيوعي نظام الاذاعة السلكية وفعل ما فعله هتلر من قبل من أنه شجع على قيام نظام الاذاعة اللاسلكية • وعن طريق هذا النظام يستطيع راديو موسكو أن يذيع ما يريده للشعب • ولا يستطيع هذا الشعب أن يستمع الى اذاعة اجنبية فى نفس الوقت •

ومثل ذلك يحدث فى الادب الشيوعي فانه أدب موجه اكثر منه ادبا هادفا • ولذلك لا يؤمن السوفيت بالنظرية القائلة (الادب للادب) أو (الفن للفن) • ولهذا السبب كذلك لا يشجع الحزب الا على الادب الذى يؤمن بالنظرية الماركسية ويدعو لها • وكذلك يفعل الحزب الشيوعي بالافلام فلا يسمح منها لغير الفلم الموجه أو الفلم الذى يمجد المذهب

الشيوعي ويعظم من شأن الماركسية • وينظر الى (الماينفستو) الشيوعي نظرة المسيحي الى الانجيل نفسه •

(ولينين) فى كل ذلك يشبه بهتلر من حيث الاعتماد على الدعاية باعتبارها قوة سياسية لا نظير لها فى الدولة •

٣ ـ تقييد حرية السياحة :

لم يكن مسموحا لأي سائح سوفيتي بالخروج من بلاده الى بلاد اخرى خوفا من أن يطلع فى هذه البلاد الجديدة على نماذج جديدة من الفكر والثقافة والحضارة ونوع المعيشة ، وبقيت هذه الطريقة متبعة فى الاتحاد السوفيتي الى أن استقرت قواعد النظام الجديد ، واصبحت النظم البلشفية عقيدة للشعب الروسى كله • واذ ذاك فقط بدأ الحزب يتساهل قليلا فى تقييد حرية السياحة • وهو واثق ان السائح السوفيتي لن يتأثر ايمانه بالشيوعية الماركسية عن طريق السياحة •

٤ ـ ادعاء الاجماع :

ويمثل هذه الوسيلة من وسائل الدعاية ما قيل من انه حدث فى انجلترا أن ارسل منشور للملكة من قبل ثلاثة فقط من الخياطين في لندن • ولم يحدد المنشور العدد الذى اشترك فى كتابته وارساله • بل صدر بالعبارة التالية :ـ نحن شعب بريطانيا • والقارىء لمثل هذا المنشور يجهل بطبيعة الحال ان ثلاثة فقط هم الذين ارسلوه الى الملكة • ولكن عندما أجري تحقيق دقيق اتضح ان ثلاثة فقط من الخياطين الشيوعيين الساخطين على شيء معين هم الذين ارسلوه الى الملكة • وانهم استخدموا فى كتابة المنشور هذه الطريقة التي تسمى (ادعاء الاجماع)[1] •

---

(١) الدكتور محمد عبدالقادر حاتم ، محاضرات فى كلية الاداب ، مخطوطة ص ١٠٤ •

وهذه هي نفس الطريقة المتبعة فى كثير من المنشورات الشيوعية فى البلاد المؤمنة بهذا النظام .

ونفس هذه الطريقة متبعة كذلك فى الصحف السوفيتية حين تتظاهر بالاجماع على خبر معين لغاية سياسية معينة . وقد لا يكون هناك أساس من الصحة لهذا الخبر . وفى هذه الحالة تبلغ الصحافة السوفيتية آخر درجات التضليل . وهي تعتمد فى كل ذلك على القاعدة التي تقول « الغاية تبرر الوسيلة » .

٥ ـ العناية بتربية النشء تربية ماركسية بحتة :

من الكلمات المأثورة عن ستالين قوله :

« اننا نريد عقولا متشابهة . فيجب أن نصل الى هذه العقول بخلق طراز جديد من النشء ، وطراز جديد ايضا من الرأى العام ، وذلك عن طريق نشر المبادىء الشيوعية لغاية واحدة هي جعل عقول الناس متشابهة الى أكبر حد ممكن . ونحن الرابحون من وراء ذلك وبتكون العقول المتشابهة يصبح أمر الدعاية سهلا علينا للغاية أو بعبارة اخرى يكفي ان نقنع عقلا واحدا بمبادئنا لكي نقنع كل العقول الاخرى بنفس المبادىء » .

من أجل ذلك وجدنا الحزب الشيوعي يتحكم تحكما تاما فى نوع الثقافة التي يقدمها للشعب الروسى ونوع الادب الموجه الذى يستمتع به الشعب الروسى ، ونوع الافلام السينمائية التي يتسلى بها وهكذا . وبهذه الطريقة وحدها يأخذ الحزب الشيوعي فى تعبئة الشباب الروسى والمجتمع الروسى للدفاع عن المبادىء الشيوعية والايمان المطلق بها .

ومن أجل ذلك ايضا يؤمن الشيوعيون بنصيحة لينين التي يقول فيها انه يجب تشويه الثقافات الاجنبية باستمرار وتشويه البورجوازية بلا

انقطاع ، وتمجيد الثقافة السوفيتية على الدوام .

* * *

توجد الى جانب الوسائل الخمس المتقدمة خطط أخرى ليست لها أهمية الخطط السابقة . ومن هذه الخطط الاخرى :-

أ - خطة التباهي بناحية معينة يحاول الروس اظهارها للعالم كله على سبيل الاستعلاء والمفاخرة والقاء الرعب فى نفوس الاعداء . ومن ذلك تركيز الروس على موضوع (غزو الفضاء) وحديث الصحف كلها عن هذا الاختراع .

نعم ، ان الاتحاد السوفيتي سبق امريكا الى هذا الكشف العلمي . ولكن ليس معنى ذلك ان تتخذ روسيا من هذا السبق ذريعة الى السيطرة المعنوية أو العقلية على اجزاء العالم كله . والعلم فى ذاته لا وطن له . وكل امة من الامم المتقدمة لها حصتها فى هذا التقدم .

ب - التشهير بجوانب الضعف فى الامم المعادية .

وهذا نوع من الدعاية المغرضة المكشوفة فى وقت معا . والشاعر العربي يقول :

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا

غير ان الاعداء الحقيقيين يفعلون اكثر من ذلك . فانهم اذا رأوا عملا سيئا من اعدائهم اشاعوه وشمتوا به وفضحوا اعداءهم على الملأ ، وذلك بطريق الاذاعة والصحف . واما اذا رأوا منهم عملا من الاعمال الحسنة فانهم يسكتون عنه ولا يتحدثون عنه ولو بكلمة عابرة .

جـ - استخدام التهكم والسخرية :

وهو من الاسلحة القديمة فى تاريخ الادب قبل تاريخ الصحافة . ولا

عني عنه مطلقا فى التعبير عن السخط على أمر معين أو الضيف بأمر معين • سواء صدر هذا السخط عن فرد أو شعب أم حكومة أو جماعة من الناس ضد جماعة اخرى •

ساق الدكتور عبدالقادر حاتم الينا هذا المثل :

كان فى بلجيكا مرشح للانتخابات اسمه ميشيل ، فتصدى له رجل شيوعي لينافسه • فعمد الشيوعيون فى دعايتهم الى اسلوب السخرية فأتوا بحمار وكتبوا على ظهره العبارة التالية :

« اني انتخب ميشيل » •

وطافوا بهذا الحمار فى ارجاء المدينة •

* * *

تلك نماذج من دعايات مارستها الصهيونية والنازية والشيوعية • وكانت الغاية الحقيقية لكل واحدة منها هي الرغبة فى السيطرة على جميع اجزاء العالم • وكانت الطريقة المتبعة فى كل منها هي لبس الحق بالباطل •

ومع ان الناس فى كل زمان ومكان يسيئون الظن بلفظ (الدعاية) فانهم لا يستطيعون أن يبرأوا من الخضوع لها والتأثر بها والعمل على تحقيق الهدف الذى تسعى اليه • ومن أجل ذلك قالوا عن الدعاية انها قوة سياسية جديدة ، ونظروا الى الدعاية على انها اكبر انواع الضغط الاجتماعي فى القرن العشرين ـ قرن الدعاية كما يقولون •

بغداد — عبد اللطيف حمزة

خاتمة

حرية الاعـلام

ليس خيرا من ان نختم هذا الكتاب بكلمة نعرض فيها لاكبر قضية تشغل بال الناس فى هذا العصر الذى نعيش فيه • وهى القضية الخصة بحرية الاعلام •

ان اول عبارة وقع عليها نظر القاريء لهذا الكتاب هى العبارة التى تقول : (ان الرأ ىالعام والاعلام وجهان لعملة واحدة • وهذه العملـة هي الحرية) • ونريد ان نعود الى تفسير هذه العبارة وذلك فى معـرض الكلام عن هذه القضية الهامة •

سبق لنا ان ارتضينا تعريفا للاعلام ، هو التعريف الذى يقول (ان الاعلام تعبير موضوعي لعقلية الجماهير وميولهم واتجاهاتهـم) • غير ان اتجاهات الجماهير وميولها الدالة على عقولها كانت فى اول أمرها عبارة عن اتجاهات فردية ، وسلوكا شخصيا •

ثم انضمت هذه الاتجاهات الفردية بعضها الى بعض وامتزج بعضهـا فى بعض ، وتألف من هذا المزج ما يسمى (بالرأي العام) او (الاتجاه العام) ثم جاء الاعلام فى نهاية الشوط فوجد نفسه مسؤولا عن التعبير عن الرأى

العام والاتجاه العام بوسائله المعروفة التى منها الصحافة والاذاعة والكتب والخطب وغير ذلك .

ان معنى ذلك انه اذا اعطيت الحرية للافراد فى التعبير عن آرائهم الذاتية ومناقشاتهم العامة حول مشكلة من المشكلات او حادثة من الحوادث أدى ذلك بطبيعة الحال الى انتقال هذه الحرية فى التعبير من الافراد الى الجماعات . واذا اتى دور الاعلام للتعبير عن هذه الآراء الفردية التى تحولت الى آراء جماعية فان هذا الاعلام لابد ان يكون موسوما هو الآخر بسمة الحرية .

والخلاصة ا نالمناقشة الحرة هى الشرط الاول فى الوصول الى حرية الاعلام . وهذا هو المعنى المقصود من العبارة التى تقول (ان الحرية فى ذاتها تشبه العملة التى يتداولها الناس فى الاسواق . ولعملة الحريـة وجهان : اولها الرأى العام . وثانيهما الاعلام) .

اتفقت دساتير العالم على ان لكل فرد منأفراد المجتمع مطلق الحق فى ان يعبر عن رأيه ما دام قادرا على ذلك عن طريق الصحف او الكتب او الاذاعة او الخطابة او الاتصالات الشخصية وغير ذلك من وسائل الاعلام المختلفة .

ومن هنا قيل فى معنى حرية الصحافة انها حرية الطبع والنشر بدون اجازة سابقة من الحكومة ـ بشرط ان يكون ذلك فى حدود القانون .

وذلك ما نصّت عليه المادة الحادية عشرة من حقوق الانسان . وقد جاء فيها :

ان التداول الحر للافكار والآراء حق من حقوق الانسان . فلكل مواطن الحق فى ان يتكلم ويكتب ويطبع بصورة حرة . وهو مسؤول عن

سوء استعمال هذه الحرية فى المجالات التى يحددها القانون •

معنى جديد لحرية الصحافة

غير انه بظهور (الاشتراكية) نظر الناس نظرة جديدة الى حرية الصحافة • وبثوا هذه النظرة الجديدة على أساس اقتصادى الى جانب الاساس القديم • وهو الاساس السياسى •

ومعنى ذلك ان « حرية الصحافة لم تعد محصورة فى المعنى السياسى كما كانت من قبل ولكنها تعدت ذلك الى المعنى الاقتصادى • فأصبحت تهدف الى التحرر من الخضوع لرأس المال »[1] وبعبارة اخرى ـ تهدف الى التحرر من الافراد القلائل الذين مكنتهم ظروفهم الاقتصادية من جمع رؤوس الاموال التى اصدروا بها الصحف • ولهذا السبب أصبح هؤلاء هم وحدهم اصحاب الحق الاول فى وضع سياسة الصحيفة ، واصحاب الحق الاول فى تحريرها واخراجها بالشكل الذى يرضى نوازعهم ، ويحقق مصالحهم • اما مصلحة الشعب فتأتى فى الدرجة الثانية بعد ذلك •

هل هناك حرية صحافة :

نعم ـ تغير مفهوم الحرية الصحفية من جيل الى جيل ، ومن نظرية الى نظرية •

ولكن ـ هل صحيح ان لحرية الصحافة والاعلام بوجه عام وجود ما فى عالم الامس وعالم اليوم ؟

لقد اجبنا عن هذا السؤال فى تضاعيف هذا الكتاب بالنفى التام • ونريد الآن ان نوضح بعض الاسباب التى بنينا عليها هذه الاجابة •

---

(١) عبداللطيف حمزه • أزمة الضمير الصحفي • فصل بعنوان : معنى جديد لحرية الصحافة ص ٤٠ ـ ٥٠ •

وسنعرف من استعراضنا لهذه الاسباب ان حرية الاعلام ـ وان كانت مفقودة بوجه عام ـ فان فقدانها ليس معناه ان الاعلام لا يؤدى وظيفة فى نقل الاخبار وتبادل الافكار وتقدم البشرية وتنوير الرأى العام ونحو ذلك .

كلا ـ فان الاعلام يقوم بكل هذه الوظائف .

ولكن لو حظى هذا الاعلام بحرية اوسع وسلطة أكبر لتقدمت الانسانية أشواطا ابعد من هذا الشوط ، ولاقترب الناس من السلام ومن المثل العليا باكثر من هذا الحد .

ومع هذا وذاك فنحن لا نيأس من بلوغ اليوم الذى يحظى فيه الاعلام بحرية كاملة . ونحن نستند فى ذلك الى تقدم العقل البشرى فى العلم وفى الفن وفى عالم الاخلاق والمثل .

الاسباب التي تعوق حرية الاعلام

ونعود الى بيان الاسباب التى تعوق من حرية الاعلام وتقف حجر عثرة فى سبيله وهى كثيرة بطبيعة الحال نكتفى منها بالاسباب التالية :

اولا ـ وجود اختلاف بين النظريات الاعلامية الاربع من حيث هي ، وقد اشرنا الى هذه النظريات بايجاز فى هذا الكتاب . وشرحناها باسهاب في كتاب آخر بعنوان (الاعلام له تاريخه ومذاهبه) . وهذه النظريات الاربع هى :

نظرية السلطة ، ونظرية الحرية ، ونظرية المسؤولية الاجتماعية ، والنظرية السوفيتية .

وبالرغم من وجود الاختلاف بين هذه النظريات ، فان ثلاثا منها على الاقل لم تسمح بوجود الحرية الصحفية . وهذه النظريات الثلاث هى : نظرية السلطة ، والنظرية السوفيتية ، ثم نظرية المسؤولية الاجتماعية .

وواحدة فقط من هذه النظريات الاعلامية • وهى نظرية الحرية تسمح بوجود هذه الحرية • ولكن هذه النظرية لم تصبح صالحة لكثير من شعوب العالم فى الوقت الحاضر • بل ان هذه الشعوب تنظر الى هذه الحرية على انها نوع من الفوضى التى لاتساعد على بناء المجتمعات النامية بوجه خاص •

لقد كانت ـ وما زالت ـ حجة القائلين بالنظريات الثلاث التى لم توافق على حرية الصحافة هى ضرورة المحافظة على النظام القائم • ويكفى ذلك لكي نجد المسؤولين عن المحافظة على هذا النظام يعمدون الى تقييد الصحافة ، ويضعون فى عنقها الاغلال والسلاسل •

ثانيا ـ تتمثل هذه الاغلال والسلاسل فى شكل قوانين منظمة للصحافة وفى شكل رقابة تفرض على الصحف من الناحية السياسية والايديولوجية • وهو أمر معروف فى تاريخ الصحافة فى جميع انحاء العالم • ولا يحتاج منا الى مزيد من الشرح •

ثالثا ـ تحوّل الصحافة فى العصر الحديث الى صحافة تحتاج الى استخدام الآلات الكثيرة فى اصدار الصحيفة • وهي آلات معقدة ومرتفعة الثمن بحيث اصبح يستعصي على الافراد القيام باصدار الصحف • ومن ثم قامت بهذا العمل شركات رأسمالية فى الدول التى تتبع النظام الحر • كما قامت بهذا العمل حكومات بذواتها فى الدول التي تتبع النظام الشيوعي • واما الدول التي تتبع النظام الاشتراكي المعتدل فانها عهدت القيام بهذا العمل الى ما يسمى « بالاتحاد الاشتراكي » فى هذه الدول •

ومعنى ذلك انه بسبب تحكم الرأسمالية فى صناعة الصحف والاذاعة والسينما لجأ المذهب الشيوعي الى (تأميم الصحافة) • ولجأ المذهب

الاشتراكي المعتدل الى (تنظيم الصحافة)[1] .

ومع ان هذا هو الحل السليم لمشكلة الخضوع لرأس المال من جانب الصحافة فاننا نجد ان حرية الصحافة انتقلت بهذا الحل من أيدي الرأسمالية الى يد « الحزب الواحد » في الاتحاد السوفيتي ، ويد (الاتحاد الاشتراكي) في الدول الاشتراكية المعتدلة . وما زال الكثيرون جدا من المواطنين القادرين على التعبير عن آرائهم في جميع هذه الدول التي اشرنا اليها محرومين من هذا التعبير .

واذا كان هذا صحيحا بالقياس الى الدول الشيوعية والدول الاشتراكية، فانه أصح بالقياس الى الدول الرأسمالية التي حصرت حرية الصحافة في أيدي اصحاب الصحف ، او اصحاب رؤس الاموال التي اعتمدت عليها هذه لصحف .

وفقدان الحرية الصحفية بكل صورة من الصور المتقدمة يعود على المجتمعات نفسها بضرر كبير في الحقيقة . ذلك أن الصحافة الحرة تعتبر نوعا من الاستفتاء النزيه للأمة . ذلك ان الصحف تستطيع دائما أن تعبر عن رغبات الجماهير واتجاهات الشعوب . ومن اقوال الانجليز المشهورة في ذلك :

خير لنا أن نكون بدون برلمان ، من أن نكون بدون حرية صحافة . والافضل ان نحرم من المسؤولية الوزارية ومن الحرية الشخصية ومن حق التصويت على ان نحرم من حرية الصحافة . ذلك انه يمكن لهذه الحرية وحدها ـ ان عاجلا أو آجلا ـ أن تعيد جميع الحريات الاخرى .

---

(١) لمن اراد الاستزادة في هذا الموضوع ان يرجع الى كتاب (ازمة الضمير الصحفي) للمؤلف .

رابعا ـ وجود صعوبات كثيرة امام حرية الصحافة تخالف فى طبيعتها الصعوبات التي تحدثنا عنها • وتكمن هذه الصعوبات الجديدة وراء القائمين على وسائل الاعلام على اختلافها •

فلاغراض شخصية ، واخرى سياسية نجد ان كل وسيلة من وسائل الاعلام المعروفة لاتحاول أن تتوخى الحقيقة • ولكن تجمع فى نشراتها الاخبارية بين الحقائق والاكاذيب وتخلط فى ذلك بين الانحراف والنزاهة وتضلل القارىء او السامع بهذه الطريقة ولايكاد يبرأ من ذلك اى ضرب من ضروب الاعلام فى اية جهة من جهات العالم الذى نعيش فيه •

على ان هذه الموانع التي تمنع من حرية الاعلام او الصحافة ، الى اذاعات مختلفة او قراءة الصحف المتباينة • وهو يعتمد فى ذلك على الفكرة التي تقول : ان الحقيقة دائما تقع فى مكان وسط بين طرفين •

على ان هذه الموانع التي تمنع من حرية الاعلام او الصحافة ، وتضعف من وجودها قد تكمن كذلك فى نفس السامع او القارىء • فقد لا يكون عند أحدهما الاستعداد النفسى لفهم الاخبار كما ترد اليه من الصحافة او الاذاعة • وقد لايكون عندهما الاستعداد الذهني لفهم الكلمة التى تنقل بوساطتها الاخبار والافكار • ومن ثم يهتم علماء الاعلام ـ كما سبق شرح ذلك فى غضون هذا الكتاب ـ بمعاني الكلمات ومدلولات الالفاظ وقدرتها على الايحاء • ولا ينجح الاعلام باى شكل من اشكاله المعروفة مالم تبذل فى سبيله العناية التامة بهذه القضايا • ومنها قضية الالتباس الذى توصف به بعض الكلمات • وكما يقع الالتباس فى الكلمة يقع فى الجملة ويقع في المضمون العام • وهنا يصبح القارىء او السامع معذورا فى عدم قدرته على المتابعة •

وهنا يفقد الاعلام قصده ويضل طريقه ، وتنعدم الحرية الاعلامية ذاتها وتحرم من تادية وظيفتها .

خامسا ـ من الاخطار المحدقة بحرية الاعلام ـ ولعله اخطرها ـ عدم انتشار التعليم وخاصة فى الدول المتخلفة او النامية . ذلك ان الجهل يعوق عن فهم الاخبار وتبادل الافكار . وبذلك تمتنع على الجاهل ان ينتفع بها أو يعلق عليها او يؤلف لنفسه رأيا فيها .

وتكون النتيجة انتشار (الامية الاعلامية) فى جميع الدول المتخلفة . والامية الاعلامية مرض من امراض هذه الدول المتخلفة ينبغى لها التفكير فى علاجه بطرق كثيرة . منها نشر التعليم والاخذ باسباب الثقافة وتنوير الجماهير . وبدون ذلك لاتتمتع هذه الدول بالاعلام ولا بحرية الاعلام ولاتشارك فى القضايا العامة التى تهم هذه الدول .

سادسا ـ غلبة الدعاية على الاعلام الى الحد الذى يمنع الاعلام من تأدية وظيفته فضلا عن انها تحرمه حرمانا تاما من ممارسة حريته .

ان الدعاية تبدو فى كل زمان ومكان على وجه الارض وكانها اقوى من الاعلام ، وانها اكثر استهواء للناس ، واعمق تأثيرا فى عواطفهم . والناس فى كل زمان ومكان يخضعون لحكومة العواطف اكثر من خضوعهم لحكومة المنطق والعقل . وهذا هو أحد الاسباب التى جعلت الغلبة للدعاية على الاعلام .

ان الدعاية الصهيونية تقف الان حجر عثرة امام الاعلام العربي ، وتمنعه من ممارسة حريته فى مكافحة الدعاية الصهيونية القوية فى كل من امريكا واوروبا . ولولا هذه الدعاية لاستطاع الاعلام العربي أن يقف الامريكيين والاوربيين على كثير من الحقائق التاريخية والسياسية التي

يجهلونها عن قضية العرب •

ان صوت الاعلام العربي غير مسموع بتاتا فى بلاد كالولايات المتحدة الامريكية وذلك باستثناء الجمعية العامة للامم المتحدة ومع هذا وذاك فان فى وجود هذه المنظمة العالمية فى نيويورك ما يسمح للدعاية الصهيونيـــة بالتأثير فى كل من القارة الافريقية والقارة الاسيوية وذلك ما قد حدث بالفعل فى الرابع من شهر يولية (تموز) سنة ١٩٦٧ على مشروع الدول غير المنحازة الذى يقضى بانسحاب الجيوش الاسرائيلية بدون قيد او شرط وذلك من جميع المناطق العربية التى احتلتها نتيجة للحرب الخاطفة التى وقعت بين العرب واسرائيل بين الخامس من يونيه (حزيران) والحادى عشر من هذا الشهر سنة ١٩٦٧ •

سابعا ـ ليست الدعاية فقط هي التى تمنع الاعلام من ممارسة حريته والقيام بوظيفته • ولكن هناك عاملا آخر يعتبر مسايرا للدعاية فى ذلك وهو (الاعلان) •

فكثيرا ما نرى الاعلانات تهدف الى خداع الرأى العام وتشـــويه الحقائق •

ان الاعلان يستطيع أن يعرقل سير الاعلام ويحرم حريته بمثل هذه الطرق :

أ ـ شغل مساحات كبيرة من الجريدة كان ينبغى ان تكون للاعلام ولكن الجريدة فى هذه الحالة تقدم مصلحة المعلنين على مصلحة القراء • وبذلك تبتعد هذه الجريدة عن معنى النزاهة والاستقامة ، وتعرض نفسها للخطر فى النهاية •

ب ـ محاربة الاراء التقدمية والافكار التقدمية عن طريق حرمـــان

الجرائد التى تنشر هذه الاراء والافكار من الاعلانات ، وايثار الجـــرائد الاخرى بهذه الاعلانات • وبذلك تسير الجرائد الحرة الى الافـــلاس • وتظل الجرائد غير المستقيمة لتحول دون تقديم الاراء السليمة والافكـــار الصالحة للمجتمع •

ان مثل هذا السلوك من جانب اصحاب رؤوس الاموال من شأنـه ان يعوق سير الحرية الاعلامية ويعتبر فى الوقت نفسه اعتداء عـــلى حريـة الرأى •

ثامنا ـ وهذا الذى تصنعه الدعاية من جهة ، ويصنعه الاعلان من جهة ثانية هو بعينه ما يحدث عن طريق ما يسمى فى العالم الغربي باسم « التكتلات الصحفية » • وهي عبارة عن مجموعات الصحف التى تنتظم حلقاتها فـي سلسلة واحدة • وتشمل الواحدة منها عشرات من الجرائد والمجـــلات يملكها رجل واحد أو شركة واحدة • وفى استطاعة هذه التكتلات هـى الاخرى أن تعوق حرية التعبير فى البلاد التى تصدر فيها بحيث لاتدع مجالا للافراد والجماعات والهيئات لكي تفصح عن رأيها فى مشكلة أو حادثة •

ان أصحاب هذه الكتل أو السلاسل الصحفية يضعون للصحف التي يملكونها خطة صحفية لابد من تطبيقها فى كل صحيفة من صحف الكتلة • وبذلك يسدون الباب فى وجه الملايين من المواطنين حتى لايفكر أحدهم فى ابداء رأى او عرض اقتراح او ترويج فكرة من الافكار مهما كانت مفيدة للمجتمع •

وهكذا يبدو الخطر على حرية الصحافة من عدوها الاول والاخير • ونعنى به تحكم الرأسمالية فى جميع مرافق الحياة فى الدولة التى يشيـع فيها نظام الاحتكارات الاعلامية على هذا النحو وهكذا نرى الصحافة فـي اكثر ارجاء العالم مهددة باخطار ثلاثة وهي :

أ ـ الضغط عليها من جانب الحكومات •

ب ـ التحكم فيها من جانب رأس المال •

جـ ـ الانحرافات الخطيرة من جانب المحررين وهؤلاء المحررون قلما يبرأون من التحيز اما للحكام بغير حق ، واما لاصحاب رءوس الاموال طمعا فى الابقاء عليهم • ولكنهم بهذا وذاك كثيرا ما يضحون بمصلحة الشعب •

(وبعد) فأن الاسئلة التى تقفز فى اذهاننا دائما عندما نخوض فـــى موضوع حرية الاعلام هي كما يلي :

هل الصحافة عمل مستقل عن الحكومة ؟ وهل فى استطاعة الصحف أن تستغني عن الامـــوال الضخمة اللازمـة لاصدارها فى عصر اصبحت فيه الصحافة صناعة من اعقد الصناعات ؟

وهل نجحت النظم الاشتراكية فى ايجاد حل لمثل هذه المشكلات التى نجمت من كون الصحافة اصبحت صناعة ؟

وهل ظفرت الصحافة نفسها برجال على جانب كبير من متانة الاخلاق يسمح لهم بالتضحية بمصالحهم الخاصة فى سبيل المصلحة العامة ؟

وهل هناك أمل فى ان تتخلص الصحافة يوما ما من جميع هذه الافات المهلكة ؟

وهل استطاعت الاتفاقيات الدولية وآداب مهنة الصحافة أن تجد حلا لجميع هذه المشكلات وعلاجا لهذه الآفات ؟

هل استطاعت ان تحارب الانحرافات الخلقيـــة ، وان تحـــارب الرشوة الصحفية ؟

وهل استطاعت الحكومات ان تفرض الرقابة الدقيقة على الدخول

الصحفيـة حتى تطمئـن الى ان الصحف لا تمـدّ يدها الى بعض الدول الاجنبية ؟

لست انكر ان الدول والشعوب اجهـدها التفكير فى جميع هـذه المشكلات • وهداها التفكير الى بعض الحلول المفيدة •

ولكن بقيت بعد ذلك مسألة فى غاية الاهمية وهي أن النظـام أو الدستور الصحفي شيء ، وتطبيق هذا النظام أو الدستور شيء آخر •

من اجل ذلك نقول ـ ونصرّ على ما نقول ـ ان الصحافة لا ينبغي أن تترك لرجل جاهل قليـل الحظ من العلم والثقافـة • فان الجاهل من الناس عاجز دائما عن اعطاء الآراء السليمة •

وحرية الصحافـة لا ينبغي أن تعطى لاصحاب الاخلاق الفاسـدة والنوايا السيئة والانحرافات الضارة • لأن هؤلاء اذا أعطوا هذه الحرية اساءوا ستعمالها وتوسلوا بها الى العبث بأعراض الناس ومصالحهم الحيوية ، والى تهديد الناس فى مقدراتهم ومكاسبهم وارواحهم فى النهاية •

من اجل ذلك نجد ان لكل امة من الامم صحافتها التي تستحقها • كما نجد ان الحرية الصحفية الحقيقية لا يمارسها الا كتاب ومحررون ينتمون الى أمم شريفة وقوية •

عبداللطيف حمزة

مَلاحق البحث

الملحق الاول

مذكــرة

نقلت عن ادارة الاعلام بالامانة العامة

لجامعة الدول العربية

النشاط الصهيوني في افريقيا

(اولا) عرض عام

بدأت اسرائيل خطتها للتسلل الى شتى اقطار افريقيا عقب مقررات مؤتمر باندونج عام ١٩٥٥ الذى اعتبرته بمثابة ضربة سياسية من جانب العرب بعزلها عن الدول الافرو آسيوية ، فشرعت منذ ذلك الحين تؤيدها وتدفعها الصهيونية العالمية متحالفة مع الاستعمار الرأسمالى الغربي فى الزحف الى القارة الافريقية ملتفة حول الحصار العربي كوسيلة انتقامية تكسر بها حدة هذا الحصار ، وكانت خطة اسرائيل من الدهاء والاحكام بحيث شملت كافة مجالات الحياة وساعد فى الاعداد لها وتنفيذها بنجاح التقاء أهداف بعض الدول الاستعمارية مع أهداف اسرائيل فى محاولة السيطرة على بلدان افريقيا الحديثة العهد بالاستقلال .

وقد وضعت الدول الاستعمارية بالاشتراك مع الصهيونية العالمية مخططا يسهل من مهمة اسرائيل فى التسلل الى الدول النامية وهو على الوجه التالى :

١ ـ تمويل الدول الغربية المخطط الاستعمارى الصهيوني ليكون تحت تصرف اسرائيل رأس المال اللازم والسماح لاصحاب رؤوس الاموال وغيرهم بالاشتراك فى هذا التمويل .

٢ ـ اصدار الاوامر الى البنوك الاوربية والامريكية لضمان القروض والمساعدات التي تقدمها اسرائيل الى دول آسيا وافريقيا .

٣ ـ تقديم البنوك الاوروبية والامريكية الاموال اللازمة لتمويل المشاريع الاقتصادية والشركات التي تقوم اسرائيل بانشائها فى الدول الآسيوية والافريقية .

٤ ـ مد اسرائيل بالخبراء والفنيين لارسالهم مع الخبراء والفنيين الاسرائيليين الى اقطار آسيا وافريقيا •

٥ ـ انشاء مشاريع انتاجية للبضائع اللازمة لدول آسيا وافريقيا باقامة هذه المشاريع فى اسرائيل وفى البلاد الآسيوية والافريقية ووضعها تحت اشراف اسرائيل •

٦ ـ سعي الدول الاستعمارية الى خلق علاقة بين زعماء الدول الآسيوية والافريقية وبين اسرائيل •

وتتبع اسرائيل فى تسللها الى آسيا وافريقيا مخططا يشمل المراحل التالية :

اولا ـ مرحلة الدراسة :

١ ـ العمل فى الميادين التي تملك اسرائيل فيها الامكانيات والخبرة الفنية •

٢ ـ التيقن سلفا من جدوى فائدة أى مشروع تتقدم به الى الدول التي تريد التسلل اليها •

٣ ـ التشدد والحيطة فى انتقاء خبرائها الوافدين الى هذه الدول •

٤ ـ زيادة التشدد واظهار حسن النية وتشترط اسرائيل حضور ممثلين عن الدول المراد التسلل اليها لزيارتها ومشاهدة ما يلائمهم والتعرف على ما تتطلبه بلادهم •

ثانيا ـ مرحلة الدعاية :

١ ـ ايضاح أن التعاون مع دول آسيا وافريقيا خال من أي مطمع استعمارى •

٢ ـ ابراز رحلة ملكة سبأ الى بيت المقدس وتكريم الملك سليمان لها.

٣ ـ التكلم باستمرار عن الآلام التي قاساها السود بسبب لون بشرتهم واليهود بسبب دينهم .

٤ ـ اظهار ان اسرائيل دولة صغيرة فقيرة فى مواردها ولكنها حديثة فى شأنها .

٥ ـ اظهار العرب بمظهر المعتدي على اليهود كما اعتدوا فى الماضى على السود أيام تجارة الرقيق .

٦ ـ محاولة الايقاع بين الـ ج.ع.م وبين الدول الصديقة لهـا فى آسيا وافريقيا .

ثالثا ـ مرحلة التنفيذ العملي :

١ ـ المبادرة بالاعتراف باستقلال الدول المستقلة حديثا .

٢ ـ تأسيس علاقات دبلوماسية متينة مهما كلفها ذلك من نفقـات معتمدة على مساعدات الدول المستعمرة لهذه البلاد .

٣ ـ وضع المعونات الفنيـة والماليـة ورؤوس الاموال تحت تصرف تلك الدول .

٤ ـ عقد الاتفاقيات الاقتصادية والثقافية مع تلك الدول .

وهناك عوامل أخرى تستخدمها اسرائيل لتسهيل مهمتها بشأن التسلل فى الدول الافريقية وذلك عن طريق :

١ ـ المفكرين والطبقة المتعلمة ومدخل اسرائيل اليهـم الاشتراكيـة والديمقراطية المزعومة فى اسرائيل، وأبرز صورة لهذا المخطط عقد مؤتمر الأشتراكية الدولية فى حيفا فى يونيه عام ١٩٦٠ ، دعيت اليـه دول من آسيا وافريقيا .

٢ ـ العمال : ومدخلها اليهم الهستدروت والمزارع الجماعية وقد قامت الهستدروت باتصالات حديثة بالعمال والحركات العمالية والثقافية فى افريقيا كما أقامت فى تل ابيب معهدا دائما للدراسات العمالية « النقابية والتعاونية » للطلاب من دول آسيا وافريقيا •

ويقوم اعضاء الهستدروت بالسفر الى الدول الافريقية المستقلة حديثا ويعرضون عليهم النظم المتبعة فى الهستدروت وكيف نجحت فى تطوير اسرائيل وقد عينت الهستدروت فى عام ١٩٥٩ ممثلا دائما لها فى غرب افريقيا ويدعى « زفي هارمر » •

٣ ـ أجهزة الحكم ومدخلها اليها التدريب المهني والتنظيم الادارى

٤ ـ الجيش ومدخ لهااليه بعثات التدريب العسكرى •

٥ ـ التجارة وتركز اسرائيل على وسائل المواصلات والنقل مثل الخطوط البحرية والجوية •

٦ ـ التنمية وتركز اسرائيل على الاستثمارات التي تعود بالنفع على الصناعات الاسرائيلية ، ونخص بالذكر الاسمنت والكيماويات •

رابعا ـ عوامل أخرى مساعدة :

١ ـ العملاء المعتمدون للصهيونية والاستعمار •

٢ ـ المجلات والصحف اليهودية أو المؤيدة لاسرائيل •

٣ ـ رشوة الاحزاب المعارضة لها •

٤ ـ الجمعيات الماسونية •

٥ ـ الجاليات والمنظمات اليهودية وما لها من جمعيات وهيئات •

المطبـــوعات :

يبلغ عدد الصحف اليهودية التي تصدر فى افريقيا باللغات المحليـــة

المختلفة ٤٢ صحيفة ما بين يومية واسبوعية ونصف شهرية .

الاذاعـة الموجهـة :

تخصص اسرائيل اذاعات موجهة الى دول افريقيا باللغات المحليـة المختلفة لتبث دعاياتها السامة .

ولكي نلقي ضوءاً كافيا على نشاط اسرائيل فى افريقيا يجدر بنا أن نقسم هذا النشاط على الوجه التالى :

(أ) نشاط دبلوماسي .
(ب) نشاط تجارى ومالى .
(جـ) نشاط ثقافي وفني .
(د) نشاط عسكرى .

(أ) النشاط الدبلوماسي :

تسارع اسرائيل باقامة علاقات دبلوماسية كاملة مع الدول الافريقيـة التي تنال استقلالها ، الامر الذى يظهرها بمظهر الدولة المحبـة لاستقلال تلك الدول العطوفة على حركات تحررها ويعقب ذلك عادة تقديم مساعدات شتى فى صور متعددة . فلاسرائيل الآن ٢٦ سفارة وقنصلية فى افريقيـا ويحرص المسؤولون فى اسرائيل على القيام بجولات داخل الدول الافريقية بصورة دورية كان آخـر هذه الزيارات تلك التي قام بها « موشى ديان » وزير الزراعة الاسرائيلى السابق لدول غرب افريقيا فى نهاية عـام ١٩٦٤ وزيارة جولدا مائير لدول شرق افريقيا فى نوفمبر من عام ١٩٦٤ ثم الزيارة الاخيرة التي قام بهـا اشكول رئيس وزراء اسرائيل فى شهر يونيـه عام ١٩٦٦ لسبع دول افريقية هي :

اوغندا ـ ليبريا ـ ساحل العاج ـ مالاجاش ـ السنغال ـ الكونغـو

ليوبولدفيل ـ وكينيا •

وتحرص اسرائيل دائما على دعوة واستضافة رؤساء الدول الافريقية وبصفة خاصة رؤساء المجموعة الفرنسية وزعماء الاحزاب السياسية وكبار المسؤولين فى نقابات العمال واتحادات النقابات الاخرى ، وبصفة خاصة اتحادات الصحفيين وأفراد أجهزة الاعلام الافريقية •

(ب) النشاط التجارى والمالى :

ويتمثل هذا النشاط فى مظاهر عديدة ومتشعبة نورد منها فى :

ـ **نيجيريا :** تقوم شركة سوليل بونيه الاسرائيلية بشق طريق طوله ٧٥٠ ميلا فى غرب نيجيريا كما تتولى مشروعا لتعميم مياه الشرب فى مئات من المناطق السكنية ، وفى شرق نيجيريا أتمت نفس الشركة بناء جامعة شرق نيجيريا كما قامت ببناء فندق ومركز لتوزيع المياه •

ـ **سيراليون :** اتمت الشركة السيراليونية الاسرائيلية للتعمير بناء القاعدة الرئيسية بمبنى المجلس النيابي كما أوفدت وزارة العمل الاسرائيلية أحد كبار المهندسين لاعداد دراسة تخطيطية تمهيدا لاعادة بناء وتخطيط العاصمة فريتاون •

ـ **مالي :** تقوم اسرائيل حاليا ببناء عدد من المشروعات الصناعية ، كما أعد أخيرا برنامج للتعاون الاقتصادى بين البلدين •

ـ **السنغال :** تولى خبراء من اسرائيل وضع مشروع لاقامة مزارع نموذجية على نمط قرى الحدود الاسرائيلية (الكيبوتس) ويجري تنفيذ هذا المشروع حاليا •

ـ **ساحل العاج :** قامت شركة « مايز اخوان الاسرائيلية ببناء فندق فى أبيدجان بناء على اتفاقية قرض وقعت لهذا الغرض •

- **الكونغو برازافيل :** تتولى شركة اسرائيلية كنفيذ مشروع ضخم لقطيع أخشاب الغابات وتصنيعها بما يفي حاجة اسرائيل من الاخشاب ويتيح لها فائضا كبيرا تصدره الى الخارج .

- **كينيا :** تتولى شركة اسرائيلية بناء سلسلة من الوحدات التعاونية لصالح العمال والمزارعين وصيادي الاسماك وتعهدت حكومة اسرائيل بادارة هذه الوحدات والانفاق عليها لمدة عشرين عاما تؤول خلالها نصف أسهمها الى المواطنين الكينيين .

كما توصلت الحكومة الاسرائيلية الى اتفاق مع اتحاد تجار افريقيا الشرقية يقضي بمنحهم قروضا طويلة الاجل يتم تسديدها فى عشرين عاما بفائدة ٥ ٪ سنويا وأهم ما يسترعي الانظار فى هذه الاتفاقية أنها تضمنت شروطا تحظر على تجار افريقيا الشرقية الداخلين فى هذه الاتفاقية استيراد السلع من أية دولة اجنبية أخرى سوى اسرائيل وتتولى شركة التجارة الخارجية والتموين التابعة لمؤسسة راسكو الاسرائيلية تنفيذ هذا الاتفاق الذى أمكن بواسطته مضاعفة صادرات اسرائيل الى كينيا .

- **الحبشة :** أسفرت زيارة موشي ديان وزير الزراعة السابق للحبشة عام ١٩٦٠ عن اتفاقية مكنت للتغلغل الاسرائيلي فى ارتريا ، وكان من أهم بنودها استيلاء الشركات الاسرائيلية (اما عن طريق الشراء أو الامتياز مدى الحياة) على مساحات شاسعة من الاراضى الزراعية فى ارتريا الاسلامية .

وسمحت حكومة الحبشة لاسرائيل بارسال اسطول من قوارب الصيد الاسرائيلية يعمل حاليا على سواحل ارتريا والمحيط الهندى ويستعمل ميناء مصوع مجانا ودون دفع أية رسوم ومما يذكر ان معظم كمية الاسماك الوفيرة التي يستخرجها هذا الاسطول تذهب بانتظام الى اسرائيل عن طريق

ميناء ايلات حيث تدخل فى صناعات تعليب الاسماك .

ومن مظاهر النفوذ الاسرائيلي الذى بدأ يطغى على الحياة الاقتصادية فى الحبشة تلك الاعداد الكثيرة من الجزارين الاسرائيليين الذين أوفدتهم حكومة اسرائيل لذبح الماشية وفقا للتقاليد الدينية اليهودية ـ وتمكنت اسرائيل عن طريق استغلال الثروة الحيوانية الضخمة لارتريا والحبشة تمكنت من ضمان تزويد المصانع الكبيرة التي أقامتها فى ايلات وحيفا لغرض تصنيع اللحوم وتعليبها واعادة تصديرها الى شتى أقطار افريقيا .

هذا وقد أشارت مجلة ويست أفريكا البريطانية بتاريخ ١٥ـ٥ـ١٩٦٥ الى ان البضائع الاسرائيلية ترسل عادة الى الدول الافريقية عن طريق بواخر ديزنجوف التي تمولها مؤسسة « زيم » للملاحة وقد اشرفت هذه الشركة على نقل المزيد من البضائع الاستهلاكية الاسرائيلية والاسمنت الى غرب افريقيا .

وعددت المجلة أوجه النشاط المختلفة لمجموعة شركات « مايير » الاسرائيلية فى كل من ليبريا وساحل العاج بالاضافة الى ان شركة زيم للملاحة لازالت تشرف اداريا على بواخر شركة النجمة السوداء الغانية وان لم تعد تشارك فى التمويل ـ كما ان هناك أيضا اتفاقيات مشتركة بين معمل تكرير البترول فى حيفا ومعمل تكرير فريتاون (عاصمة سيراليون) لتبادل الخبراء .

(ج) النشاط الثقافي والفني :

من الامثلة العديدة لمظاهر النشاط الثقافي والفني الاسرائيلي فى افريقيا :

١ ـ ان حكومة اسرائيل تمكنت خلال فترة قصيرة ١٩٦١ ـ ١٩٦٤ من توقيع ٤٨ اتفاقية للصدقة والمعونة الفنية والثقافية مع ١٨ دولة افريقية

منها بورندى (يناير ١٩٦٣) جمهورية افريقيا الوسطى (ديسمبر ١٩٦٢) ، الكاميرون (ديسمبر ١٩٦٢) ، غانا (نوفمبر ١٩٦٢) ساحل العاج (ديسمبر ١٩٦٢) ليبريا (يناير ١٩٦٣) رواندا (ديسمبر ١٩٦٢) ، توجو (فبراير ٩٦٢) فولتا العليا (أغسطس ١٩٦١) .

هذا خلاف ما تم توقيعه بعد عام ١٩٦٤ مع دول افريقية اخرى مثل أوغندا وسيراليون وتنجانيقا وخاصة ما تم من اتفاقيات الصداقة والتعاون في المجالات المختلفة أثناء زيارة ليفي اشكول للدول الافريقية السبع التي أشرنا اليها.

٢ ـ قررت اسرائيل الاشتراك فى معرض الفن الزنجى الذى سيقام فى داكار فى سبتمبر عام ١٩٦٦[١] وحجزت مساحة كبيرة لهذا الغرض كما قررت المساهمة فى نفقات اقامة المعرض المذكور .

٣ ـ وقعت أخيرا اتفاقية بين مالي واسرائيل اثر الزيارة التى قام بها وزير مالية مالي لاسرائيل فى ١٧ سبتمبر عام ١٩٦٥ ، تعهدت حكومة اسرائيل بمقتضاها باعداد وتدريب مجموعة كبيرة من الشباب المالي لادارة وتسيير المؤسسات والمشروعات الصناعية المختلفة .

وثمة زيارة أخرى لاسرائيل قام بها السفير هاماياتي ياه الزعيم الاسلامي ومدير ادارة العلاقات الثقافية فى وزارة خارجية مالي حيث تخللت زيارته عدة محاضرات عن الدين الاسلامي ألقاها فى الجامعة العبرية ثم لم ينه زيارته الا بعد ان وقع اتفاقا مع حكومة تل ابيب لايفاد مجموعة من المعلمين الاسرائيليين للتدريس فى المعاهد الثانوية فى مالى .

٤ ـ الزيارة التي قامت بها بعثة من فتيات المنظمة الصهيونية العالمية

---

(١) صدرت المذكرة قبل هذا التاريخ ـ المؤلف .

للنساء حيث قمن بقضاء عدة أيام فى نيجيريا بدعوة من اتحادها النسائي ثم اتبعنها بزيارة غانا وليبريا وساحل العاج فى ضيافة حكومة هذه البلدان .

٥ ـ وقعت حكومة اسرائيل اتفاقا مع رئيس جمهورية تنجانيقا أثناء الزيارة التى قام بها لتل أبيب فى عام ١٩٦٤ تقضى بتزويد بلاده بـ ٥٠٠ طبيب اسرائيلى تدفع حكومة تنجانيقا ربع مرتباتهم بينما تتحمل حكومة اسرائيل ثلاثة ارباع هذه المرتبات .

٦ ـ ان حكومة اسرائيل يتبعها فى الوقت الحاضر ٣٠٠ خبير يعملون فى مختلف اوجه النشاط الاقتصادى والثقافى والفني فى الدول الافريقية بينهم ٢٣ خبيرا يتبعون أجهزة الامم المتحدة ووكالاتها بينما يعمل الباقون فى نطاق الاتفاقيات بين اسرائيل والحكومات الافريقية .

هذا الى جانب اكثر من ٢٠٠٠ طالب افريقى يتلقون العلم الان فى المعاهد المختلفة يتركز أغلبهم فى المعاهد الزراعية والتكنولوجية والمعهد الافروآسيوى الذى يشرف على نشاطه ويموله بعض المؤسسات الاسرائيلية التى لها مصالح خاصة فى افريقيا وعلى رأسها مؤسسة سوليل بونيه .

ويجدر بالذكر ان النشاط الاسرائيلي بوجه عام يبلغ ذروته بين دول المجموعة الفرنسية الامر الذى يكشف عن تواطؤ واضح بين اسرائيل وفرنسا سبق ان تجلت ملامحه فى سماحها للسفن وقوارب الصيد الاسرائيلية باستعمال مينائي جيبوتي (الصومال الفرنسي) وداكار (السنغال) كنقطتي انطلاق للنشاط الاقتصادي الاسرائيلي فى شرق القارة وغربها [١] .

---

(١) كان هذا قبل ان يتجه الرئيس ديغول بسياسة فرنسا اخيراً الى جانب العدل وتأييد العرب وشجب العدوان الاسرائيلي ـ المؤلف .

(د) النشاط العسكرى :

شرعت اسرائيل فى القيام بدور عسكرى خطير فى مناطق متفرقة من القارة الافريقية يتمثل فى الاتي :

١ ـ أرسلت وحدات عسكرية كاملة الى الكونغو ليوبولدفيل وانجولا سواء متخفين فى ملابس الجند المرتزقة او تحت ستار كونهم خبراء ومدربين عسكريين للوطنيين الافريقيين .

٢ ـ أنشأت اسرائيل ٢٧ مستعمرة فى شرق افريقيا (يتركز أغلبها فى كينيا وتنجانيقا) على طراز مستعمرات الناحل الاسرائيلية لغرض تدريب انشباب الافريقيى على الزراعة والجندية فى وقت واحد .

٣ ـ اقامت اسرائيل قاعدة عسكرية فى تشاد لتمارس منها الدور الذى تلعبه المستعمرات الاسرائيلية فى شرق افريقيا بالنسبة لمنطقتى غرب افريقيا وشرقها .

٤ ـ يشمل النشاط العسكرى تلك الدعوات التى توجه لوزراء الدفاع الافريقيين لزيارة المعاهد والمنشآت العسكرية الاسرائيلية وكان من أهم هذه الزيارات تلك التي قام بها وفد من الخبراء العسكريين لجمهورية توجو لغرض وضع خطة تشكيل قوة عسكرية لتوجو على غرار منظمة الناحال الاسرائيلية وكان من أهم الزيارات أيضا تلك التى قام بها أحد كبار ضباط الجيش فى مالي لدراسة نظام القرى المسلحة وحرس الحدود الاسرائيلي .

هذا وقد اوضح العقيد ناحمان كادني المسؤول عن ادارة المساعدات والعلاقات الخارجية فى وزارة الدفاع الاسرائيلية المساعدات العسكرية التى تقدمها اسرائيل بوجه عام حيث ذكر ان نشاط اسرائيل العسكرى يمتد الى

٢٥ دولة ومعظمها فى افريقيا والدول الاخرى فى امريكا الجنوبية وآسيا ـ وان اسرائيل تعمل بصفة خاصة فى الدول الافريقية التى تتحدث الفرنسية مثل ساحل العاج والسنغال وداهومي ، وتوجو ، والكاميرون وتشاد • واهم الطرق التي تستخدمها فى تقديم المساعدات هي تطبيق نظام الناحال او كما يسمى فى الدول الافريقية « الخدمة الوطنية » •

والواقع ان نشاط الناحال فى الدول الافريقية يمثل حسب احتياجات كل دولة وهدف اسرائيل كما يقول كادني أن يندمج رجل الناحال فـــى المجتمع الافريقى ويكون عنصرا قياديا يستطيع تحمل المسئوليات بفتـــح الطرق ومد خطوط السكة الحديد واقامة السدود •

ويضيف كادني ان الاساس الذي تقوم عليه الخدمة الوطنية في الدول الافريقية هو التطوع ، ويقبل للخدمة الوطنية شباب تتراوح اعمارهم بين ١٦ ـ ٤٠ عاما ونحن نعمل ما فى وسعنا لتجنب التصادم بين القبائل وزعاماتهم ويقول كادني ان الخدمة القومية استطاعت ان تزرع شعارا صهيونيا : ليس مهماً ماذا تستطيع ان تأخذه من الدولة • ولكن المهم ماذا تستطيع ان تقدمه لهذه الدولة •

ويتابع كادني قوله الذى نشرته صحيفة معاريف : ومنذ ان نشرنا فكرة الخدمة الوطنية فى افريقيا فان ثلث الجهود الدفاعية للدول الافريقية تذهب الى مشروعات التنمية •

أما فى اسرائيل فيقول كادني اننا نقوم بتدريب الافريقيين فى المجالات العسكرية المختلفة وبصفة خاصة تدريب المظليين من نيبال والكونغو •

وتحدث كادني عن نشاط الضابطات الاسرائيليات فى افريقيا وقال انهن يشرفن على مشروعين فى افريقيا :

المشروع الاول : فى ساحل العاج ضمن الخدمة الوطنية وبقيادة الضابطة رينا فارثت ومعها أربع ضابطات شابات أقمن مدرسة للعاملات الاجتماعيات فى ساحل العاج لكن يعملن في القرى •

والمشروع الثاني فى النيجر وتقوم به ضابطة اسرائيلية واحدة هي الملازمة راحيل عارمون ويبلغ سنها ٢١ عاما وهو الاشراف على نشاط البنات ضمن نطاق الخدمة الوطنية •

ويشير كادني فى حديثه ان النشاط الذي تقوم به اسرائيل فى افريقيا يتركز أساسا فى وزارة الدفاع والجيش ووزارة الخارجية وبفضل التعاون بين هذه الجهات الثلاث استطاعت اسرائيل ان تثبت وجودها فى افريقيا •

هذا وقد نشرت مجلة (بمحنيه) الاسرائيلية فى عددها الممتاز الذي صدر في ٦-٩-١٩٦٤ تقريراً وضعه موشي ديان وزير الزراعة الاسرائيلي الذي استقال من منصبه اثر عودته من زيارته لبعض البلاد الافريقية ، وقد أوضح التقرير جانبا من المشاكل التي تواجهها اسرائيل فى افريقيا ثم الفشل الذي منيت به من تحقيق الفائدة المرجوة للاسباب التالية :

١ ـ قلة عدد رجال البعثات الدبلوماسية الاسرائيلية وعدم خبرتهم فى معاملة الافريقيين •

٢ ـ ظهور الخبرا الاسرائيليين الذين يعملون فى هذه الدول بمظهر الكبرياء الامر الذي يباعد بينهم وبين السكان فضلا على أن الخبير الاسرائيلي يرفض أن يأكل طعام المواطنين أو يجلس فى مجالسهم أو يحترم عاداتهم •

٣ ـ لم يساعد فتح خليج العقبة على زيادة تذكر فى التبادل التجاري بين اسرائيل وافريقيا اذ لم يتعد حجم التبادل التجاري مع افريقيا عام ١٩٦٣ ١٪ من حجم التبادل التجارى الاسرائيلي ان لم يكن أقل فقد قال ديان : صدرنا الى افريقيا طول السنة بضائع

بمبلـــغ ٧٫٢ مليـــون ليـرة ـ وقـد وقعت فضائح مخزية في المجال التجاري لا بأس من ذكرها ـ فقد أنشأنا شركة خاصة تابعة للحكومة لانشاء محلات تجارية فى أقطار افريقيا كما ان هناك شركة خاصة شبه رسمية هى شركة « ديزنجوف » تقوم بالاعمال التجارية ـ والشركة الحكومية تبيع فى محلات تجارية فى مدن افريقيا ، أما شركة ديزنجوف فتقوم باعمال الاستيراد والتصدير وتبلغ خسائر الشركتين أكثر من ١٥ مليون دولار ـ ضاعت كلها فى تجارب ومحاولات تدل على عدم الخبرة وعلى الاهمال ، فقد ملأت الشركة الحكومية (الدات) مستودعاتها ومتاجرها بالسلع والبضائع ثم ظهر ان هذه البضائع لا يشتريها أحد فى أفريقيا فاضطرت الى اتلافها ، والغريب ان هذا يتكرر مرات كثيرة ، أما شركة ديزنجوف فكانت تضطر الى بيع البضائع التي تصدرها بأسعار أرخص كثيرا من سعرها فى اسرائيل لانها تريد منافسة البضائع المصرية والاوربية ـ كما ان الموظفين فى الشركتين كانوا يعقدون صفقات لحسابهم الخاص وقد أحرز بعضهم بهذه الطـــرق أرباحا كبيرة ورحلوا الى أوربا ليقيموا هناك .

٤ ـ ويقول ديان فى تقريره ان النشاط المالي ليس له أي تأثير ، فنحن دولة فقيرة نسبيا ودول افريقيا فى حاجة الى رؤوس أموال هائلة لاستثمارها ونحن نستعين برؤوس أموال يهودية من الخارج وهذا أمر مكشوف فضلا عن ان نفس المستثمرين اليهود من سويسرا وغيرها يفضلون العمل باسم الدول التي يقيمون فيها .

٥ ـ ان اسرائيل تبني الفنادق الضخمة التي يقيم فيها الاجانب ولا تهتم بمساعدة الاهالي على بناء مساكن مريحة لهم او تحسين شبكة المواصلات وايجاد وسائل نقل سريعة لنقل الانتاج الزراعي .

٦ ـ ان المستعمرات التي أقامتها اسرائيل فى افريقيا لتدريب الشباب

الافريقي تقوم بتدريبهم على الزراعة والجندية فى حين ان الافريقي مزارع وجندي بطبيعته •

٧ ـ ان الشباب الافريقي الذي يقضي فى اسرائيل ما بين ٣ و ٥ سنوات للتعلم والتدريب لايفيد بلاده بعد العودة وذلك لبعد ما تعلمه عن الواقع الافريقي •

ولعل تقرير موشي ديان رغم ما به من هجوم على النشاط الاسرائيلي يوضح ما تهدف اليه اسرائيل فعلا من التسلط على افريقيا ولهذا فانها تضع الخطط لتثبت أقدامها فى هذه المنطقة الهامة •

بعد ذلك تحدثت المذكرة التي أعدتها ادارة الاعلام بالامانة العامة لجامعة الدول العربية عن تطور علاقات اسرائيل ببعض البلدان الافريقية وذلك فى عشرين صفحة (فولسكاب) •

ولان العلاقات فى ذاتها اسلوب من أساليب الاعلام والدعاية فاننا مضطرون الى الاشارة العابرة اليها •

بدأت اسرائيل خطتها للتسلل الى شتى أقطار أفريقيا الحديثة الاستقلال عقب مقررات مؤتمر (باندونج) عام ١٩٥٥ الذي اعتبرته بمثابة ضربة سياسية من جانب العرب وعزلها عن الدول الافرو آسيوية • فشرعت اسرائيل منذ ذلك الحين بتأييد من الصهيونية العالمية متحالفة مع الرأسمالية الاستعمارية فى الزحف الى القارة الافريقية ملتفة فى ذلك حول الحصار العربي ليكون هذا الالتفاف وسيلة انتقامية من جانب اسرائيل تكسر بها من حدة هذا الحصار العربي • وكانت خطة اسرائيل فى ذلك تهدف الى السيطرة على بلدان افريقيا الحديثة الاستقلال •

وبذلك بدات علاقات اسرائيل بالدول الافريقية الآتية :

مالاجاش ، وأوغندا ، وكينيا ، وليبيريا ، والكونغو ليوبولدفيل ، والسنغال ، وساحل العاج ، وجمهورية شاد ، وسيراليون ، وغانا ، وداهومي .

وسلكت هذه العلاقات طرقا شتى منها الزيارات الرسمية التي يعقبها في العادة معاهدات صداقة تؤدي الى عقد اتفاقيات من شأنها أن تعمل على دعم مركز اسرائيل بين هذه الدول الافريقية النامية بوجه عام . وتتم هذه الزيارات بين الوزراء الاسرائيليين ووزراء الدول الافريقية ورؤسائها ، كما تقوم اسرائيل بارسال مندوبيها للاحتفالات القومية الرسمية لتلك الدول الحديثة الاستقلال . وهذا ما يظهر اسرائيل بمظهر الدولة المحبة للاستقلال والتقدم والعطوفة على الحركات التحررية .

ومن ذلك اشتراك (جولدا مايير) في الاحتفالات بأعياد استقلال كينيا . وقد تبع ذلك تطور في العلاقات الاقتصادية والعمرانية والعسكرية بين البلدين .

كذلك كان من أهم هذه الزيارات زيارة (ليفي أشكول) رئيس وزراء اسرائيل لبعض البلدان الافريقية في شهر يونيه (حزيران) سنة ١٩٦٦ . وهي الزيارة التي كان من شأنها زيادة العلاقات الاقتصادية والثقافية والعسكرية بين اسرائيل وتلك البلدان .

ويعقب تلك الزيارات في العادة تبادل التمثيل الدبلوماسي بين البلدين . كما يعقب ايضا تصريحات بالرغبة في الاستفادة مما حققته اسرائيل في مختلف ميادين الاعمار والاستفادة من خبرة الاخصائيين الاسرائيليين .

ثم يأتي دور (الهستدروت) في دعم النشاط الاسرائيلي هناك بتقديم المنح والقروض والخبرة الفنية التي تمكنها من تطوير اقتصادياتها ورفع مستواها . فهناك تعاون اقتصادي وتجاري بتكوين شركات الملاحة ،

واتفاقيات لتسهيل التجارة وانشاء الغرف التجارية • وبذلك استطاعت اسرائيل ان تفتح سوقاً لمنتجاتها ، تحتكر تجارة أهم السلع هناك • كما تتولى اسرائيل القيام بالمشروعات الاقتصادية الكبرى مثل مشروعات الجسور (الكباري) وحفر الآبار واقامة الفنادق الكبرى والمباني الهامة واقامة المزارع الجماعية ومعاهد الدراسة الزراعية •

واما من ناحية التعاون الثقافي فتقدم اسرائيل للدول الافريقية المنح الدراسية فى الزراعة والصناعة والطب والمواصلات •

ويتدرب الطلاب هناك على بناء الطرق والفنادق والمطارات • ولاسرائيل الآن ٧٠٠ خبير موزعين على ٣٠ دولة فى افريقيا وآسيا • وهناك اكثر من ثلاثة آلاف طالب من ابناء هذه الدول يحصلون على تدريبهم العلمي والعملي في اسرائيل كل سنة •

اما فى المجالات الطبية فتقيم اسرائيل المستشفيات لامراض العيون والسل ، وتزودها بأحدث المعدات ، وذلك كله برئاسة أطباء اسرائيليين • كما تقوم باتفاقيات لانشاء مصانع الادوية فى بعض البلدان •

واما من ناحية التعاون العسكري فتقوم اسرائيل بتدريب الجنود فى تلك البلدان الافريقية واعدادهم ، وانشاء مدارس المظلات ، وارسال الخبراء العسكريين ، وانشا . المطارات العسكرية • هذا فضلا عن الاتفاقيات الخاصة بصفقات الاسلحة من صنع اسرائيل ذاتها •

ويسبق هذا النشاط المتعدد الجوانب دعاية واسعة ذات أساليب متنوعة منها : توزيع الكتب والنشرات ، وعرض أفلام سينمائية عن كفاح اسرائيل وتقدمها الاقتصادي والاجتماعي ، والتوسع فى العلاقات الثقافية بينها وبين تلك البلدان • وهذا كله فضلا عن الدعاية المعنوية التي تؤكد ان اسرائيل

لم تأت لتحل محل القوى الاستعمارية القديمة فى افريقيا • بل جاءت لتكون المثال الحي لقوة الارادة للقارة الافريقية بأسرها • وذلك لان اسرائيل تواجه نفس المشكلات التي تعاني منها الدول الافريقية من اضطهاد وسلب الحقوق • وأن نجاح اسرائيل فى افريقيا يعود الى نجاح التجربة الاسرائيلية فى ذاتها • كما يعود الى الكفاءة التي أظهرتها فى شتى المجالات •

ويمكن ان نلخص ما تقدم فى أن النشاط الصهيوني فى افريقيا يعتمد أساسا على المشاركة الايجابية فى مختلف اوجه النشاط السياسي والعسكري والثقافي والاقتصادي لتلك البلدان • وهذه المشاركة تعتمد اساسا على العنصر البشري الاسرائيلي ؛ بحيث اذا تخلف وجود هذا العنصر أصبحت المعونة غير ذات موضوع • وهذه الخطة تشكل ضمانا لنجاح اسرائيل في التأثير على سياسة تلك البلدان لتحقق هدفها ـ وهو ان تفتح ثغرة فـي الجـدار العربي المحيط بها •

ومن وسائل نجاح اسرائيل فى هذه الخطة وقوف كثـير من الدول الافريقية بجانب اسرائيل فى الامم المتحدة ـ حتى تلك التي تتكون غالبية سكانها من المسلمين •

* * *

والخطوط التمهيدية التي يجب ان تعتمد عليها الدعوة العربية هي القيام بمسح شامل لظروف كل دولة من الدول الافريقية واحتياجاتها فى المجالات المختلفة (اقتصادية وسياسية وثقافية واجتماعية) وترتيب أولويات لهذه الاحتياجات ؛ سواء فى المجالات التي سبقت اليها اسرائيل لمجابهتها فيها أو المجالات الجديدة التي هي أكثر قابلية للاستقلال من الناحية الدعائية •

واذا ما تم هذا المسح أمكن على ضوئه تحديد ما تستطيع الدول العربية

تقديمه من عون في صورة قروض أو استثمارات مشتركة أو غيرها . وتخصيصه فيما يمكن أن يحقق أقصى فائدة ممكنة من أجل الدعوة العربية . ومن المباديء الاساسية التي تنادي بها اسرائيل ذاتها فى برنامجها للتعاون الدولي أن المعونة يجب أن تبنى على أساس التبادل . وهي تعني بذلك امكانية تحقيق فائدة لصالحها لا تقل قيمة عن المعونة ذاتها .

وفي الوقت الذي قد تستغرقه هذه الدراسة يمكن وضع برنامج قصير الاجل لتبادل الزيارات والبعثات بين الدول الافريقية والبلدان العربية على مختلف المستويات الشعبية والرسمية ، لتحقيق حد أدنى من التعريف المتبادل بين أبناء هذه الدول .

وتجدر الاشارة الى أن هذا التعريف المتبادل وخصوصا على المستوى الشعبي كفيل بأن يخلق جوا من الثقة تفتقر اليه حاليا العلاقات العربية الافريقية نتيجة للدعاية الصهيونية ولظروف كثيرة اخرى ، واذا أمكن توفير هذه الثقة المتبادلة فانها تكون الاساس لاي عمل مشترك يتخذ فيما بعد .

الملحق الثاني

مذكـــرة

عن النشاط الصهيوني في امريكا اللاتينية

نقلت عن ادارة الاعلام بالامانة العامة

لجامعة الدول العربية

اهتمت الصهيونية العالمية بدول أمريكا اللاتينية فادخلتها فى مخططاتها الخاصة بالدول النامية التي ترمي الى تزويد هذه الدول بالخبراء والفنيين فى كافة الميادين الاجتماعية والاقتصادية والزراعية والتعاونية واصلاح الاراضي والري • وينتشر الخبراء الاسرائيليون فى مختلف اجزاء هذه البلاد يزاولون فى الظاهر مهمة التدريب بينما هم يقومون فى الحقيقة بنشر الدعاية الصهيونية والاسرائيلية على نطاق واسع فى الاوساط التي يعملون فيها باسلوب دعائي مدروس يهدف الى كسب ثقة وعطف هذه الدول • وهم يقولون انهم لا يستطيعون تقديم مساعدات مادية نظرا لان بلادهم فقيرة يحيط بها الاعداء العرب من كل جهة يتربصون بها الدوائر ، ولكنهم يقدمون ثمرة خبرتهم وتجربتهم • والى جانب الدور الخطير الذي يقوم به الخبراء والفنيون الاسرائيليون فى الدعاية للصهيونية واسرائيل فان اسرائيل تفتح أبوابها للبعثات الدراسية والتدريبية من هذه الدول ، فتقوم بتقديم عدد كبير من المنح الدراسية فى مختلف الفروع سنويا لابناء هذه البلدان • وتدفع اسرائيل ـ كما تقول جريدة دويتش تزايتونج الالمانية ـ نحو ٨٠ مليون مارك سنويا للمنح الدراسية والخبراء فى الخارج لتحسين علاقاتها مع هذه الدول وتحطيم الحصار العربي القائم حولها • وهي تعمل جاهدة ـ عن طريق هذه المنح ـ على جعل الطلبة الذين يدرسون فيها بعد عودتهم الى بلادهم طابورا خامسا يسبح بحمدها ويدافع عن مصالحها وينادي بالارتباط بها • وتشير الاحصائيات الى أن عدد الخبراء الذين اوفدتهم اسرائيل الى الخارج يبلغ ١٥٠٠ خبيرا ، كان نصيب امريكا اللاتينية منهم ٧٢ خبيرا • كما بلغ عدد المبعوثين الى اسرائيل عن طريق المنح الدراسية من دول آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية من عام ١٩٥٨ الى عام ١٩٦٤ أكثر من ٧٥٠٠ طالب وطالبة • وقفز نصيب بلدان امريكا اللاتينية من هذه المنح من ١٣ منحة

عام ١٩٥٨ الى ٢٨٩ منحة عام ١٩٦٣ وهو أمر يدل على اهتمام اسرائيل المتزايد بهذه المنطقة من العالم • وهناك مثال آخر يوضح اهتمام اسرائيل والصهيونية العالمية بامريكا اللاتينية يكمن فى قيام الصهيونية بعقد عدة مؤتمرات لها فى هذه القارة التي يسكن فيها ما يقرب من مليون يهودي يعتنق غالبيتهم الصهيونية • ويضع هؤلاء اليهود ايديهم على مفاتيح الحياة الرئيسية فى أكثر هذه البلاد وهم يمارسون نفوذهم من وراء الستار • وهم كشأنهم فى سائر انحاء العالم اقلية مكروهة ولكنها مرهوبة الجانب • ويسيطر اليهود على الصحافة وسائر وسائل الاعلام فى معظم بلدان امريكا اللاتينية كما ان لهم من يمثلهم فى الاحزاب السياسية الرئيسية يجعلون لهم نفوذا كبيرا فى الحكم القائم أيا كان الحزب الفائز •

هذا وقد بدأ تسرب اليهود الى هذه الدول بصورة ملحوظة منذ عام ١٩٣٨ حينما اشتدت حملات النازية ضد يهود المانيا والنمسا ونجح عدد كبير من يهود اوربا بعد ذلك فى الهجرة الى امريكا اللاتينية عندما فشلوا فى الهجرة الى الولايات المتحدة نتيجة للضغط الصهيوني الذي كان يرمي الى استغلال مأساة عدم وجود ملجأ ليهود اوربا المضطهدين للدعوة لانشاء اسرائيل واحتلال فلسطين •

وقد نشرت مجلة « فيد ستريم » الصهيونية فى عدد صيف عام ١٩٦٠ مقالة طويلة بقلم « برنو وايزر » عن الجهود الحثيثة التي بذلتها الصهيونية فى سبيل انشاء رأس جسر لها فى امريكا اللاتينية والتسرب الى مراكز النفوذ والقوة فيها للضغط عليها والتحكم فى سياستها فى اللحظة المناسبة • ويحكى وايزر كيف هاجر الى اكوادور هربا من النازية وكيف نجح بمعاونة قلة من اليهود كانوا يقيمون فى اكوادور من قبل فى التحكم فى

الرأي العام بين أهالي اكوادور وذلك بأن بدأ يحرر فى اهم جريدة فى المدينة التي كان يعيش فيها وتدرج فى مناصب التحرير والنفوذ حتى استطاع ان ينشر تعقيبه اليومي فى أهم جرائد امريكا اللاتينية واستغل هذا المنصب في اعداد الرأي العام اللاتيني للعطف على اليهود البؤساء المضطهدين!

وما ان وثقت الصهيونية من اشتداد سواعد عملائها حتى عملت على انشاء Christian Pro. Palestine Committee التي كانت في الواقع تابعة للوكالة اليهودية فى فلسطين ولكنها تحت ستار التعاون بين المسيحين واليهود بنت فروعا لها بالاسم الجديد فى جميع دول امريكا اللاتينية واستغلت فى برنامجها الدعائي الضخم عطف وسذاجة اللاتينيين فجسمت لهم فظاعة النازية التي قتلت ٦ ملايين يهودي بين رجل وطفل وامرأة وشردت مليون يهودي آخر لا يجدون مأوى وملجأ يضمهم سوى فلسطين واستغلت الصهيونية ايضا أفكار العهد القديم فى الانجيل وحورتها واسبغت عليها تفسيرات صهيونية خالصة حتى اصبح اللاتينيون يعتقدون ان انشاء اسرائيل فى فلسطين واجب ديني وانساني فى وقت واحد .

هذا وتقوم الدعاية الصهيونية بنشاط كبير فى دول امريكا اللاتينية يتمثل فى الجهود التي بذلتها الجاليات اليهودية فى هذا السبيل الامر الذي أدى الى توثيق العلاقات بين دول هذه القارة واسرائيل .

وتتركز الدعاية الصهيونية فى هذه البلاد على ما يلي :

أ ـ النشاط الدبلوماسي الذي تقوم به الهيئات التمثيلية لاسرائيل ويتمثل فى المقابلات والاجتماعات السياسية والمؤتمرات الصحفية .

ب ـ ارسال الوفود المختلفة من اسرائيل الى هذه الدول وكذلك قيام الشخصيات الاسرائيلية والصهيونية الهامة بزيارات لدول هذه القارة ومنها

زيارة ناحوم جولد مان رئيس المنظمة الصهيونية العالمية وبنحاس سابير وجولدا مائير حيث كان يتم خلال هذه الزيارات الاتصال بالجاليات اليهودية وتسهيل السبل امامها للقيام بالدعاية اللازمة وكذلك بذل عروض التبادل والمعونة الاقتصادية وهو ما يلقى استجابة كاملة من هذه الدول نظرا لحاجتها الى المعونة •

جـ ـ استخدام الصحف والمجلات عن طريق التأثير المادي والادبي على رجال الصحافة والنشر •

د ـ عرض الافلام الدعائية بانواعها والانباء المصورة •

هـ ـ نشاط المنظمات الصهيونية التي تقوم فى الوقت الحاضر بتدريس اللغة العبرية فى عدد من مؤسساتها •

و ـ محاولة ابراز قيمة العوامل الروحية والمشاعر النفسية التي تربط دول امريكا اللاتينية باسرائيل •

ز ـ ان جميع دول امريكا اللاتينية دول هجرة واستكشاف مثل اسرائيل •

ح ـ ان الشعوب اللاتينية لم تمتلك اراضيها الحالية خلال اجيال سالفة كما لم يتسع لها الوقت لتكوين وحدة عنصرية وثقافية خاصة وان ذلك كان سببا فى تفهم تلك الدول لعملية استيعاب اسرائيل للمهاجرين فهذه الشعوب لا تتعجب من أن أغلبية رعايا اسرائيل لم يكونوا جزءا منها يوم اعلان استقلالها اذ ليس هذا بغريب عليها •

ومن ناحية اخرى تقوم المؤتمرات اليهودية التي تعقد فى دول امريكا اللاتينية على التوالي بالتوصية فى قراراتها والتركيز فى نفس الوقت على الآتي :ـ

أ ـ شرح قضية اسرائيل للرأي العام فى امريكا اللاتينية والحصول على تأييد وتعضيد حكوماتها .

ب ـ تجنيد الجاليات اليهودية ودعوتها للسفر لاسرائيل للقيام بواجبها الوطني .

جـ ـ تنظيم وتنسيق الجاليات اليهودية وتشجيعها على التبرعات وتنظيم هجرة اليهود اليها .

د ـ مقاومة الحركات والدعايات المعادية للصهيونية واسرائيل .

أما عن نشاط اسرائيل بوجه خاص فى امريكا اللاتينية فيتلخص كما يلـــي :

أ ـ النشاط الثقافي :

ويقوم على الاسس التالية :

ـــ اعطاء منح دراسية لحوالي ٣٠٠ طالب سنويا فى مختلف بلاد امريكا اللاتينية وذلك بالاشتراك مع منظمة الدول الامريكية التى تتحمـــل مصروفات السفر .

ـــ ارســال اساتذة متخصصين فى الطب والهندسة والطبيعـة النوويـة والكيمياء لالقاء المحاضرات فى الجامعات المختلفة .

ـــ دعوة بعض اساتذة الجامعات ورجال الفكر والادب لزيارة اسرائيل.

ـــ نشر المؤلفات الاسرائيلية باللغة الاسبانية فى امريكا اللاتينية .

ـــ اقامة معارض فنية واخرى انتاجية لعرض نواحي التقدم الفني والتطور الزراعي والصناعي فى اسرائيل .

ـــ نشر الثقافة واللغة العبرية وخاصة بين الجاليات اليهودية فى امريكا اللاتينية .

ولتنفيذ هذه البرامـج انشأت اسرائيـل فى فنزويلا المعهـد الثقافى

الفنزويلي الاسرائيلي ويقـــوم بنشاط ثقافي والاتحـاد الاسرائيلي « لكاراكس » ويقوم بنشاط دعائي •

ب ـ النشاط التجاري :

قامت اسرائيل بمساعدة الجاليات اليهودية فى بلاد امريكا اللاتينية بدراسة امكانيات هذه الاسواق لزيادة حجم التجارة الخارجية بين اسرائيل وامريكا اللاتينية •

وقد امكن لاسرائيل ان تتفق مع بعض بلاد امريكا اللاتينية على ان تشتري انتاجهـــا من المواد الخام او النصف مصنوعة لتقوم بتصنيعها فى اسرائيل ثم تعيد تصديرها لجميع بلاد العام واظهر مثلا لذلك تجارة الماس بين فنزويلا واسرائيل •

ولقد ساعد اسرائيل على نشر تجارتها فى بلاد امريكا اللاتينية سيطرة اليهود المحليين بدرجـة كبيرة عـلى عمليات الاستيراد والتوزيع فى هـذه البلاد •

وتبدي اسرائيل اهتماما خاصا بسوق امريكا اللاتينية لان الاستثمار فيه يعطي ارباحا عالية بالنسبة لجميع اسـواق العالم لذلك فان المبالغ التـي تجمعها اسرائيل والمنظمات الصهيونية سنويا من امريكا اللاتينية لا ترسل مباشرة الى اسرائيل ولكنها تستثمر اولا فى امريكا اللاتينية ثم تنقل بعـــد ذلك مع ارباحها الى اسرائيل •

وعلى الرغم من ان هـذه العملية فى حقيقتها عملية امتصاص دمـــاء الشعوب اللاتينية الا ان كثيرين من المسؤلين فى امريكا اللاتينية يعتقدون ان هذه الاستثمارات تشارك فى بناء اقتصاديات بلاد امريكا اللاتينية •

وتقدم اسرائيل عروضا مختلفة لانشاء شركات ملاحة مشتركة تتعهد

اسرائيل بدفع كل النفقات اللازمة لبناء المراكب على أن يدفع نصيب المستحق على الجانب اللاتيني من اجور نقل تجارته الخارجية على هذه المراكب ، وتحقيق هذه الفكرة يؤدي الى احتكار اسرائيل لجزء كبير من عمليات نقل التجارة الخارجية لهذه البلاد .

جـ ـ المعونات الفنية والاقتصادية :

تهتم اسرائيل بدراسة الاحتياجات الفنية لدول امريكا اللاتينية وتعرض مدها بالخبراء الاسرائيليين بدون مقابل ، وقد نجحت اسرائيل عن هذا الطريق فى التغلغل فى الاجهزة الفنية فى امريكا اللاتينية .

وبموجب هذه السياسة فقد ذكرت صحيفة يديعوت ارحرنوت الاسرائيلية بتاريخ ١١/١١ سنة ١٩٦٥ انه تم توقيع اتفاق معونة فنية بين اسرائيل وبين دول امريكا اللاتينية من اجل التنمية الزراعية وقد وقع الاتفاق عن الجانب الاسرائيلي سفير اسرائيل فى واشنطن وعن دول امريكا اللاتينية السكرتير العام لمنظمة الدول الامريكية وقالت الصحيفة ان هذا الاتفاق ينص على أن توفد اسرائيل عشرة من خبرائها الزراعيين الاسرائيليين الى امريكا الجنوبية لمساعدة اقطارها فى تحسين الزراعة القروية التعاونية هذا واشارت الصحيفة فى نفس الوقت الى أن الخبراء الاسرائيليين الذين تم ارسالهم الى هذه الدول سوف ينقسمون الى ثلاثة اقسام ، قسم يكون مركزه شيلى ويعمل فى الارجنتين والثاني بيرو ويعمل فى اكوادور والثالث يتجول فى جميع اقطار امريكا اللاتينية هذا وقد خصص الاتحاد الامريكي فى ذلك الوقت ٢٠٠ ألف دولار للانفاق على المرحلة الاولى ومدتها سنة .

ومن جانب آخر يوجد فى فنزويلا خبراء من اسرائيل فى زراعة القطن والرى والكمياء وتهتم الجالية الاسرائيلية بالمشاركة فى بناء الصناعات

الجديدة وعن طريق الحماية الجمركية المقررة لهذه الصناعات تتمكن هذه الصناعات من احتكار السوق المحلية وفرض الاسعار التي تمكنها من تحقيق ارباح عالية •

د ـ الصحافة الصهيونية فى دول امريكا اللاتينية :

يبلغ عدد الصحف اليهودية التي تصدر فى امريكا اللاتينية والوسطى ١٢٣ صحيفة كما أن الصحف اليهودية التي تصدر بالاسبانية والبرتغالية ، وهما اللغتان السائدتان فى دول امريكا اللاتينية ٥٥ صحيفة • هذا وتقف الصحف الكبرى فى معظم دول امريكا اللاتينية بوجه عام موقفا مغرضا من كافة القضايا العربية ، مدفوعة بالدعاية المضللة التي تروجها الصهيونية ، والتي يساندها فيها بعض الحكام الرجعيين في هذه البلدان الذين يشعرون بالاستياء من مناصرة العرب لكافة الحركات التقدمية ومساندتهم لمعارك النضال والتحرير ضد النفوذ الاستعمارى •

واوردت الذكرة قوائم باعداد الصحف اليومية والاسبوعية والشهرية الكثيرة التي تسبح بحمد اسرائيل : فى كل من الارجنتين وبوليفيا والبرازيل وشيلي وكولومبيا وكوبا وغيانا الهولندية ومكسيكو وبيرو وارغواى وفنزويلا •

ولعل الغرض من تركيز اسرائيل نشاطها على دول امريكا اللاتينية أنها تستهدف :

١ ـ غزو هذه القارة البكر الجديدة التى لم يكن لهم فيها نشاط مرموق قبل ذلك •

٢ ـ مقاومة أو اسكات الجاليات العربية التي يزداد نشاطها

وتغلغلها فى الحياة العامة فى هذه الدول بحيث لو تم تكتيلهم وتنظيمهم لأصبحوا خطرا على النفوذ الصهيوني •

البرازيل

يبلغ تعداد الجالية اليهودية فى البرازيل نحو ١٥٠ الف شخص يتمتعون بعطف الدوائر الرسمية ولهم نفوذ واسع على وسائل الاعلام نظراً لسيطرتهم على النواحي الاقتصادية وتحكمهم فى عمليات الاستيراد والتوزيع • وتبذل المنظمات الصهيونية جهدها لربط اليهود المقيمين فى البرازيل باسرائيل ومساعدتها ماديا ومعنويا على اساس اعتبارها المركز الروحي لليهودية فى العالم • كما يوجد فى البرازيل عدد من المعاهد التي تدرس فيها العبرية وآدابها وتعاليم الديانة اليهودية • وهناك عدة اتفاقيات للتعاون التجارى والثقافي والفني بين البرازيل واسرائيل •

وكانت الدعاية الصهيونية فى البرازيل تتبع الاسلوب المباشر ، وهو اسلوب الهجوم المباشر على البلاد العربية منفردة ومجتمعة فى محاولة لاظهارها بمظهر البؤس والتأخر والفوضى • وقد منيت بفشل ذريع فى هذا المضمار بفضل الموقف الموحد الذى وقفته السفارات العربية فى مواجهتها بالتعاون مع مكتب الجامعة هناك • فانتقلت بعد ذلك الى الاسلوب غير المباشر بابراز منجزات اسرائيل وفضائلها والفائدة التي تعود على الذين يتعاونون معها وبالعمل على التقرب اكثر فأكثر من البرازيل وسائر دول امريكا اللاتينية عن طريق تقديم المساعدات الفنية وتبادل الزيارات الرسمية والشعبية معها •

واستطاعت الصهيونية التغلغل فى الاحزاب السياسية والبرازيلية ، فكان ان بث مرشح حزب العمال لانتخابات الرئاسة الاخيرة نيجوا اودى

ليما الذى كان يحظى كذلك بتأييد الحزب الاجتماعي البرازيلى برسالة تهنئة حارة الى اليهود بمناسبة العام اليهودى الجديد • كما قام شخصيا بزيارة الحاخامات اليهود للتحية والتهنئة بطريقة يشتم منها محاولة شراء اصواتهم• كذلك قبل رئيس الجمهورية المارشال كاستيلو برانكور الدعوة التي وجهتها اسرائيل اليه لزيارتها •

وكان من أهم مظاهر اهتمامها بالبرازيل التي تشغل وحدها نصف مساحة قارة امريكا اللاتينية ان عقدت فى عاصمتها سان باولو مؤتمرا كبيرا للجاليات اليهودية فى امريكا اللاتينية فى اكتوبر ١٩٦٢ اشترك فيه ١٧٢ مندوبا عن الهيئات الصهيونية التي تمثل عشرة بلدان برئاسة رئيس المنظمة الصهيونية العالمية ناحوم جولدمان ، وقد وجه رئيس الجمهورية البرازيلية حينذاك رسالة تهنئة الى المؤتمر أثنى فيها على الجهود التي تقوم بها الطوائف اليهودية لتحقيق التقدم فى البرازيل وتمنى للمؤتمر النجاح • وكان الهدف الظاهر لهذا المؤتمر هو بحث حالة اليهود فى العالم عامة وفى القارة الامريكية خاصة ودراسة المشاكل الناشئة عن عودة ظهور حركة العداء للسامية •

وقد اصدر المؤتمر عدة مبادىء وتوصيات اهمها الايمان بالمثل والنظم الديمقراطية التي تعبر عن اعمق ما فى الروح اليهودية والاعراب عن القلق من عودة ظهور حركة العداء للسامية واستعداد اليهود للعمل ضد هذه الحركات والاعلان عن حق اليهود فى المحافظة ضمن الدول التي يقيمون بها على خصائصهم الجنسية وحقهم فى مقاومة الضغط الذى يبذل لصهرهم فى المجتمعات التي يقيمون بها ومناشدة جميع شعوب العالم التعاون للقضاء على التفرقة العنصرية والدينية •

والذي يستلفت النظر هو التوصية الاخيرة الخاصة بالقضاء على التفرقة العنصرية والدينية لان هذه التفرقة هى الاساس الذي قامت عليه دولة اسرائيل حيث يمارس التميز العنصري ليس فقط بين اليهود واتباع الديانات الاخرى وانما كذلك بين اليهود الشرقيين واليهود الغربيين الى حد تحريم زواج اليهود الهنود باليهوديات الغربيات •

الارجنتين

يرجع وجود اليهود فى الارجنتين الى عام ١٩٥٢ منذ بدأت هجرتهم اليها من دول اوربا الغربية وشمال افريقيا • يبلغ عددهم الآن نحو نصف مليون شخص تتركز غالبيتهم فى العاصمة بيونس آيرس حيث يصل تعداد الجالية اليهودية فيها الى ما يقرب من ٣٠٠ الف شخص • وقد قام اليهود منذ ذلك الحين بتنظيم صفوفهم على هيئة خلايا طبقا للتنظيم الهرمي تحت اشراف المنظمة الصهيونية العالمية وفرعها بالارجنتين • وقد ازداد نشاط اسرائيل بصورة واضحة فى الارجنتين منذ الاعتداء الثلاثي على مصر وبدأت تقوم بحملة واسعة لجميع التبرعات •

ومن الجدير بالذكر ان يهود الارجنتين لا يخضعون خضوعا تاما للصهيونية ولذلك فانهم لا يميلون الى الهجرة الى اسرائيل ولا يقدمون اليها مساعدات شخصية وفضلا عن ذلك فان الشعب الارجنتيني كاثوليكي متعصب ، ومن ثم فليس من الممكن لليهود السيطرة على الحكومة الارجنتينية او المراكز السياسية الهامة فيها • لهذا فان تغلغل الصهيونية فى الارجنتين يقتصر الى حد كبير على السيطرة على اقتصاديات البلاد • ومع هذا فانه يوجد بالارجنتين حوالي ١٢٠ هيئة يهودية تعمل تحت اشراف المنظمة الاسرائيلية (الدايا) ويعتبر السفير الاسرائيلي هناك الرئيس الفعلي لهذه المنظمة •

ومن ابرز هذه الهيئات جمعية (مس بريث) ومنظمة (ماجن دفا فيدآدوم) ومنظمة الشباب التابعة لها ومعهد التبادل الثقافي الارجنتيني الاسرائيلي ومعهد النساء اليهوديات الارجنتينيات والجمعية الخيرية الاسرائيلية الارجنتينية والجمعية العبرية الارجنتينية ومعهد التبادل الاعلامي الارجنتيني الاسرائيلي والاتحاد الصهيوني الارجنتيني الحر والمجلس الفردي المركزي بالارجنتين ومنظمة مكابي العبرية الارجنتينية •

وتعتمد الدعاية الصهيونية فى الارجنتين اساسا على تبادل الزيارات وتعليم اللغة العبرية وآدابها واستغلال وسائل الاعلام المختلفة ، فتقوم شخصيات اسرائيلية كبيرة بين وقت وآخر بزيارة الارجنتين لتوضيح وجهة النظر الصهيونية ، وخاصة تجاه مشكلة مرور السفن الاسرائيلية في قناة السويس وللعمل على عقد اتفاقيات ثقافية واقتصادية مع تلك الدولة من نتائجها تخصيص المنح الدراسية السنوية • وتوجيه الدعوات الى الصحف واعضاء الحكومة لزيارة اسرائيل• ويقوم ممثلو اسرائيل بجهد دعائي واضح عن طريق الخطابة والمؤتمرات الصحفية ، بالاضافة الى جهود الجالية اليهودية في تلك البلاد • وقد ساعد على ذلك سيطرتهم على وسائل الاعلام ، وتدخل شركات الاحتكار الامريكية عن طريق رؤساء مجالس الادارة اليهود في فرض القوانين التي تستفيد منها اسرائيل ، وسيطرة يهود الارجنتين على المصارف والمناصب الكبرى بالوزارات والمرافق العامة مما دعا اذاعة الارجنتين الى ان توجه برنامجا خاصا الى اسرائيل • كما ان السفارة الاسرائيلية فى الارجنتين تستأجر ساعة زمنية فى القناة رقم ٧ في التلفيزيون تعرض خلالها بعض الافلام عن اسرائيل ، وتبعث من آن لآخر بالفرق الغنائية والموسيقية لعرض فنونها على هذه القناة وتعتمد السفارة ان تظهر

شارة اسرائيل خلال هذه البرامج .

وتتركز الدعاية الصهيونية في الارجنتين على النقاط التالية :

— اظهار اسرائيل فى صورة الدولة المحبة للسلام المستعدة للتفاوض مع العرب (وهو نفس المخطط الذي تسير عليه مع دول آسيا وافريقيا) .

— مهاجمة الجمهورية العربية المتحدة وتصويرها بالدولة المعتدية التي تهدف الى السيطرة على جيرانها من الدول العربية .

— استمالة المسيحيين من العرب المغتربين في الارجنتين عن طريق آظهار اسرائيل بمظهر الدولة التي لا تفرق بين الاديان والتي تشجع على بناء الكنائس .

— اتهام الجمهورية العربية المتحدة بالتعصب للاسلام وعدم تجاوبها مع الاديان الاخرى .

— بيان تقدم اسرائيل فى الميدان الاقتصادى والعملي والصحي ودعوة الارجنتين الى الاستفادة من خبرة اسرائيل فيالنواحي الزراعية حيث أن سكان اسرائيل قد وصلوا الى مرتبة عالية في هذه النواحي .

— ابداء الاستعداد لحل مشكلة اللاجئين واتهام العرب باتخاذ هذه المشكلة سلاحا ضد اسرائيل .

— الربط بين المشاكل العمالية في اسرائيل ومثيلاتها فى دول امريكا اللاتينية .

كذلك فاننا نجد ان المكتبات الارجنتينية مليئة بالكتب المختلفة عن اسرائيل وتعرض دور العرض في الارجنتين الكثير من الافلام الاسرائيلية

ومن امثلة النشاط الصهيوني في الارجنتين ما يلي بيانه :

— سافر وفد يتكون من ٤٨ عضوا من اتحاد نوادي المدارس العبرية الى اسرائيل لحضور الدورة الثقافية التي يقيمها معهد (بيت بيري) في اسرائيل ويشرف عليها قسم الثقافة والتعليم بالوكالة الدولية •

— عقد اجتماع بالمنظمة الصهيونية الارجنتينية للوفد الذي حضر الدورة السابقة للجنة العمل الصهيوني التي عقدت باسرائيل وقد حضر الاجتماع جاكوب بركوفيش عضو منظمة امريكا اللاتينية باسرائيل والذي زاد الارجنتين وقد صرح رئيس المنظمة حاييم فلكنستين بأن الهجرة الى اسرائيل والانصهار بمجتمعها من صميم أعمال لجنة العمل الصهيوني واقترح تكوين مجلس استشاري للجنة خاصة بشئون امريكا اللاتينية على غرار مجلس المؤتمر اليهودي الامريكي •

— عقدت مؤخرا الدورة الثالثة للمشرفين على منظمات الشباب اليهودى وقد اشترك فيها قسم الشباب بمنظمة الجالية اليهودية واتحاد الشباب اليهودي الارجنتيني ومدارس التعليم الفني • وبلغ عدد المشتركين في هذه الدورة ٨٠ ممثلا للمنظمات المختلفة للشباب وفى ختام الدورة القى الملحق الثقافى الاسرائيلي كلمة أشار فيها الى أهمية القيم اليهودية للشباب •

— أنشأت الجالية اليهودية بالارجنتين مكاتب للزواج بين اليهود كاحدى المحاولات التي تقوم بها المنظمات الصهيونية لمحاربة الزواج المختلط والمحافظة على الكيان اليهودى وعدم الانصهار فى المجتمعات التى يعيشون بها وقد بدأت الصحافة الارجنتينية اليهودية في نشر الاعلانات لهذه المكاتب بصفة مستمرة •

— في احد اجتماعات المجلس التنفيذي للوكالة اليهودية الدولية تم التوصل الى شبه اتفاق على انشاء فرعين للوكالة اليهودية الدولية ، احدهما باوربا ويكون مقره جنيف او باريس والثاني بامريكا اللاتينية ويكون مقره بيونس آيرس .

— أقامت الجمعية العبرية الارجنتينية حفلة تذكارية للناشر اليهودي مانويل جليزر الذى توفى اخيرا ، حضرها عدد كبير من الكتاب والادباء الارجنتينيين الذين القوا كلمات بهذه المناسبة . وأقامت حفلة اخرى تكريما لذكرى الكاتب اليهودي شوليم عالوخيم عرضت فيها مقتطفات من مسرحية « عالم شوليم عالوخيم » .

— أقامت منظمة مكابي العبرية الارجنتينية الرياضية في ٨-٧-١٩٦٦ احتفالا فولكلوريا أرجنتينيا اسرائيليا بمناسبة الاحتفال بالذكرى المئة والخمسين لاعلان استقلال الارجنتين . واحتفلت بهذه المناسبة ايضا الديا ووفد المنظمات الاسرائيلية الارجنتينية واهدت عشر مدارس ريفية للحكومة الارجنتينية .

— تقوم المنظمات التعاونية النقدية ، التي تنتمي الى الحزب الشيوعي والمنظمات الصهيونية ، بتهريب الاموال الى الخارج ، وخاصة الى اسرائيل والولايات المتحدة الامريكية . وقد اعتقلت السلطات الارجنتينية في بيونس آيرس وروساريو بعض المسؤولين عن معهد استثمار رؤوس أموال المنظمات التعاونية بتهمة تهريب الاموال . ولجأ البعض الى استغلال وجود يهود بين المعتقلين باتهام السلطات القائمة بالنازية واللاسامية وبشن الحملات عليها في الداخل والخارج .

— يصدر فرع الارجنتين لمعهد وايزمان مجلة باسم « العلوم في اسرائيل »

المكسيك

يوجد فى المكسيك مجتمع يهودي قوي يتكون من يهود اوربا الشرقية واليهود الالمان الذين يحصلون على مساعدة من اليهود في الولايات المتحدة الامريكية •

ويبلغ تعداد الجالية اليهودية بالمكسيك حوالي ٣٠ ألف يهودي كما يوجد بالمكسيك جمعية جبل سيناء وهي جمعية يهودية تتفرع منها عدة جمعيات ومؤسسات اجتماعية خيرية وثقافية •

ويمثل الجالية اليهودية بالمكسيك لجنة تسمى اللجنة الاسرائيلية المركزية ، وتعترف الحكومة بهذه اللجنة التي تتفرع منها لجان فرعية هى لجنة الشباب ولجنة الثقافة ولجنة صندوق كاساك الذي يختص بمنح الجوائز لمؤلفي الكتب المتعلقة بمواضيع يهودية •

ويتركز النشاط الصهيوني فى المكسيك حول دعوة الكثير من رجال الصحافة والاذاعة والتليفزيون في المكسيك لزيارة اسرائيل بانتظام •

ويوجد تمثيل دبلوماسي بين اسرائيل والمكسيك وتتبادل الوفود الاسرائيلية والمكسيكية الزيارات فقد قام ابا ايبان بزيارة للمكسيك فى شهر اكتوبر سنة ١٩٦٤ واشاد بتقدم المكسيك تكنولوجيا اذا قورنت بدول امريكا اللاتينية وآسيا وأفريقيا •

وصرح المستشار التجارى الاسرائيلي فى المكسيك أن اسرائيل والمكسيك ستقومان بانتاج مشترك فى مجال الصناعات الكهربائية وقطع غيار السيارات وقال أن هذا الانتاج المشترك يرجع الى التشابه الكبير فى البرامج الصناعية فى كلا البلدين •

ويتركز النشاط اليهودي في اجهزة الاعلام في المكسيك حول توطيد

علاقات الصداقة واغداق المال والهدايا والدعوات لزيارة اسرائيل موجهة الى الصحفيين وخاصة صحيفة اكللسيور ومجلة التيمبو وامتد أثره ايضا الى المعلقين بمحطات الراديو والتليفزيون •

وبالاضافة الى ذلك تصدر الجالية اليهودية في المكسيك عدة صحف أهمها صحيفة الطريق وصحيفة الصوت وجريدة لابرنسا اسرائيليتا •

شـــيلي

يقيم فى شيلي حوالي ٧٥٠٠ يهودي الماني بالاضافة الى عدد من يهود روسيا وبولندة ورغم ذلك فان نفوذهم محـدود اذ يقيم فيها عدد كبير من الالمان الذين يمجدون الامبراطورية الالمانية وينظرون الى اليهود على أنهم السبب في تدهور المانيا وكذلك يقيم بها عرب كثيرون ولذلك فأن اليهود فى شيلي يواجهون العرب والالمان الذين يسببون لهم كثيرا من المتاعب •

وتتركز الدعاية الصهيونية في شيلي في النقاط الآتية :ـ

١ ـ الوفود الاسرائيلية التي تصل الى سانتياغو بنسبة كبـيرة وكان آخرها زيارة وزير الزراعة الاسرائيلي لشيلي الذي قام بمشاهدة محطـة التجارب الزراعية ، وكذلك محطة فيكتور للقوى النيتروجينية وبعض المشاريع الاصلاحية ومشاريع الري •

٢ ـ الوفود الشيلية التي تدعى لزيارة اسرائيل •

٣ ـ العلاقات الثقافية ، اذ توجد بين البلدين اتفاقية ثقافية ، كما ان المنظمات الصهيونية تقوم بتدريس اللغة العبرية في عدد من مؤسساتها ونشر الكتب والمجلات التي تقوم بالدعاية لاسرائيل •

٤ ـ الدعاية السينمائية التي تستغلها اسرائيل عن طرقها الثلاث : الفيلم

الدعائي القصير ، والفيلم التجاري ، والانباء المصورة •

٥ ـ الجاليات اليهودية التي تقوم بالدعاية لاسرائيل وجباية الاموال لها في كل مناسبة •

٦ ـ الصحف والاذاعات التي تستغلها اسرائيل عن طريق البرامج الاذاعية التي تنظمها او عن طريق استغلال الصحفيين والاذاعيين وكثيرا ما تدعو اسرائيل الصحفيين لزيارتها كما تقدم •

بيرو

بيرو دولة غنية مسالمة خاضعة لنفوذ الولايات المتحدة • يوجد بها مجتمع يهودي قوي يتألف من يهود اوربا الشرقية لديهم فرقة عسكرية صهيونية مدربة تدريبا كاملا •

فنزويلا

انشأت المنظمة الصهيونية العالمية فرعا لها في فنزويلا يسمى الاتحاد الصهيوني الفنزويلي ويقوم هذا الاتحاد ببذل جهود مستمرة لنشر الاخبار الخاصة باسرائيل في الصحف الفنزويلية ويصدر مجلة باللغتين العبرية والاسبانية كما يهتم بدعوة الزعماء السياسيين لزيارة اسرائيل • ويسهل مهمة الاتحاد الصهيوني بما تتمتع به الجالية اليهودية من نفوذ داخل الصحافة وسائر أجهزة الاعلام نتيجة لسيطرتها على المؤسسات الاقتصادية التي تتحكم في الاعلانات التي تنشر في هذه الاجهزة •

اورجواي

تعتبر جمهورية اورجواي من أوائل الدول التي اعترفت باسرائيل عند قيامها • ويبلغ تعداد الجالية اليهودية في اورجواي نحو ٨٠ ألف شخص يسيطرون على معظم المؤسسات الاقتصادية والمالية • وتعتبر الجالية اليهودية

هناك محور الدعاية الانتخابية حيث تتنافس الاحزاب السياسية في الحصول على تأييدها ومن الامثلة التي تدل على تغلغل الصهيونية فى اورجواي قيام الحكومة هناك باصدار طابع بريد تذكاري بمناسبة زيارة الرئيس الاسرائيلي للبلاد .

وتحدثت المذكرة عن اهمية هذه الزيارة وزيارة اشكول لافريقيا بالنسبة لاسرائيل .

الملحق الثالث

مذكـرة

عن النشاط الصهيوني في آسيا

نقلت عن ادارة الاعلام بالامانة العامة
لجامعة الدول العربية

النشاط الصهيوني في آسيا

أدركت الصهيونية منذ وقت بعيد أهمية القيام بنشاط دعائي واسع النطاق فى القارة الآسيوية باعتبارها أكبر قارات العالم مساحة وعددا ، وعلى الاخص لامكانية جذب المهاجرين اليهود منها الى فلسطين نظرا لان مستواهم المعاشي أقل منه فى أوربا وأمريكا ، فهم لذلك أقل تمسكا بالبقاء فى بلادهم الاصلية .

ومنذ قيام اسرائيل سنة ١٩٤٨ ظلت هذه الاجهزة تواصل نشاطها في هذه المناطق بغية جذب أكبر عدد ممكن من أبنائها الى اسرائيل عن طريق مراكز الوكالة اليهودية المنتشرة في بلاد آسيوية كثيرة .

وفيما يلي بعض الامثلة المهمة لهذا النشاط الصهيوني التي وردت فى تقارير مكاتب الجامعة فى الخارج فى الفترة الماضية :

الهنـــد :

من المعروف ان الهند تقف موقفا وديا للغاية من الدول العربية فى قضية فلسطين وتجلى ذلك بوضوح فى الموقف الذي اتخذته الحكومة أخيرا من رئيس اسرائيل عند مروره بالهند فى طريقه الى نيبال . ومع ذلك فان الدعاية الصهيونية تنتهز كل فرصة لبث دعاياتها ، من ذلك ما يلي :

بعض المقالات التي تظهر فى الصحف من حين لآخر ، كالمقال التي نشرته الـ « تايمز أوف انديا » في فبراير ٦٥ الذى تناول بالتحليل القضية الفلسطينية عامة ، وقد انتهى كاتب المقال الى أن سياسة الهند الحالية هي خير سياسة فى هذا الصدد . ألا أنه بعد ذلك بأسبوع واحد ظهر في نفس الجريدة مقال دعائي لاسرائيل بدأه بعرض الطريقة التي حلت بها اسرائيل

مشكلة التغذية تغطية لمقاصده السياسية • وتنشر الجريدة من حين لآخر أخبارا عن نشاط اسرائيل في المجالات المختلفة •

ومن جهة أخرى فقد ذكرت صحيفة « جيروساليم بوست » الاسرائيلية ان عددا من كبار الشخصيات الهندية يرون أن هذا الموقف اتخذ أساسا بناء على تقدير خاطىء من رئيس الوزراء السابق نهرو •

ما زالت بعض الصحف الهندية تحاول الضغط على الحكومة الهندية من أجل الاعتراف باسرائيل وتبادل التمثيل الدبلوماسي معها • فقد كتبت صحيفة « صنداى ستاندارد » التي تصدر في بومباي مقالا أشارت فيه الى ان بعض أعضاء حزب المؤتمر الهندي يقومون بحملة شديدة لاحياء هذه القضية•

نقلت الصحيفة عن مؤيدي هذه السياسة قولهم ان الهند عندما تقيم علاقات أفضل مع اسرائيل لن تكون قد آثرت اليهود على العرب •

ويقول هؤلاء ان حياد الهند سيكون له معنى أعمق اذا تعرفوا على وجهة نظر اسرائيل لانهم فى الوقت الحاضر يعرفون وجهة نظر الجانب العربي من القضية فقط •

كما يعتقد هؤلاء ان سياسة الهند يساء فهمها في الخارج فبينما تتظاهر الهند بالحياد بين العرب والاسرائيليين فانها في الواقع ليست كذلك •

وادعت الصحيفة ان العرب يخطبون ود نيبال التي تربطها علاقات طيبة جدا مع اسرائيل وحاولت التدليل بذلك على ان العرب سوف يزداد احترامهم للهند في حالة قيام علاقات دبلوماسية بينها وبين اسرائيل •

وربطت الصحيفة بين ذلك وما اسمته بازدياد ضيق الغرب بسياسة الهند مشيرة الى ما سبق أن نشرته صحيفة « الاهرام » متسائلة عن امكان استمرار الهند فيسياسة عدم الانحياز نظرا للمساعداتالاقتصادية الامريكية

الضخمة التي تتلقاها الهند .

وفي نفس الوقت فقد أشارت احدى الصحف الهندية الى أنه بينما تجامل الهند العرب في قضيتهم مع اسرائيل فان العرب يتخذون موقفا محايدا من الصين وباكستان فى نزاعهما مع الهند .

وقد أكدت الهند موقفها من اسرائيل وصداقتها للدول العربية بأن رفضت عرضا اسرائيليا بتزويدها بالاسمدة وذلك لاسباب سياسية . وقد اعلن سوبرا ماينام وزير الاغذية والزراعة الهندي أمام البرلمان أن العرض الاسرائيلي كان تافها وانه كان على الحكومة الهندية ان تضع في اعتبارها ردود الفعل الاخرى وكان فى تقدير الحكومة الهندية انه لا حاجة بها الى قبوله وقد سئل سوبرا ماينام في البرلمان عما اذا كانت اسرائيل قد عرضت على الهند مساعدات واسعة النطاق فى برنامجها الزراعي ، فاجاب بأنه لا يذكر ان اسرائيل تقدمت بأي عرض على أي نطاق واسع بمساعدة الهند في سد احتياجاتها الطارئة من المواد الغذائية .

كذلك تباشر الوكالة اليهودية نشاطا واسعا وفيما يلي بعض امثلة له :

(١) أقيمت في وادي كشمير بالهند حلقة دراسية نظمها قسم تعليم التوراة بالوكالة اليهودية فى بومباي وذلك في معسكر اطلق عليه « مخيم السلام » حضرة بعض الفتيان والفتيات واشتملت الحلقة على دراسات ومناقشات عن تاريخ اليهود واخلاقياتهم وكذلك نشاط الوكالات اليهودية في داخل وخارج اسرائيل وتاريخ اليهود العريق فى الهند . وقد حضر هذه الحلقة كضيف شرف مستر هـ . سينويز نائب رئيس المنظمة الصهيونية فى بومباي الذى قابل السيدة انديرا غاندي رئيسة وزراء الهند واعرب لها عن أطيب أمنيات اليهود فى الهند .

(٢) من المعروف ان المستر هـ • سينويز من أخطر عملاء اسرائيل في الهند نظرا لعلاقاته بعدد كبير من الشخصيات الهندية والاسرائيلية في بومباي والتي تساعده فى تقديم التسهيلات والمساعدات للمنظمة الصهيونية فى بومباي •

اجريت في بومباي انتخابات اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية في بومباي عن عام ٦٦-٦٧ • وقد اسفرت الانتخابات عن فوز مستر هـ • سينوبز بنيابة الرئيس •

ويلاحظ أن هذه ليست المرة الاولى التي ينتخب فيها مستر هـ • سينويز نائبا لرئيس اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية نظرا لنشاطه ومجهوداته التي يبذلها في سبيل الدعاية لاسرائيل والصهيونية فى الهند •

(٣) للمنظمة الصهيونية في بومباي نشاط ملحوظ فى الدعاية لاسرائيل فى منطقة جنوب الهند • وتتلقى معونات مستمرة من حكومة اسرائيل • وكذلك من قنصل اسرائيل فى بومباي ـ سواء كانت هذه المعونات مادية او ادبية • ولذلك فان انتخاباتها السنوية لها اثر كبير في تغيير أو استمرار شكل او برامج الدعاية لاسرائيل •

تقوم المنظمة الصهيونية في بومباى بالدعاية لاسرائيل سواء بعرض افلام دعائية عنها أو دعوة كبار الشخصيات الهندية أو الاجنبية لالقاء المحاضرات عن اسرائيل والدعاية لها • كذلك تقوم بنشر مقالات فى مختلف الصحف الهندية للدعاية لاسرائيل وتقوم المنظمة باصدار نشرة شهرية « اندو ـ اسرائيل ريفيو » تعرض فيها نشاط المنظمة والدعاية لاسرائيل

(٤) جاء فى عدد يونيه من نشرة « اندو اسرائيل ريفيو » ان وفدا هنديا يمثل الوكالة اليهودية فى بومباي سوف يحضر المؤتمر اليهودي

العالمي الذى سيقام فى بروكسل فى المدة من ٣١ يولية الى ١٠ اغسطس عام ١٩٦٦[١] ويتكون الوفد من اربعة اعضاء من بينهم المستر هـ • سينويز نائب رئيس المنظمة الصهيونية في بومباي الذى قابل مسز انديرا غاندي وتحدث معها عن المؤتمر اليهودي العالمي وعن المشاكل التي يتعرض لها اليهود فى الهند •

(٥) جاء فى عدد نشرة « أخبار من اسرائيل » الصادر فى ١٥ يونية سنة ١٩٦٦ أن مايسترو هندى يدعى زوبين مهتا ـ وهو من اشهر الموسيقين الهنود ـ قام بقيادة الاوركسترا الفيلهارمونيك الاسرائيلى ، وذلك فى عدة حفلات موسيقية اقيمت ضمن جولة للمايسترو الهندى فى داخل اسرائيل فى كل من القدس وتل أبيب وحيفا ولقد احرزت هذه الحفلات نجاحا كبيرا واشاد عدد من الصحف الاسرائيلية بمهارة المايسترو الهندي •

وزوبين مهتا من مواليد بومباي التى توجد بها جالية يهودية كبيرة علاوة على التغلغل الصهيوني الملحوظ فى بومباي والذى ينتشر منها الى منطقة جنوب الهند •

هذا وكانت الاوركسترا الفيلهارمونيك الاسرائيلية قد قامت بعدة جولات فى مختلف انحاء العالم ، عزفت فيها الكثير من الاعمال الموسيقية الكلاسيكية وعلى سبيل المثال قامت الفرقة فى عام ١٩٦٠ بجولة لمختلف بلاد العالم ومنها فرنسا والولايات المتحدة وكندا والمكسيك واليابان والهند وقد اقامت حفلا موسيقيا فى بومباي خلال هذه الجولة فى ديسمبر عام ١٩٦٠•

(٦) في آخر مارس ١٩٦٥ زار رئيس قسم آسيا في وزارة الخارجية الاسرائيلية الهند وقام بالاتصال برجال الخارجية الهندية الا أن طلبه مقابلة رئيس

---

(١) صدرت المذكرة قبل هذا التاريخ ـ المؤلف •

الوزراء ووزير الخارجية قد رفض • وقد عرض اثناء وجوده هناك على وزير السياحة الهندي مشروع تنظيم زيارة ١٠٠٠٠ سائح اسرائيلى للهند سنويا • وقد صاحب هذه الزيارة الاتصال بعدد من المنظمات التي تؤيد اسرائيل ومن بينها حزب جان سانج اليميني الذى تدأب صحيفته على نشر المقالات المؤيدة لاسرائيل •

بورمـــا :

فى سنة ١٩٦١ وردت من مكتب الجامعة فى نيودلهي معلومات تفيد ان اسرائيل جعلت من بورما منطلقا لمخططاتها السياسية والتجارية فى المنطقة ، حيث تم ـ فى المجال العسكرى ـ تدريب بعض الضباط البورميين فـــى اسرائيل ومن جهة أخرى أوفدت اسرائيل عددا من العسكريين الى بورما •

وقد أورد مكتب نيودلهي بعض البيانات الهامة فيما يتعلق بالتكـوين السياسي فى بورما فى سنة ١٩٦١ ومدى ارتباط المنظمات الاسرائيلية ، مع ما يستتبع ذلك من بيان امكانيات نجاح دعاياتها هناك • فأشار الى انقســـام الحزب الحاكم فى ذلك الوقت الى فئتين رئيسيتين الاولى التى يتزعمها رئيس الوزراء الاسبق أونو وذكر انها مرتبطة ـ مصلحيا ـ مع اسرائيل حيث كانت تتعاون مع اسرائيل على نطاق واسع وفى كل المجالات ، والثانية وهي التى تنتمي الى المنظمة الاسيوية الاشتراكية التى ينتمي اليها حـــزب المابای الاسرائيلى وهي ترتبط عقائديا ـ مع اسرائيل • وقد اقترح المكتب فى ذلك الوقت السعي من خلال مؤتمر عدم الانحياز لابراز خطورة هذه الحقائق لرئيس وزرا بورما المشترك فى المؤتمر ، وأن يسمح بفتح مكتب فرعي له في رانجون للحد من النشاط الاسرائيلي • وقام مكتب نيودلهي بالاتصال ببعض الشخصيات فى ذلك الوقت لايضاح وجهات النظر العربية •

ومن المعروف أن الاوضاع السياسية قد تطورت فى بورما الى حد كبير منذ قيام مكتب دلهي بهذه الدراسة المبدئية التي لم تعقبها خطوات تنفيذية ملموسة ، مما يقتضي اعادة الدراسة على ضوء الظروف الحاضرة وتحديد الوسائل التى يبدأ بهـا العمل الاعلامي العربي هناك ، عـلى ضوء النشاط المتزايد الذي تبذله اسرائيل فى المجـــالات المختلفة ومنهـا المجـــال الاقتصادي وهو الاشتراك فى ادارة البنوك والوظائف المدنية ، والقيـــام بالتجارب فى منطقة نام سانج بولاية شان لتنفيذ برنامج الاستيطان (التوطين) الذى يضطلع به الجيش وكذلك فى ميدان الاصلاح الزراعي واستزراع مناطق الغابات • ولهـذه الغاية ذهب حـوالي مائة من جنود جيش بورما السابقين مع عائلاتهم الى اسرائيل للتدريب فى التعاونيات الاسرائيلية وعادوا بعد عام للاقامة فى نام سانج واستعانوا بالخبراء الاسرائيليين لادخال أنواع جديدة من الزراعات •

كما أن أعمال الفنادق أيضا موضع تعاون بين اسرائيل وبورما •

اليـــابان :

وردت فى عام ١٩٦٥ بعض المعلومـات عن التغلغل الاسرائيلي فى اليابان • فقد أخذت محطات الاذاعة والتلفزيون تقدم المزيد مـن برامج الدعاية الاسرائيلية المعدة فى الولايات المتحدة • كذلك تقوم جمعية الصداقة اليابانية الاسرائيلية بنشاط واسع اكثره خفى • والظاهر من هذا النشاط يتصل بالنواحي الثقافية والفنية • فقد نظمت سلسلة من الحفلات الثقافية برعاية السفارة الاسرائيلية تضمنت تبادل الكلمات بين السفير الاسرائيلي ورئيس هذه الجمعية ومحاضرة علمية ومعزوفات موسيقية لبعض المؤلفين الاسرائيليين اعلن فيها عن مسابقة دولية للعزف عـلى (الهارب) تقام في

اسرائيل سنويا وتشترك فيهـا اليابان • كما يعمل فى اليابان عدد مـن الموسيقيين الاسرائيليين الذين تقول الصحف عنهم انهم انشأوا لبلادهـم سمعة كبيرة فى اليابان • كذلك فان المسـرح الياباني قد قدم تمثيليـة اسرائيلية بعد ترجمتها الى اللغة اليابانية تسمى (كارامبولي) ، كما ان المنظمات الاسرائيلية قد دعت أحد كبار المخرجـين اليـابانيين لزيـارة اسرائيل فى طريق عودته من مهرجان (كان) للسينما بفرنسا تمهيدا لاخراج فيلم عن اسرائيل • كذلك من المظاهر الهامة للنشاط الاسرائيلي ازدياد عدد اسياح اليابانيين الى اسرائيل والتسهيلات الضخمة التي تمنح لهم كأفواج جماعية أو في زيارات فردية وخاصة للشباب وتؤدي هذه الزيارات الى سلسلة من المقالات الدعائية لاسرائيل • كذلك تقوم السفارة الاسرائيلية بالدعاية على نطاق واسع لمنتجات بلادها الصناعية والزراعية ، فقد أقيـم معرض للبرتقال على ظهر سفينة نقل سويدية وصاحبته مظاهر اعلامية واسعة عن السلع ومصدريها ومستورديها •• كما أن الصحافة اليابانية تحفـل بالمقالات التي تثنى على اسرائيل في النواحي المختلفة سياسية واجتماعيـة وثقافية واقتصادية •

فيتنام الجنوبية :

اشارت اذاعة براغ الى زيادة نشاط سفير فيتنام الجنوبية في واشنطن في الايام الاخيرة والى ما اعلنه السفير مؤخرا من الاتفاق بين اسرائيـل وفيتنام الجنوبية على تبادل العلاقات الدبلوماسية بينهما متناسيا ما صرح بـه منذ شهرين من أن بلاده لن تقيم علاقات مع اسرائيل • وذكرت الاذاعة ان هيوبرت همفري نائب الرئيس الامريكي جونسون نصح المسؤولين في فيتنام الجنوبية اثناء جولته في جنوب شرقي آسيا في أوائل هذا العام بطلب المساعدة العسكرية من تل أبيب •

كمبوديا :

حصلت أحدى المؤسسات الهندسية فى اسرائيل على عطاء لاقامة مصنع للمشروبات الغازية في كمبوديا. وسوف تقوم المؤسسة الاسرائيلية باقامة المصنع وتقديم الآلات التي تصنع في المصانع الاسرائيلية .

الفلبين :

اشتركت اسرائيل في دورة الشباب الآسيوية الثامنة لكرة القدم التي افيمت في مانيلا عاصمة الفلبين في بداية شهر مايو ٦٦ وقد اشترك في هذه الدورة عدد من الدول الآسيوية منها ماليزيا وبورما وسيلان واليابان والصين الشعبية والهند وسنغافورة والفلبين وتايلاند وهونج كونج . ومما يذكر ان هذه ليست المرة الاولى التي تقوم فيها اسرائيل بارسال فرقها الرياضية الى مختلف الدول الآسيوية .

كوريا الجنوبية :

نشرت بعض الصحف اخيرا بعض أوجه النشاط الاسرائيلي في كوريا الجنوبية منها زيارة قام بها رئيس هيئة اركان الجيش الاسرائيلي لكوريا الجنوبية مؤخرا وانشاء جمعية للصداقة الكورية الاسرائيلية .

وتعود العلاقات الدبلوماسية على مستوى السفارات بين كوريا الجنوبية واسرائيل الى يناير ٩٦٢ وقد ارسلت عدة بعثات رسمية الى اسرائيل في مهام مختلفة .

وفي سنة ٩٦١ زارت اسرائيل بعثة صداقة كورية وادلى رئيسها الذي كان فيما بعد سفيرا في بريطانيا بتصريحات كثيرة مؤيدة لاسرائيل .

وفي مارس ومايو سنة ٩٦٥ قامت بعثتان اقتصاديتان على المستوى الوزاري بزيارة اسرائيل ـ وفي أغسطس سنة ٩٦٤ زارتها بعثة عسكرية

امتدحت بعد عودتها النظم الاسرائيلية واشارت بالاستفادة منها • وذكرت البعثة ان الجيش الاسرائيلي بفضل روحه المعنوية وقدرته على المناورات يعد أقوى من الجيوش العربية ويستطيع مواجهتها •

وقد تم تأسيس جمعية الصداقة المشار اليها ، وفى مارس سنة ١٩٦٦ تمت زيارة رئيس اركان حرب الجيش الاسرائيلي وأجرى محادثات سرية قيل انها تتعلق بالتعاون العسكرى ضد البلاد المستقلة الافرو آسيوية •

وعندما زودت المانيا الغربية اسرائيل بالسلاح في العام الماضي الصقت على الصناديق بطاقات تحمل اسم كوريا الجنوبية • وهذه الواقعة تعكس العلاقات الوثيقة بين اسرائيل وكوريا الجنوبية •

نيبـــال :

وقد وردت الى الادارة ايضا من مكتب نيودلهي بعض البيانات الخاصة بالنشاط الاسرائيلي في نيبال • وقد زار مدير هذا المكتب نيبال في العام الماضي وقام ببعض الاتصالات بغية الحد من هذا النشاط • وتتلخص أوجه النشاط الاسرائيلي هناك فيما يلي :

١ ـ نشاط السفارة الاسرائيلية وهو وان كان محدودا نسبيا الا أنه ملحوظ نظرا لضآلة عدد السفارات هناك وخصوصا لعدم وجود أية بعثة تمثيلية عربية دائمة في كاتماندو العاصمة •

٢ ـ تتركز الدعاية الاسرائيلية هناك على الانجازات الصناعية والفنيـــة والتعاونية لاسرائيل وكيف ان هذه تصبح ممكنة في بلد صغير لو اتيح لها نفس الاساليب الاسرائيلية •

٣ ـ شركة المقاولات النيبالية والتي تشترك فيها شركة Solel Boneh الاسرائيلية بنسبة ٤٩٪ وتقوم بتنفيذ عدد من المشروعات الحيويـة

والهامة • وكانت هذه الشركة تهدف الى احتكار اعمال المقاولات • ان ان هذا الاتجاه لقي معارضة شديدة ولم يقدر له النجاح ولـذلك فقدت هذه الشركة كثيرا من أهميتها حيث لـم تحصل على عمليات كبرى في الفترة الاخيرة • وكذلك فان جانبا من المساعدات الامريكية لنيبال يتم عن طريق هذه الشركة • ولذلك يتساءل الكثيرون عـن مدى الحاجة الى وجود هذه الشركة في الوقت الحالي اذ الافضـل التعامل المباشر مع الولايات المتحدة •

٤ – تعمل اسرائيل على جلب عدد من النيباليين للتدريب لديها في المزارع وفي المعهد الآسيوي الافريقي للتعليم الفني والتقني • ويلقى هـذا الامر تأييدا من حكومة نيبال على أساس افتقارها الى المساعدات من أية جهة كانت •

وقد اقترح مكتب الجامعة في دلهي لمواجهة النشاط الاسرائيلي هناك الاقتراحات التالية :

استكمال التمثيل السياسي العربي في نيبـال ، اقامـة مكتب فرعي للجامعة هناك يشرف عليه موظف مقيم خصوصا وقد أبـدت الحـكومة استعدادها للاعتراف به • توجيه الدعوة لبعض الشخصيات النيبالية لزيارة بعض الدول العربية • امكانية انشاء شركة مقاولات عربية مشتركة • انشاء جمعية صداقة عربية نيبالية على ان يؤجل ذلك لحين وجود تمثيل عربي مقيم يستطيع أن يرعى هذه الجمعية •

وقد عرضت هذه الاقتراحات على اللجنة الدائمة للاعلام وأوصت بدراسـتها •

ايـران :

من المعروف ان اسرائيل تبذل نشاطا متزايدا في ايران وعلى الاخص منذ اعتراف ايران بها وتبادلهما التمثيل الدبلوماسي •

وقد قام السفراء العرب فيالعام الماضي باستيضاح ما اذا كانت الحكومة الايرانية تبيع البترول الايراني الى اسرائيل فكان الرد عليهم ان البترول يبـاع لجماعـة الشركات Consortuins المتعاقدة مع الحكومة ولا رقابة للحكومة على تصرف هذه الشركات في البترول بعد استلامها اياه • أما الحصة المخصصة لايران ذاتها فهي لا يمكن بيع أي جزء منها لاسرائيل •

ومن الواضح ان تغلغل الدعاية الصهيونية الى ايران بهذه الصـورة يشكل خطرا من نوع خاص نظرا لان ايران بلد اسلامي ويرتبط مع العالم العربي بعلاقات تاريخية قديمة وكان من الطبيعي ان يساند العرب ضـد اسرائيل •

تركيـا :

تعتبر تركيا الدولة الاسلامية الآسيوية الوحيدة الى جانب ايران التي استطاعت اسرائيل ان تتغلغل داخلها في جميع المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية والثقافية والرياضية والعلمية والفنية • وهناك كثير من العوامل المشتركة بين تركيا وايران التي مكنت لاسرائيل من هذا التغلغل •

وقد ساعد على ذلك وجود جالية يهودية كبيرة في تركيا يبلغ عددها ١٦٠ ألف أكثرهم من الاغنياء •

وهناك عوامل كثيرة ساعدت على توثيق العلاقات بين البلدين منها :

اعتبار تركيا واسرائيل جزءا من المعسكر الغربي وكرأس جسـر لتدعيم نفوذ هذا المعسكر في الشرق الاوسط ، وارتباط اسرائيل وتركيا بالسياسة الغربية ، ووجود الجالية اليهودية في تركيا ، ووجود مكاتب للوكالة

اليهودية في ازمير واستانبول ، وغير ذلك .

ثم تحدثت المذكرة عن العلاقات السياسية بين البلدين : وكيف اعترفت تركيا باسرائيل ومدى التعاون بينهما ومرور رئيس الدولة الاسرائيلية بمطار استانبول عام ١٩٦٦ واستقباله في المطار كما تحدثت المذكرة بعد ذلك عن العلاقات الاقتصادية بين البلدين وعقد الاتفاق التجاري بينهما عام ١٩٥٠ والذي جدد عام ١٩٦٠ واسماء الشركات التركية التي تتعامل مع اسرائيل وبعد ذلك تحدثت عن المجال الدعائي والسياحي وذكرت (ان اجهزة الدعاية في تركيا خاضعة لتحكم رأس المال اليهودي) واوردت أمثلة على ذلك ثم تناولت العلاقات الثقافية والعلمية والفنية والتخطيط وتبادل الزيارات بين تركيا واسرائيل .

ومما قالته : بالرغم من عدم وجود معاهدة ثقافية بين تركيا واسرائيل الا ان هناك علاقات ثقافية بين البلدين تقوم ضمن نطاق معين عن طريق تبادل طلبة المعاهد في كل منهما . وتعمل اسرائيل على تشجيع الاتراك للقيام بتجاربهم في معاملها ومؤسساتها فقد حدث في عامي ٥٧ - ١٩٥٨ أن ذهب بعض الطلبة الاتراك من كلية الهندسة الى اسرائيل واتموا دراستهم فيها وكانت مصاريف اقامتهم على حساب المعمل الذي عملوا فيه بالاضافة الى ان كلا منهم كان يتقاضى شهريا مائة وخمسين ليرة اسرائيلية .

هذا ويبدو ان تركيا بدأت أخيرا تولى صداقتها للدول العربية اهتماما خاصا . فقد زاد تبادل زيارات الوفود التجارية بينها وبين الدول العربية كان آخرها الوفد الذي زار الاردن للاتفاق على استيراد بضائع أردنية وكانت تصريحات الوفد ودية للغاية .

ومن الناحية السياسية فمن المهم الاشارة الى الزيارة التي قام بها لتركيا

أخيرا رئيس وزراء العراق السابق الدكتور البزاز ولا شك انها تعتبر تقاربا واضحا مع العراق ومع دول الجامعة العربية •

ومن جهة أخرى فقد أبلغت وزارة خارجية الجمهورية العربية المتحدة الامانة العامة مؤخرا أن السفير التركي قد أبلغ الوزارة بموافقة حكومته من جهة المبدأ على انشاء مكتب للجامعة العربية في تركيا يتمتع اعضاؤه بالمزايا الدبلوماسية •

هذا وقد سبق أن قام السفراء العرب في انقرة بالخطوات التمهيدية اللازمة لانشاء جمعية للصداقة التركية ـ العربية • كما ان الامانة العامة دعمت هذه المجهودات بتحويل بعض المبالغ الى عميد السلك السياسي العربي هناك للانفاق منها على تأسيس هذه الجمعية •

هذا ويهمنا ان نشير الى المجهودات التي يبذلها بعض أعضاء السفارات العربية هناك فى الدعاية للقضايا العربية والى المعلومات التي يتفضلون بموافاتنا بها لهذا الغرض •

* * *

استعرضنا فيما تقدم بعض مظاهر النشاط الصهيوني في دول آسيا • ولا جدال في أن العمل العربي المشترك ينبغي أن يقوم على أساس دراسة شاملة لاحتياجات القارة الكبرى بعد تقسيمها الى مناطق وأن تأخذ هذه الدراسة في اعتبارها تباين ظروف كل منطقة ومكوناتها الاجتماعية والدينية والسياسية والثقافية •

ومن بين تلك الظروف التي ينبغي مراعاتها في التخطيط الاعلامي ما يلي :

(١) ان العمل الاعلامي العربي يجب أن يخطط له على أساس دراسة عميقة لظروف كل منطقة لان التكوين الاجتماعي والسياسي

والاقتصادي والديني يختلف من مكان الى آخر • ومن الواضح ان الدعاية في البلاد ذات نظم الحزب الواحد تعتمد على أساليب تختلف عن تلك التي تتم في البلاد ذات الاحزاب المتعددة • ففي الاولى تعتمد الدعاية اساسا على التفاهم مع قيادة الحزب أو الحكومة ، وفي النظم الاخرى تكون الاساليب التقليدية كالنشرات والافلام والمعارض أكثر فاعلية ويكون لاقناع الرأي العام في هذه الحالة أثر أقوى في تأييد القضية كذلك الحال بالنسبة للتكوين القبلي والديني وما الى ذلك •

(٢) ان الدعاية العربية يجب ان تعتمد على عمل منتظم ومستمر في المجالات الثقافية والاقتصادية يكون أقل حساسية وتأثرا بالظروف السياسية السريعة التغير مما هو عليه فى الوقت الحاضر ويمكن للدعاية العربية ان تكون أكثر نشاطا وتركيزا في المناسبات التي تستلزم ذلك ولكن لا يمكن ان تخلو منطقة ما من الوجود العربي ثم يوجد فجأة في مناسبة ما ثم ينقطع بعد ذلك وهكذا • وهذا العمل المنتظم يمكن أن يكسب انصارا تلقائيين للقضية العربية في الاجل الطويل •

(٣) من الواضح ان هذا العمل المنتظم سواء في المجالات الثقافية أو الاقتصادية ، يجب أن تضطلع به جهات الاختصاص في الدول الاعضاء فانشاء شركة تجارية او معهد ثقافي أو مركز لتدريس اللغة العربية أو غير ذلك يجب أن يوفر له اخصائيون يمكن أن توفرهم الاجهزة المماثلة في الدول الاعضاء •

(٤) يجب التزام الدقة في اختيار الاشخاص القائمين بهذه الاعمال وان يكون ذلك بناء على معايير موضوعية تراعي عند وضعها كافة الشروط التي تؤهل هؤلاء الاشخاص للقيام بواجباتهم في مجال تخصصهم بكفاءة الى

جانب ما يكون لازما في رجل الاعلام زيادة في الفائدة باعتبار ان كفاءة العمل في ذاتهما تحقق فائدة اعلامية هامة •

(ه) ستوضح الدراسة التمهيدية اللازمة التي أشرنا اليها بعض المشاكل التي ينبغي عدم تعرض الدعاية العربية لها لحساسيتها وارتباطها بمفاهيم لا تلائم أحيانا البلدان التي تتم الدعاية فيها ويتعلق ذلك أغلب الامر بالشؤون الدينية والاجتماعية احيانا وببعض المسائل السياسية • (انتهت المذكرة) •

(انتهت المذكرات)

* * *

(وبعد)

فعلى هذا النحو نشطت ادارة الاعلام بالامانة العامة بجامعة الدول العربية فى القيام بوصف الدعاية الصهيونية في كل من امريكا اللاتينية وآسيا وافريقيا • وربما كان المجهود الذي بذلته اسرائيل في داخل القارة الافريقية أهم وأخطر من المجهود الذي بذلته فى القارات الاخرى •

وقد كان بودنا أن نعرض على الباحثين جميع المؤتمرات التي قامت بها والجهود التي بذلتها ادارة الاعلام بالجامعة العربية • ولكننا خشينا الاطالة فاكتفينا بهذا القدر فقط على سبيل المثال لا الحصر •

وفي وسع الباحث الذي يعنيه موضوع الدعاية الصهيونية والطرق التي لابد ان يسلكها العرب في مكافحة هذه الدعاية ان يرجع الى جامعة الدول العربية • وبها من الوثائق ما ينير الطريق الى هذه الغاية •

وحسبنا في هذا البحث الذي نقدمه الى القراء أننا أبرأنا به ذمة العالم العربي بازاء الدعاية الصهيونية • واننا لم نأل جهدا في دعوة العرب الى مزيد من مكافحة هذه الدعاية الصهيونية وأن كنا نعلم في الوقت نفسه علم اليقين ان أمام الدول العربية أشواطا بعيدة المدى في هذا السبيل •

مكتبة البحث

المراجع العربية

ـ أ ـ

ابراهيم امام

العلاقات العامة والاعلام : (القاهرة سنة ١٩٥٨) ٠

العلاقات العامة والمجتمع : (القاهرة سنة ١٩٥٧) ٠

احمد سويلم العمري

الرأي العام والدعاية

ادارة الاعلام بالامانة العامة لجامعة الدول العربية ٠

ادوارد سيدهم

مشكلة اللاجئين العرب : (القاهرة سنة ١٩٦٣) ٠

ـ ت ـ

توماس بيرى

الصحافة اليوم (ترجمة مروان الجابري) ٠

ـ ج ـ

جعفر الخليلي

مقدمة كتاب الامام علي نبراس ومتراس تاليف الاستاذ سليمان كتاني ٠

جلال الدين الحمامصي :

هذه هي صحافتنا بين الامس واليوم (القاهرة سنة ١٩٥٧) ٠

المندوب الصحفي (القاهرة سنة ١٩٦٣) ٠

من الخبر الى الموضوع الصحفي (القاهرة ـ دارة المعارف) ٠

جول هوهنبرغ

الصحفي المحترف (ترجمة فؤاد مويساني) ٠

ـ ح ـ

حامد محمود

الدعاية الصهيونية/وسائلها وأساليبها وطرق مكافحتها ٠

حسن الحسني
الاعلام والدولة (بيروت) ٠

حسنين عبدالقادر
الرأي العام والدعاية وحرية الصحافة (القاهرة سنة ١٩٥٧) ٠

حسين فوزي النجار
أرض الميعـاد (القاهرة سنة ١٩٥٩) ٠

- خ -

خليل صابات
الصحافة رسالة ٠ استعداد ٠ فن ٠ علم (القاهرة سنة ١٩٥٩) ٠

- س -

سلامة موسى
الصحافة حرفة ورسالة (القاهرة سنة ١٩٥٨) ٠

- ش -

شـحاته سـمعان
التلفزيون والمجتمع (١٩٦١ ـ ١٩٦٢) ٠

- ع -

عباس احمد ـ رمضان خليفة
دور التلفزيون في المجتمعات النامية ٠

عبداللطيف حمزه
أزمة الضمير الصحفي (١٩٦٠ ، دار الفكر العربي) ٠
المدخل فى فن التحرير الصحفي (الطبعة الثالثة ١٩٦٥ ، دار الفكر العربي) ٠
مستقبل الصحافة (دار الفكر العربي) ٠
الاعلام له تاريخه ومذاهبه (١٩٦٥ دار الفكر العربي) ٠
الصحافة والمجتمع (القاهرة سنة ١٩٦٣) ٠

عبدالله البستاني
حرية الصحافة (القاهرة سنة ١٩٥٠) ٠

علي محمدعلي
اسرائيل والشرق الاوسط (القاهرة سنة ١٩٦٣) .

- ف -

فائق صائغ
الدبلوماسية الصهيونية

فؤاد ديب
الرأي العام وطرق قياسه

- م -

مختار التهامي
الصحافة والسلام العالمى (نشر المجلس الاعلى لرعاية الآداب - بالقاهرة) .
الاعلام والتحول الاشتراكي (١٩٦٦ - القاهرة) .
الراي العام والحرب النفسية (١٩٦٧ - القاهرة) .

محمد اسماعيل محمد
الاذاعة
المسعودي .
مروج الذهب .

معهد الصحافة الدولى بمدينة زوريخ
أخبار الشرق ا لاوسط في الصحافة العالمية ترجمة : عبداللطيف حمزه ووليم الميري .

محمد عبدالمعز نصر
الصهيونية في المجال الدولي (القاهرة سنة ١٩٥٦) .

محمد عوض محمد
الاستعمار والمذاهب الاستعمارية (القاهرة سنة ١٩٥٦) .

محمد كمالالدين عبدالحميد
الشرق الاوسط فى الميزان الاستراتيجى (القاهرة سنة ١٩٥٩ .)

المراجع الاوروبيـة

— The foreign press. (merrell, Bryan and Olisky) .

— The nature of the non Western world. (Vera M. Dean).

— One day in the World's Press. (W. Schram).

— World communication - Press, Radio, Film, Television) UNESCO.

— A handbook of the foreign press. (Merrill).

— Four Theories of the press. (Siebert, Peterson, Schram).

— Dectatorship in the modern world. (Ford, Guy stanson).

— Intention and authoritarianism. (Kottam, E. John).

— The four concepts in mass communication. (Schram, Wilbur).

— Broadcasting without barriers (George Codding) UNESCO.

— Psychological Warfare. (Raugherty, Janourits).

— Case Book (Hopkins).

— A Theory of Cognitive Disonance. (Fistinger).

— The science of Human Communication. (Schram).

— The process and effects of mass communication. (Schram).

— Mass Communication. (Schram).

— Telivision on the lives of our children. (Schram).

— Public opinion and american. Democracy.(Knopf)
— Broadcasting and government. (Emery).
— Television and human Behavior. (Arons).
— Handbook of Social Psychology. (gardner Lingdsay).
— Measuring advertiseng effectiveness. (Lucas, Brittz).
— Successfull television and Radio advertising.
— Research methods in social relations (Deutseh).
— Studies in the Arab Theatre and Cinema.(Landan)
— Modernising The Middle East (Daniel Terner).

فهرس الموضوعات

المقـــدمة

البـاب الاول

الرأي العـام

الفصل الاول :

تعريف الرأى العـام

تعريفات تؤمن بقوة الرأى العام ـ١٦ـ تعريف جيمس برايس ـ١٦ـ تعريف البورت ـ١٦ـ تعريف البج ١٧ تعريف كلاريد كنج ـ١٧ـ تعريف دوب ـ١٧ـ تعريفات تشكك فى قوة الرأى العام ـ١٩ـ محاولة جديدة لتعريف الرأى العام ـ٢٠ـ .

الفصل الثانى :

الرأى العام والاتجاه العام والسخط العام ـ٢١ـ طـرق التعبير عن السخط العام او الرأى العام ـ٢٣ـ طريقـة التبرير ـ٢٣ـ طريقة الابدال ـ٢٤ـ طريقة التعريض ـ٢٤ طريقة الانسلال أو الاسقاط ـ٢٥ـ الشعارات ـ٢٧ـ

الفصل الثالث :

انواع الرأى العام

تقسيم الرأى العام الى رأى عام مسيطر ورأى عام مستنير ورأى عام منقاد ـ٣٠ـ تقسيم آخر لانواع الرأى العـام ـ٣٠ـ تقسيم ثالث لانواع الرأى العام ـ٣١ـ تقسيم رابع لانواع الرأى العام ـ٣٢ هناك ما يسمى بالرأى العام العالمى ـ٣٢ـ ما المقصود بالرأى العام النوعى ـ٣٣ـ الرأى العام العربى ـ٣٤ـ

الفصل الرابع :

عوامل تكوين الرأى العام
اولا : الاعلام والدعاية ـ٣٦ـ
ثانيا : الهمس والشائعات ـ٣٨ـ
ثالثا : الزعماء السياسيون والمصلحون الاجتماعيون ـ٣٩ـ
رابعا : المشكلات اليومية ـ٤٠ـ
خامسا :ـ التراث الحضارى ـ٤١ـ
سادسا : التربية والتعليم ـ٤٣ـ
سابعا : الاوضاع العالمية للدول ـ٤٤ـ

الفصل الخامس :

دور الصحافة فى تكوين الرأى العام :
اولا ـ الاخبار (وكيف تؤثر بها الصحافة على الرأى العام) ـ٤٨ـ
ثانيا ـ التعليق على الاخبار (وكيف تؤثر بها الصحافة على الرأى العام) ـ٤٩ـ
العمود والحديث والتحقيق (وكيف تؤثر بها الصحافة على الرأى العام) ـ٤٩ـ الصور والرسوم (وكيف تؤثر بها الصحافة على الرأى العام) ـ٤٩ـ صحافة الخبر وصحافة الرأى ـ٥٠ـ الصحافة الصفراء ـ٥١ـ الرأى العام وحرية الصحافة ـ٥٢ـ قياس الرأى العام ـ٥٣ـ طريقة تحليل المضمون ـ٥٤ـ

الفصل السادس :

دور الاذاعة والتلفزيون والسينما فى تكوين الرأى العام ٠
الاذاعة ـ ٦٠ ـ كيف تؤثر الاذاعة فى الرأى العام ـ٦٢ـ الاذاعة والحاكم ـ٦٣ـ التشويش الاذاعى ـ٦٤ـ دور السينما فى تكوين الرأى العام ـ٦٥ـ مذاهب نشر الافلام السينمائية ـ٦٨ـ

الباب الثاني

الاعـــلام

الفصل الاول :

الاعلام ووسائله

تعريف الاعلام ـ٧٥ـ عناصر الاعلام ـ٧٦ـ وسائل الاعلام القديمة ـ٧٧ـ القصيدة الشعرية ـ٧٨ـ الخطبة ـ٨٠ـ المنادى ـ٨٤ـ البعثات ـ٨٥ـ وسائل الاعلام الحديثة ـ٨٦ـ العلاقات العامة ـ٨٧ـ الصحافة ـ٨٨ـ وكالات الانبـاء ـ٩٢ـ الاذاعة ـ٩٥ـ التلفزيون ـ٩٧ـ المعرض ـ١٠١ـ الزيارات الرسمية وغير الرسمية ـ١٠٢ـ المؤتمرات ـ١٠٣ـ العلاقات العامة ـ ١٠٣ـ بين الراديو والتلفزيون ـ ١٠٧ ـ وسيلة الاتصال الشخصى ـ١١٠ـ بين اللغة المسموعة واللغة المكتوبة ـ١١١ـ لغة الصحافة ولغة الاذاعة ـ١١٣ـ ٠

الفصل الثاني

الاعلام والدولة

ما المقصود بنظرية السلطة ـ١١٨ـ ما المقصود بنظرية الحرية ـ١٢٠ـ ما المقصود بنظرية المسؤولية الاجتماعية ـ١٢٣ـ الصحافة والسلام العالمي ـ١٤٢ـ ما المقصود بالنظرية السوفيتية ـ١٢٥ـ المادية الجدلية ـ١٢٥ـ المادية التاريخية ـ١٢٦ـ سيادة الطبقة العاملة (البروليتاريا) ـ١٢٧ـ النظرية السوفيتية في الاعلام ـ١٢٨ـ النظرية الاعلامية للجمهورية العربية المتحدة في وقتنا هذا ـ١٣٠ـ ٠

الفصل الثالث

الاعلام في الدول النامية

الاعلام في المجتمعات التقليدية ـ١٣٥ـ الاعلام في المجتمعات الانتقالية ـ١٣٦ـ الاعـــلام في المجتمعات الحديثة ـ١٤١ـ

ما المفاهيم الجديدة والقيم الجديدة للمجتمعات الانتقالية او النامية ـ١٤٥ـ ما المفاهيم الجديدة للجمهورية العربية المتحدة ـ١٤٧ـ الشعور بالمسؤولية الاجتماعية ـ١٤٨ـ التعاون وانكار الذات ـ ١٤٩ ـ مبدأ تكافؤ الفرص ـ ١٤٩ ـ ما هي القيادات الجديدة للمجتمع الجديد ـ١٥٠ـ القيادات الاجتماعية ـ١٥١ـ القيادات الاعلامية ـ١٥٢ـ ٠

الباب الثالث

الدعاية

الفصل الاول

ما هي الدعاية ؟
انواع الدعاية ـ ١٦١ ـ الدعاية البيضاء ـ ١٦١ ـ الدعاية السوداء ـ١٦٢ـ الدعاية الرمادية ـ١٦٢ـ وسائل الدعاية السوداء ـ١٦٢ـ أساليب الدعاية بوجه عام ـ١٦٣ـ اسلوب النكتة ـ ١٦٣ ـ اسلوب التكرار ـ ١٦٤ ـ الاسلوب الديني ـ١٦٤ـ اسلوب الكذب والاختلاق ـ ١٦٥ ـ اسلوب الاستعطاف والاستضعاف ـ١٦٥ـ اسلوب الاناشيد والاغاني ـ١٦٦ـ اسلوب الشعارات ـ١٦٦ ـ اسلوب منطاد الاختبار أو جس نبض الرأى العام ـ١٦٧ـ ٠

الفصل الثاني

الدعاية الاموية
ما هي الاسس التى بنيت عليها الدعاية فى الاسلام ـ١٧١ـ
وسائل الدعاية لكل مذهب من المذاهب الدينية الاسلامية ١٧٢ـ
الدعاية السرية وحادث قيام الدولة العباسية ١٨١ ٠

الفصل الثالث

الدعاية الصهيونية
أهداف الحركة الصهيونية ـ١٨٥ـ وسائل الدعاية الصهيونية فى العالم الخارجي ـ١٨٧ـ المجلس الصهيوني الامريكى ـ١٨٧ـ الهستترد ـ١٨٩ـ المؤتمرات الاشتراكية الدولية ـ١٩٠ـ

معسكرات الشباب ـ١٩١ـ وسائل الدعاية الصهيونية فى المجال الداخلي ـ١٩٣ـ وسيلة الصحف ـ١٩٣ـ وسيلة الاذاعة ـ١٩٣ـ وسيلة السينما والمسرح ـ١٩٣ـ وسيلة النوادي ـ١٩٤ـ مشروع اعلام عربي موحد لمكافحة الصهيونية ـ١٩٥ـ مزاعم اسرائيل والرد عليها ـ٢٠١ـ ماهو السبيل الى تنفيذ المشروع ـ٢٠٣ـ مشروع جهاز منظم للاعلام العربي الموحد ـ٢٠٥ـ ٠

الفصل الرابع

الدعاية النازية

عيوب هذه الدعاية ـ٢١٢ـ أساليب الدعاية النازية ونظمها واهدافها ـ٢١٣ـ اولا ـ وزارة الدعاية ـ٢١٣ـ ثانيا ـ تنظيم المظاهرات الشعبية ـ٢١٤ـ ثالثا ـ نظرية منطاد الاختبار ـ٢١٥ـ رابعا ـ نظام القمصان السمراء ـ٢١٥ـ خامسا ـ الصليب المعقوف ـ٢١٦ـ ٠

الفصل الخامس

الدعاية السوفيتية

الحزب الشيوعي الواحد ـ٢٢٠ـ نظام الدعاية السوفيتية ـ٢٢٢ـ وسائل الدعاية السوفيتية ـ٢٢٣ـ ١ ـ الصحافة ـ٢٢٣ـ ٢ ـ التوجيه الثقافي والعلمي ـ٢٢٤ـ تقييد حرية الصحافة ـ ٢٢٥ ـ ادعاء الاجماع ـ٢٢٥ـ العناية بتربية النشء تربية ماركسية بحته ـ٢٢٦ـ خطة التباهي بناحية معينة ـ٢٢٧ـ خطة التشهير بجوانب الضعف في الامم المعادية ـ٢٢٧ـ استخدام التهكم والسخرية ـ٢٢٧ـ ٠

خاتمة

حرية الاعلام

معنى جديد لحرية الصحافة ـ٢٣٣ـ هل هناك حرية صحافة ـ٢٣٣ـ الاسباب التي تعوق حرية الاعلام ـ٢٣٤ـ ٠

ملاحق البحث

الملحق الاول

مذكرة عن النشاط الصهيوني فى افريقيا ٠
عرض عام ـ٢٤٦ـ مرحلة الدراسة ـ٢٤٧ـ مرحلة الدعاية ـ٢٤٧ـ
مرحلة التنفيذ العملي ـ٢٤٨ـ عوامل اخرى مساعدة ـ١٤٩ـ
المطبوعات ـ٢٤٩ـ الاذاعة الموجهة ـ٢٧٠ـ النشاط الدبلوماسي
ـ ٢٥٠ ـ النشاط التجارى والمالى ـ٢٥١ـ النشاط الثقافي والفني
ـ٢٥٣ـ النشاط العسكرى ـ٢٥٦ـ ٠

الملحق الثاني

مذكـــرة عن النشاط الصهيوني فى امريـــكا اللاتينية ـ ٢٦٥ ـ
النشاط الثقافي ـ ٢٧٠ ـ النشاط التجارى ـ ٢٧١ ـ المعونات الفنية
والاقتصادية ـ٢٧٢ـ الصحافة الصهيونية فى دول امريـكا
اللاتينية ـ٢٧٣ـ البرازيل ـ٢٧٤ـ الارجنتين ـ٢٧٦ـ المكسيك
ـ٢٨١ـ شـيلي ـ٢٨٢ـ بيرو ـ٢٨٣ـ فنـزويلا ـ٢٨٣ـ
اوروجواى ـ٢٨٣ـ ٠

الملحق الثالث

مذكرة عن النشاط الصهيوني في آسيا
النشاط الصهيوني في آسيا ـ٢٨٦ـ الهند ـ٢٨٦ ـ٠
بورما ـ ٢٩١ ـ اليابان ـ ٢٩٢ ـ فيتنام الجنوبية ـ ٢٩٣ ـ كمبوديا
والفلبين وكوريا الجنوبية ـ٢٩٤ـ نيبال ـ٢٩٥ـ ايران ـ ٢٩٧ ـ
تركيا ـ ٢٩٧ ـ

مكتبة البحث

المراجع العربية ـ ٣٠٥ ـ المراجع الاوربية ـ ٢٠٨ ـ

فهرس الموضوعات ـ ٣١٠ ـ

كلمة شكر ـ ٣١٦ ـ

كلمة شكر

تفضل الأستاذ مشكور الأسدي فقام بتصحيح تجارب هذا الكتاب وذلك في أثناء تغيبي عن بغداد في عطلة الصيف الماضي ، فأصبح له في عنقي دين كبير يضاف الى ديونه السابقة التي له علينا منذ كان يطلب العلم في القاهرة .

فالى هذا الأديب الفاضل أقدم أصدق عبارات الشكر والتقدير لأخلاقه الكريمة ووفائه الكبير وأدبه الجم وعروبته الصادقة .

يناير (كانون الثاني) ١٩٦٨

المخلص

عبداللطيف حمزه

١٣/١٢٥٠/١٩٦٨

هذا الكتاب

الرأي العام والاعلام وجهان لعملة واحدة هي الحرية ، لذلك بدأ الكتاب بالحديث عن الرأي العام وانواعه ثم انتقل الى الاعلام ، فاستعرض وسائله القديمة والحديثة . واستعرض نظرياته ، ثم تحدث عن الاعلام في الدول النامية .

وضرب المثل بالجمهورية العربية المتحدة ، وفي الدعاية استعرض الكتاب اربعة نماذج وهي :

الدعاية الاموية في الاسلام ثم الدعاية الصهيونية والنازية والسوفيتية في العصر الحديث ، وخطط الكتاب لمشروع عربي موحد لمكافحة الصهيونية .

طبع بمطبعة المعارف - بغداد

تصميم الغلاف : كريم الخطاط

Date Due

Demco 38-297

NYU - BOBST
31142 02841 3733
HM263 .H316
al-I´¿lam